



من المسرح العالمي

العددان

٢٧٨ - ٢٧٩

المؤامرة والحب

تأليف : فريدريش شلر

ترجمة وتقديم : د. عبدالرحمن بدوي

لا مزاج في الحب

تأليف : ألفريد دي موسيه

ترجمة وتقديم : نور الدين خضور

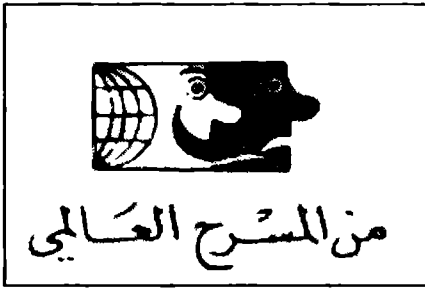
مراجعة : د. جلال حافظ

يوليو ١٩٩٤

أغسطس ١٩٩٤

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

العددان
٢٧٨ - ٢٧٩



المؤامرة والحب

تأليف : فريدريش شلر
ترجمة وتقديم : د. عبدالرحمن بدوي

لا مزاح في الحب

تأليف : ألفريد دي موسيه
ترجمة وتقديم : نور الدين خضور
مراجعة : د. جلال حافظ

سلسلة شهرية تصدر عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يوليو ١٩٩٤

أغسطس ١٩٩٤



المشرف العام:

د . سليمان العسكري

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

مستشار التحرير:

د . محمد مبارك بلال

مديرة التحرير:

وسمية الولايتي

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام لـ : س . رسمي سميعة والفنون والآداب
ص . ب ٢٣٩٩٦ - الصفاة . الكويت 13100

الشاعر

www.books4all.net

المؤامرة والحب

تأليف : فريدريش فون شلر

ترجمة وتقديم : د. عبدالرحمن بدوي

العنوان الأصلي للمسرحية

Kabale Und Liebe

By

Friedrich Schiller

مقدمة

هذه المسرحية، «المؤامرة والحب»، قد ألفها فريدريش فون شلر (١٧٥٩ - ١٨٠٥) نثرا في الفترة ما بين أكتوبر ١٧٨٢ ومنتصف يوليو سنة ١٧٨٣. وصدرت الطبعة الأولى منها في ١٧٨٤ بمدينة مانهيم Mannheim. ومثلت لأول مرة على مسرح في فرانكفورت على نهر الماين في يوم ١٣ أبريل سنة ١٧٨٤.

وكان عنوانها الأصلي هو «لويزة ملر» وهي بطلة المسرحية. لكن الممثل الرئيسي لهذه المسرحية حين مثلت لأول مرة، وهو أوجست فاهلم افلند-Iff-land (١٧٥٩ - ١٨١٤) قد غير عنوانها إلى: «المؤامرة والحب» ليكون أكثر تعبيرا وأوقع في النفس. ووافق شلر على هذا التعديل للعنوان ومنذ ذلك الحين صارت المسرحية تطبع تحت هذا العنوان: «المؤامرة والحب».

وتندرج هذه المسرحية في النوع من المسرحيات التي تسمى باسم «المآسي البرجوازية»، وهو اصطلاح نشأ في منتصف القرن الثامن عشر في ألمانيا للدلالة على المأساة التي تدور في وسط برجوازي، أي ليس وسط النبلاء، وتكون مكتوبة بالنثر، لا بالشعر. ذلك لأن أرسطو في كتابه «فن الشعر» كان قد قرر أن المأساة يجب أن يكون شخوصها من الملوك والنبلاء. فجاء لسنج Lessing (١٧٢٩ - ١٧٨١) فعارض رأي أرسطو هذا لأسباب عملية ونظرية معا. وكتب أولا مسرحية «مس سارة سامبسون» سنة ١٧٥٥ ووصفها على صفحة العنوان بوصف «مأساة»، ولكن أشخاصها هم من الطبقة الوسطى،

وقد كتبها نثرًا ثم كتب بعد ذلك مأساة بعنوان «إميليا جالوتي» (سنة ١٧٧٢) تعد أحسن مثال لهذا النوع من المآسي . وكان لموقف لسنج هذا تأثير كبير في الحركة الأدبية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في ألمانيا والتي توسم باسم «العاصفة والاندفاع» . فظهرت المسرحيات التي من نوع المأساة ، والتي تعالج المشاكل الاجتماعية في المجتمع الألماني المعاصر آنذاك .

ومن هنا تجد شلر يضع تحت عنوان مسرحيتنا هذه الوصف : «مأساة برجوازية» وإن كان أحد طرفي هذه المأساة نبيل وليس برجوازيًا وهو فرديند فون فالتر . بل إن التوتر الرئيسي فيها هو بين النبالة والبرجوازية ، والعقدة فيها تقوم على النزاع بين الحب الصافي بين فرديند النبيل ولويزة التي هي من الطبقة الوسطى .

وخلاصة مسرحيتنا هذه هي أن فرديند فون ، وهو ابن رئيس الوزراء في دوقية ألمانية ذات حكم دكتاتوري محض ، قد وقع في غرام ابنة عازف موسيقى يدعى ملر Miller كان قد جاء إليه فرديند ليتلقى عنده دروسًا في العزف على الفلوت . ولما كان رئيس الوزراء هذا رجلاً طموحاً جداً لا يرضى أي مبدأ أخلاقي في سبيل تحقيق مطامعه في النفوذ والسلطة ، فإنه أراد أن يزوج ابنه فرديند من خليعة أمير الدوقية ، وتدعى ليدي ملفورد حتى يزداد نفوذه عند الدوق ويستوثق . لكن فرديند ، ابنه ، يرفض الإذعان لهذه الرغبة الأبوية المخالفة للشرف ، ولا يريد أن يتخلى عن غرامه بابنة عازف الموسيقى على تواضع أصلها .

ولكي يصرف الأب ابنه عن هذه الفتاة فكر ، بالتدبير مع سكرتيره الخبيث فورم Wurm في حيلة جهنمية ، وهي أن يرغما لويزة ، حبيبة فرديند ، على

كتابة رسالة غرامية إلى مدير البلاط ، وأن يجعلها هذه الرسالة تصل -صدفة- إلى مدير البلاط ، وأن يعلم بها فرديند ، حتى يرى الدليل المكتوب على خيانتها له . ولإرغامها على ذلك أصدر الرئيس فالتر أمرا بسجن عازف الموسيقى ، أبيها .

وبحمية العاشق الأهوج المتسرع يذهب فرديند إلى بيت عازف الموسيقى -وقد أفرج عنه بعد أن كتبت ابنته تلك الرسالة- ليحاسبها على خيانتها ، وبعد مشادة حادة بين العاشق والمعشوقة ووالدها صمم فرديند على قتلها بدس السم لها في شراب من عصير الليمون . وشرب العاشق والمعشوقة من هذا الشراب السام ، فماتت لويزة أولا لعدم احتمال بنيتها الرقيقة ، وتلاها قاتلها الشاب . وكان قد طالبها بأن تقر بأنها هي التي كتبت رسالة الغرام تلك الموجهة إلى مدير البلاط وبنصيحة من والدها أقرت بذلك . لكنها وهي تصارع سكرات الموت من جراء تناولها للشراب المسموم تعترف له بالمؤامرة التي دبرها أبوه مع سكرتيه فورم . فتثور نائرة فرديند على أبيه ، لكن أباه يتهم سكرتيه فورم بأنه هو الذي دبر هذه المؤامرة ، وأمام ذلك لم يكن أمام فورم هذا إلا أن يعترف بمسئوليته ، ولكن بالاشتراك مع رئيس الوزراء في نفس الجريمة . وأمام هذه الشواهد الدامغة يضطر رئيس الوزراء أن يعترف هو الآخر بمسئوليته عن هذه المؤامرة ، ويسلم نفسه للعدالة لتقتص منه .

وفي موازاة هذه الأحداث نجد شخصية الليدي ملفورد ، التي كانت قد لجأت وهي فتاة صغيرة في الثانية عشر من عمرها ، وسليلا آل ملفورد ، الدوقات الإنجليز الأقوياء في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، لجأت إلى هامبورج في ألمانيا ، وهناك سمع بها الدوق ، زير النساء الفاجر ، فاصطنعها

خليلة له ، وصارت ذات نفوذ هائل في بلاده . لكنها زعمت أنها كانت تريد توجيه هذا النفوذ لصالح شعب الدوقية الذي كان بائسا مرهقا بطغيان الدوق الذي كان يبيع أبناء هذا الشعب لتجار الرقيق الذين يرسلون هؤلاء الأبناء للعمل في أمريكا .

وواضح أن شلر استخدم شخصية ليدي ملفورد لفضح استبداد الدوقات في ألمانيا في ذلك العصر . ولما لم يفلح مشروع زواجها من فرديند الذي أبى بكل شموخ ونباله أن يعقد قرانه على هذه «المومس» ، قررت هي أن تهرب من هذه الدوقية المليئة بالفساد والاستبداد ، وكأن روح جدها دوق فورفولك قد بعثت فيها !!

وفي مقابل فساد الاستقراطية يصور شلر أسرة عازف الموسيقى المسكين تصويرا يرفع من مكانتها . إن هذا الموسيقي وزوجته وابنته يمثلون البرجوازية الصغيرة بأمانتها وطيب أخلاقها وتمسكها بالشرف والمبادئ الدينية القوية ، كما تمثل هذه الطبقة الوسطى أيضا في ضعفها وخنوعها للأقوياء واحترامها الدليل للنبلاء والسادة ، وحرصها على المنافع المادية والتطلع إلى الارتفاع فوق طبقتها . فلا شك أن الوالد والوالدة كليهما مسئول عن المأساة التي انتهت إليها ابنتهما ، لأنها غضا النظر عن سلوك ابنتهما في علاقتها الغرامية الفاسقة مع الرائد النبيل فرديند . والطمع طبعاً هو الذي جعلهما - كما قال الرئيس فون فالتر- يتغاضيان عن علاقة ابنتهما بفرديند . ولو كانا أمينين حقاً على شرف ابنتهما لكانا قد أجبرا ابنتهما منذ البداية على قطع كل علاقة مع هذا الولد المتلاف الذي لا يمكن أن يقترن بها لأن هذا يقضي على مستقبله كله .

وهكذا نجد أن الجميع آثمون : النبلاء وأبناء الطبقة الوسطى الصغيرة :

الأولون باستبدادهم وغطرستهم ، والآخرون بطمعهم الذليل وهوانهم المغرور
في طباعهم .

تحليل الشخصيات الرئيسية

١ - فرديند

شاب نبيل أبوه هو رئيس الوزراء ، وتخرج في الجامعات الألمانية حيث
تشرب بعض مبادئ حركة التنوير التي انتشرت في أوروبا بعامة ، وفي ألمانيا
بخاصة . ومكنته طبقة الاجتماعية ونفوذ أبيه من أن يكون ضابطا برتبة
«رائد» Magir في الحرس الخاص بالدوق . فتنازعت نفسه نزعتان : إحداهما
إلى مبادئ الحرية والإنسانية وسمو النفس ، والأخرى محتجزة إلى أصله النبيل
والقيم الأرستقراطية ومن ثم كان التوتر الشديد في نفسيته لقد كان ، بالنزعة
الأولى ، يرنو إلى التحرر من الأحكام السابقة الشائعة في طبقة ، وبالنزعة
الثانية مضطرا إلى الالتزام بالمعايير الارستقراطية .

وقد أوقعه حبه لفتاة برجوازية في حرج بالغ : إنه لا يستطيع أن يقترن بها
دون أن يؤثر ذلك في مستقبله وتطلعاته الاجتماعية ، كما أنه لا يستطيع أن
يجعلها مجرد خليلية لقضاء ملذاته ، لأن هذه الفتاة متدينة ، حريصة على
كرامتها وشرفها .

وهو في الوقت نفسه شاب طائش متهور ، غيور بدرجة جنونية . لهذا
استطاع أبوه المحنك الماكر وسكرتيه الشيطان أن يدبر له المؤامرة التي قصد
منها إبعاده عن تلك الفتاة البرجوازية التي أدرك أبوه أنها ستكون عقبة كأداء
في سبيل مستقبل ابنه . وهذه المؤامرة تقوم بإرغام الفتاة على كتابة رسالة غرام

إلى شخص إمعة عديم الكرامة هو مدير البلاط . وما أن علم فردنيند بهذه الرسالة حتى ثارت ثائرتة ومسه الشيطان . فلم يتحر في الأمر طويلا ، وكان الأحرى به أن يساوره الشك الشديد لأن الفتاة في سن السادسة عشرة ، بينما مدير البلاط المرسله إليه الرسالة كان في سن بالية ، ولا ينتظر من فتاة صغيرة كهذه أن تغاظه وتبث إليه غرامها المزعوم .

ودليل آخر على أفنه وسخافة عقله أنه لم يضح بهذا الحب الصياني في سبيل تحقيقه المثل العليا في الحرية والكرامة الإنسانية وتحرير الشعب ، وهي المثل التي تلقنها في الجامعة وطالما ردها على أساتذته . لقد كان عليه أن يدوس على قلبه ابتغاء أن يحقق هذه القيم السامية للشعب الذي انتسب إليه .

وهو مثال للولد المتلاف المدلل الذي لا يرفعى حرمة لأحد ، حتى لأبيه . فهو سريع اللجوء إلى التهديد بسيفه ، وهو شكس الطباع ميال إلى السباب والمشاجرة .

٢- لويضة

أما حبيبته لويضة فهي فتاة في السادسة عشرة من عمرها ، شديدة التقوى ، لينة الطبع ، رقيقة الحاشية ، متواضعة النفس ، خفيضة الجناح . وكانت جميلة ، شقراء الشعر ذات عينين تحاكيان الزهرة التي تسمى بالألمانية : « لا تنسني » . وكانت متحفظة حبيبة ، ولكنها تشعر برسوخها في المجتمع الذي تعيش فيه . وتربيتها في منزل أبيها قد بثت فيها احترام الوالدين ، والرضا بالوضع الثانوي الذي للمرأة في المجتمع . والحب في نظرها أمر يتعلق بالقلب ، ولا شأن له بالتطلعات الاجتماعية . والطاعة ، والأمانة ، والصدق

هي المبادئ العليا للسلوك في نظرها وهي تكره ما في حياة القصر من خلاعة وفساد وانفلات من الالتزامات الأخلاقية وهواياتها هي العزف على الآلات الموسيقية -والبيانو بخاصة- وقراءة القصص وهي حريصة على حضور الصلوات في أيام الأحاد، وتستظهر الكثير من أقوال المسيح .

وهي أبنية رغم فقرها ومهانة أصلها - لا تقبل أن تعمل خادمة عند هذه «الداعرة» الليدي ملفورد، خلية الدوق . ولم تتخل عن مبادئها الأخلاقية إلا حينما تعلق الأمر بخلاص والدها من السجن وربما من المشقة ، حينما وضعه الرئيس فون فالتر في السجن متهما إياه بإهانة ذات الدوق . فجاء سكرتير الرئيس ، هذا الشيطان الخبيث فورم ، فعرض عليها هذه الصفقة : وهي أن تكتب الرسالة الغرامية إلى مدير البلاط ، لقاء الإفراج عن أبيها . فأسقط في يدها واضطرت إلى كتابتها تحت إملاء هذا الشيطان الخبيث .

ودس فردينند السم في شراب عصير الليمون الذي حضرته هي ، مستغفلا إياها حين خرجت من الغرفة للحظة من الزمن - وتناولت هي من هذا الشراب المسموم ، ثم بدأ أثر السم بعد قليل ، وأحست هي بدنو موتها - واعترف لها فردينند بأنه هو الذي وضع السم انتقاما منها لخياتها ، المزعومة بإرسال رسالة الغرام ، مما أدى بها هي إلى الإقرار بأن هذه الرسالة قد كتبتها تحت الضغط والإكراه والتهديد بقتل أبيها ، وتبين حينئذ لهذا الشاب المتهور أنها كانت ضحية لمؤامرة جهنمية دبرها والد فردينند مع سكرتيه السافل فورم ، فراح يلعن أباه والسكرتير ، ويتوعدهما . لكنها في هذه اللحظة الأخيرة من حياتها لم تشأ أن تلعنهم ، بل قالت قوله السيد المسيح وهو على الصليب : «ربي ! اغفر لهم فإنهم لا يعلمون ماذا يفعلون»

(إنجيل لوقا : ٢٣ - ٣٤) وهكذا ماتت مودة شهيدة مسيحية عامرة بالإيمان والإحسان .

٣- الرئيس فون فالتر

أما رئيس الوزراء فون فالتر فهو نموذج السياسي المتعطش للسلطة بأية وسيلة لقد وصل إلى هذا المنصب بوسائل شيطانية انتهك فيها كل مبادئ الأخلاق . فأقصى سلفه غدرا ، ووجه كل همه إلى الاحتفاظ بثقة الدوق واكتساب رضاه أيا ما كانت الطرق المؤدية إلى ذلك .

فهو يتملق أخس شهوات الدوق ، من أجل إبعاده عن القيام بمهام الدولة كيما يستأثر هو بها وحده ، فيصبح كل شيء في الدولة : حاكما مطلقا يخضع له الناس جميعا ، ويدبر شؤون الدوقية على هواه لا ينازعه في ذلك أحد ، بينما الدوق مغموس في شهواته غارق في نزواته الشخصية .

ولتوكيد وتأمين سلطته هذه عند الدوق ، يقترح على ابنه أن يتزوج خلية الدوق ، تلك الإنجليزية - ليدي ملفورد- التي ألقى بها القدر في هامبورج بألمانيا هاربة لاجئة ، فصارت خلية للدوق وذات نفوذ هائل عليه وعلى الدولة . ولكن الابن فردينند يرفض أن يلعب هذه اللعبة القذرة وأن يكون ديوثا للدوق . والحوار الذي جرى بين الوالد المغامر والابن الذي يؤمن بشيء من القيم الإنسانية يكشف عن النذالة الهائلة التي اتصف بها رئيس الوزراء هذا . في هذا الحديث نجده قد خلع ثوب الحياء ، وأبرز صفحة الوقاحة المذهلة : فلإقناع ابنه بالزواج من خلية الدوق ، يحسن له المشاركة مع الدوق في نفس الفرج ، وفي نفس المكان الذي يباح فيه الدوق ، وهو القصر الذي وهبه الدوق لخليته !! وقد أراد بهذا الاقتراح أن يخضع ابنه للتدبير السياسي

الذي هدف إليه وهو أنه بواسطة هذا الزواج الشكلي الظاهري يفسح المجال أمام الدوق كي يتزوج زواجا تملّيه الاعتبارات السياسية . وهكذا كان رئيس الوزراء هذا لا يرى في الناس ، ومنهم ابنه هو ، مجرد قطع شطرنج في لعبته السياسية .

ولكن حين أدت مؤامره إلى عكس ما كان يقدر: أعني أن يقتل ابنه حبيبته بدس السم في شراب الليمون الذي ستشربه ، وأن يتحر هذا الابن بشره من نفس الشراب ، أراد أن يبري نفسه من هاتين الجريمتين بإلقاء المسؤولية على سكرتيره فورم ، لكن هذا الأخير يقرّ على نفسه بالمسؤولية ويشرك فيها سيده الرئيس . وأسقط في يد الرئيس ، وقدم نفسه طوعا إلى رجال العدالة للاقتصاص منه .

٤ - فورم

وأما السكرتير فورم فهو الأداة الخبيثة الطيعة في يد الرئيس ، وهو ليس فقط أداة التنفيذ لمؤامراته ، بل هو أيضا المدبر والمحرض في بعض الأحيان ، تحقيقا لمآربه هو الشخصية . إنه كان يطمح في الزواج بلويزة ، لكن هذه رفضته رفضا تاما منذ البداية وأشاحت بوجهها عن كل محاولاته . ولما ظهر فردينند كمنافس خطير له لدى لويزة ، دبر المكيدة مع والد فردينند لتنحية هذا الأخير عن لويزة ابتغاء أن يخلو له الجو ، وكانت هذه النتيجة في صالح كليهما : الرئيس ليصرف ابنه عن هذه الفتاة البرجوازية التي لا تليق بابنه ، وفورم كي يتزوج من لويزة . وكان من الدهاء بحيث توقع أن الحيلة ستنتظلي على الشاب الأحمق المتهور فردينند .

وفورم نموذج لنمط من الموظفين الموجودين في حاشية - أو في مكتب - كل وزير أو رئيس وزارة أو شخص مفرط الطموح إلى النفوذ والسلطان . وحينما تدبر الدنيا وتقع الواقعة على واحد من هؤلاء الأقوياء ، يكون هذا النمط من أمثال فورم هم أبشع الأدوات لإدانة سادتهم ، وأول الموزرين لخصومهم بالأدلة والوثائق والاعترافات التي تقضي عليهم القضاء النهائي .

٥- ليدي ملفورد

وليدي ملفورد ذات طبيعة مزدوجة ، فوضعها كخليفة للدوق يجعلها في موقف مناف للأخلاق وللأوضاع الاجتماعية المقررة ويسرلها بالعار ، لكن روحا نبيلة كانت مع ذلك تسكن في كيائها ، وتدعوها إلى العمل على تخفيف مظالم الدوق المستبد المستهتر القاهر لأبناء دوقيته . ويمكن أن يقال في تفسير هذا السلوك المزدوج إن الظروف القاهرة التي وجدت فيها منذ سن الثانية عشرة ، إذ كانت لاجئة مطرودة من إنجلترا ، هي التي أوقعتها في حمأة الرذيلة ، بينما أصلها النبيل الشريف هو الذي كان يستيقظ في ضميرها بين الحين والحين ويدعوها إلى استغلال تأثيرها في الدوق من أجل تخفيف مظالم هذا الدوق في شعبه .

والمنظر السابع من الفصل الرابع ، والذي يجري فيه اللقاء الأول والأخير بين ليدي ملفورد ولويزة حافل بالمعاني لصالح كلتا المتحاورتين : إذ تكشف فيه لويزة عن حرصها على شرفها رغم وضاعة أصلها ، وتضطر ليدي ملفورد أن تفيق من سكرة الفساد الذي انجرت إليه ، وأن تقرر الفرار من ذلك المحيط المليء بالظلم في بلاط الدوق وهذا يجعلنا نشعر بشيء من التعاطف معها والثناء لها رغم كل شيء .

أما عازف الموسيقى ملر فهو رجل جافي الطبع ، خشن المعاملة ، صريح إلى درجة الوقاحة ، متوَعّر الأخلاق ، شكس المراس . ولهذا سرعان ما وقع في مشادة مع رئيس الوزراء تطاول فيها عليه وطرده من بيته ، فاستغل الرئيس هذه الإهانة كي يحيلها إلى إهانة للدوق نفسه ، مما يجعلها جريمة طعن في الذات الملكية عقوبتها الإعدام . فأمر الرئيس بإيداعه في السجن توطئة للحكم عليه بالإعدام . واستغل الرئيس هذا الوضع ليدبر المؤامرة مع سكرتيره الخسيس فورم لإكراه لويـزة على كتابة رسالة غرامية إلى مدير البلاط .

وربما جاءت هذه الخشونة ، التي يمكن أن تعدّ اعتدادا بالنفس ، من كونه فنانا معتدا بفنه ، ومواطننا شريفا لا يطمح إلى أي ارتفاع في سلم المجتمع ، محدود الأفق .

وهو يحب ابنته الوحيدة ، لويـزة حبا ملك عليه كل نفسه ، مما جعله يترك لها حرية اختيار من تقرن به . وهذا الحب الأبوي قد دفعه إلى تجاوز الحدود مع الآخرين : مع فورم الذي يسعى إلى الزواج منها ، ومع فردنيند الذي وقع في غرامها ووقعت هي في غرامه ، ومع رئيس الوزراء الذي جاء ليحمله على إبعاد ابنته عن ابنه .

ومع ذلك نجده في غاية الخشونة مع زوجته ، ونستشف في تصرفاته نزعة شديدة نحو قهر أسرته وفرض إرادته بعنف عليها . ورغم ذلك لم يفلح في قطع علاقة ابنته بفردنيند ، وإن كان معترضا على هذه العلاقة .

أما زوجته فلعبت دورا مرييا بالنسبة إلى هذه العلاقة . إذ كانت تطمح لبتها أن تزوج من هذا النبيل الذي بزواجه يرفع الابنة إلى مصاف كبار السيدات في المجتمع ولهذا ساعدت سرا على توطيد العلاقة الغرامية بين ابنتها وفردنيند، وشجعت ابنتها على السير فيها حتى الزواج ، وفي الوقت نفسه عملت على طرد فورم .

٧- مدير البلاط

وأخيرا نجد مدير البلاط فون كَلْب نموذجاً لرجال التشريفات في بلاطات الملوك والرؤساء : التملق الرخيص ، والاحتفال بالمراسم والشكليات وحدها ، والتفاهة التامة في التفكير والتدبير . فأهم ما يحمل من أبناء إنما تتعلق بالسترة التي يلبسها الحاكم اليوم ، وحفلات الترفيه التي تنظم في القصر ، والملاهي التي ستقام في المساء ، وأنواع الرقصات التي تقرر وضعها في برنامج السهرة ، ومن هم المدعوون ، إلى آخر كل هذه الترهات والسخافات والتفاهات التي تحفل بها بلاطات الملوك والرؤساء .

وهذا النمط من الناس يتصفون بالجبن ، والاستخذاء ، والتغافل عن مقتضيات الحمية والكرامة ، ويسهل اتخاذهم مطايا لتحقيق الأغراض الدنيئة .

تقويم

ومنذ أن ظهرت هذه المسرحية ومثلت في ١٧٨٤ ، والكتّاب والنقاد يختلفون حولها اختلافا شديدا ويؤولونها تأويلات متناقضة تماما . وقد

جمع فالتر شفرشيك النصوص التي وردت فيها أحكامهم في كتاب بعنوان «تفسيرات ووثائق عن : «المؤامرة والحب» لفريدريش شلر»(*) (ص ٩٩ - ١٣٣)، فنكتفي بالإحالة إليه ، لأننا لا نستطيع عرض هذه الآراء في هذا التقديم الموجز . والعامل المميز فيها هو الاتجاه الأيديولوجي عند كل كاتب أو ناقد .

ونجتريء هنا بأن نقول إن القرن التاسع عشر وقف إزاءها موقفين متعارضين : في النصف الأول منه ساد النقد السلبي ، وفي النصف الثاني تغلب التقدير الإيجابي ، أما في القرن العشرين ففي النصف الأول منه نجد هذه المسرحية تشغل مكانا مرموقا على المسرح الألماني ، وقد أخرجها للمسرح المخرج العظيم ماكس راينهرت (١٨٧٣ - ١٩٤٣) خمس مرات في الفترة ما بين ١٩٠٤ و ١٩٣١ في المسرح الألماني في برلين . وبعد ١٩٤٥ حظيت برواج هائل هي ومسرحية «اللصوص»(**) .

وفي السينما عرضت هذه المسرحية بأربعة أشكال مختلفة (في السنوات ١٩٠٧ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، ١٩٥٩ ، وآخرها بإخراج ماتن هلبرج في ألمانيا الشرقية ، وهو الذي كتب السيناريو .

وعمل منها الموسيقار العظيم فيردي Verdi في سنة ١٨٤٩ أوبرا بعنوان : «لويزا ملر» وهو العنوان الأصلي كما قلنا .

المترجم

Er läuterungem und Dolpumentme: Friedrich Schiller Kabale und Liebe Reclam, (*) 1990, Stuttgart.

(**) راجع ترجمتنا لها التي صدرت في هذه المجموعة نفسها ، الكويت ١٩٨٣ .

أشخاص المسرحية

رئيس الوزراء : فون فالتر، لدى بلاط أمير ألماني

فردنند، ابنه، ضابط برتبة رائد

فون كلب، مدير البلاط والتشريفات

ليدي ملفورد، خلية الأمير

فورم : سكرتير خاص لرئيس الوزراء

ملر: عازف في جوقة المدينة

زوجته

لويضة : ابنتها

صوفي : قهرمانه الليدي

خادم غرفة الأمير

أشخاص ثانويون مختلفون

الفصل الأول

(غرفة في بيت العازف)

المنظر الأول

[ملر ينهض واقفاً من كرسيه ويضع كمنجة الركبة جانباً . وإلى المائدة تجلس السيدة ملر وهي لا تزال بملابس النوم وتشرب القهوة]

ملر (بسرعة، ذاهباً جائياً) مرة واحدة لا ثانية لها! المسألة أصبحت خطيرة. ابنتي تدور الشائعات حولها مع البارون* . بيتي ستسوء سمعته. ورئيس الوزراء استشم شيئاً. والخلاصة هي أنني سأمنع هذا النبيل (فردنند) من دخول بيتي .

الزوجة أنت لم تُغره على المجيء إلى بيتك ، ولم ترم ابنتك عليه .

ملر لم أغره على المجيء إلى بيتي - لم أرم ابنتي عليه - لكن من الذي ينتبه لهذا؟ لقد كنت سيداً في بيتي . كان من الواجب عليّ أن أوبخ ابنتي ، وأن أغلظ القول للرائد أو كان عليّ أن أحدث صاحب المعالي أباه عن هذا الأمر بوضوح وقوة لكن كل ما سيصيب البارون الشاب هو مجرد توبيخ ، هذا ما ينبغي عليّ أن أعلمه ، بينما العاصفة كلها ستقع على رأس العازف على الكمنجة .

* البارون هو فردنند فون فالتر ، ابن رئيس الوزراء .

الزوجة

(تشرب الفنجان بضجة) مساخر! شائعات! ماذا يهملك
منها؟ من ذا الذي يستطيع أن يتهملك بشيء؟ استمر في
مهنتك واحصل على تلاميذ أينما وجدوا.

ملر

لكن خبريني ما الذي ينتج عن هذه التجارة كلها؟ إنه
لا يستطيع أن يأخذ* الفتاة - فلا محل أبدا للأخذ، ثم
تصير الفتاة** - رحماك يا إلهي - وصباح الخير***!
أليس كذلك! حين يقوم سيد نبيل بمغامرات غرامية هنا
وهناك، وهناك وهنا، يعلم الشيطان كيف! فإنه يطيب
لهذا الشارب كثيرا أن يسعى إلى المشرب الطهور. انتبه!
انتبه! إذا أنت أولجت عينيك في كل ثقب وكنت رقيقة
على كل قطرة دم****، فستشهدين على الفور أن ولدا
قد استقر في الفتاة وانطلق من هناك فتكون الفتاة قد
تلطخت بالعار طوال حياتها وبقيت جالسة، أو
استطعمت المهنة***** واستمرت فيها (وقبضة يده على
جبينه)، يا يسوع المسيح!

الزوجة

اللهم احفظنا بعطفك.

ملر

نعم، الأمر يحتاج إلى حفظ. وإلا فأين توجه نظرها
وهدفها؟ إن الفتاة جميلة، نحيلة القوام، وتشي مشية

* أي: أن يتزوجها.

** أكمل: موسا

*** تعبير ساخر يعني: كلا، لا أقبل هذا.

**** تسيل في عروق الفتاة، وتملكتها الشهوة.

***** مهنة البغاء.

أنيقة تحت الدماغ ليكن ما يظهر. إن المرء لا ينظر في هذا عندكم معشر النساء طالما لم يرزقكن الله الحبيب بالنقائص في سائر أبدانكن. إن الشاب الطائش يفتش أولاً في هذه المنطقة. إذا أبصر ضوءاً، مثلما هي حال كليبي رودني* حين ينشد جو حرب مع فرنسي، فإن جميع الشرع يجب أن تنشر ويبدأ الهجوم، إنني لا ألومه على ذلك. فالإنسان هو الإنسان، هذا أمر يجب عليّ أن أعرفه.

الزوجة

أريد منك فقط أن تقرّأ هذه البطاقات الجميلة التي يكتبها النبيل الشاب إلى ابنتك. يا إلهي إن المرء ليرى فيها واضحاً وضوح النور، أنه ليس مشغولاً إلا بروحها الجميلة.

ملر

و هذا هو التصوير الصائب. يربت المرء على الزكية، ولكنه إنما يقصد الحمار. من يريد أن يوجه التحية إلى الجسد المعبود، ما عليه إلا أن يكلف القلب بحمل الرسالة. وكيف فعلت أنا؟ لما يفلح المرء في تحقيق الوفاق بين الأرواح، فإن الأجساد تحتذى بالحدوة الجميلة، الخدم يقلدون السادة، وفي نهاية المطاف يكون ضوء القمر هو القوّاد الوحيد.

الزوجة

لكنك لم تر إذن الكتب الرائعة التي أرسلها الرائد إلى المنزل؟ ولهذا فإن ابنتك تصلي دائماً فيه

* رودني هو اسم كلب ملر، سمّاه على اسم جورج برджер رودني Rodney (١٧١٨ — ١٧٩٢) أمير البحر الإنجليزي الذي اشترك في حرب الاستعمار بين إنجلترا وفرنسا، وانتصر على الأسطول الفرنسي سنة ١٧٨٢ بالقرب من جزيرة سان دومنجز ومن هنا جاء التلاعب بهذا النسب.

ملر

(يصفر) ياه! تصلي! أنت تفهمين جيدا في هذه الأمور إن
الأشربة القديمة المستخرجة من الطبيعة البسيطة عسيرة
الهضم على المعدة التي ألقت كعك أصحاب السيادة .
إن عليها أولا أن تجعلها تطبخ في المطبخ اللعين
لأصحاب العبارات الطنّانة من أتباع الشيطان فلتلق في
النار بهذا الهراء ، إن البنية المسكينة تستمد منه ترهات
بحث عنها في السماء الثانية ، تجري بعد ذلك في الدم
مثل حشرات الكنتريس ، وتنتهي بأن تبدد الجرعة
الصغيرة من المسيحية التي حافظ الأب عليها بصعوبة
بالغة ، كما فعل حتى الآن . نعم في النار ألق به ، أقول
لك! إن البنية ستحشر كل هذه الشيطانيات في مخها ،
وتحت تأثير الضلال في دنيا الخيال الزاهية ، فإنها في
النهاية لن تعثر من جديد على بيتها ، وستنسى أن لها أبا
اسمه ملر ، العازف على الكمنجة ، وستخجل منه ، وفي
نهاية المطاف سترفض الصهر الشريف الأمين الذي
سأقترحه عليها ، والذي كان سيكون سعيدا بوراثته
مهنتي . كلا! لعنة الله على! (بحرارة وهو يثب في الهواء)
لابد من وضع الخبز في الفرن حالا ، أما الرائد . . نعم
الرائد ، فإني أريد أن أبين له الموضع الذي صنع النجار
فيه ثقبا (يريد الخروج) .

الزوجة

كن أكثر تلطفا يا ملر! أي أموال جميلة حققتها لنا
الهدايا . . ؟

ملر

ثمنا لدم ابنتي؟ اذهبي إذن إلى الشيطان أيتها القوادة
الدينئة! إني أفضل التسول من باب إلى باب بواسطة
الكمنجة، وأن أعزف موسيقى لقاء قليل من الحساء .
وأفضل أن أكسر كمانجتي الكبيرة (الفيولونسل) وأن
أحل في صندوقها السماء، على أن أستمتع بالنقود التي
قد تكسبها ابنتي الوحيدة في نظير روحها ونجاتها . تخلي
عن قهوثك الملعونة وتبائكك، وحينئذ لن تكوني في
حاجة إلى بيع وجه ابنتك . لقد أكلت دائما حتى الشبع،
وارتديت دائما قميصا حسنا على جسمي، قبل أن يدسّ
هذا النبيل الصخاب أنفه في حجرتي .

الزوجة

أرجوك، لا تحطم الأبواب الآن! كم تلقي بالنار
والشعلات لدى أول كلمة! أريد فقط أن أقول إنه
لا ينبغي إهانة السيد الرائد، لأنه ابن رئيس الوزراء .

ملر

هاهنا يرقد الأرنب! ولهذا السبب، نعم لهذا السبب
نفسه، يجب حسم الأمر اليوم . وسيقر لي رئيس الوزراء
بالفضل، إذا كان والدا جديرا بهذا الاسم . نظفي سترتي
القطيفة الحمراء، وسأغدو لمقابلة صاحب المعالي .
وسأقول له : «إن السيد ابنك قد وضع عينيه على ابنتي،
إن ابنتي هي من قلة المنزل بحيث لا تصلح أن تكون
زوجة للسيد ابنك، أما أن تصير مومسا، فإن قيمتها
أكبر من ذلك بكثير . وحسبي هذا القول . إن اسمي
هو: ملر .

المنظر الثاني

(السكرتير فورم، ملر وزوجته)

الزوجة آه! صباح الخير يا حاضرة السكرتير. هل صار من حسن

حظنا أخيرا أن نراك مرة أخرى؟

فورم هذا من حسن حظي أنا، يابنت عمي العزيزة. فحينها

ينال المرء زيارات فارس نبيل، فإنه لا يحفل بالمتعة

البرجوازية التي يمكن أن أحدثها.

الزوجة ماذا تقول، سيدي السكرتير؟ سيادة الرائد فون فالتر

يتنازل من حين إلى آخر فيمنحنا هذا الشرف، لكننا

لا نزدري أحدا لهذا السبب.

ملر (متضايقاً) هات كرسيًا للسيد، يا امرأة! هل تتخفف،

سيدي الجار؟

فورم (يضع قبعته وعصاه، ويجلس) حسنا! حسنا! وكيف

حال (زوجتي) المقبلة... أو الماضية؟ وعلى ذلك

لا أريد أن أصدق. هل لا أستطيع أن أراها... الآنسة

لويزة؟

الزوجة أشكر لك اهتمامك يا سيدي السكرتير! لكن ابنتي

ليست أبدا متكبرة.

- ملر (متضايقا، يدفعها بكوعه) يا امرأة!
- الزوجة فقط يؤسفني أنها لا تستطيع أن تشرف بزيارة السيد السكرتير. ذلك لأنها ذهبت منذ قليل لحضور القداس.
- فورم هذا أمر يسرني، نعم هذا يسرني. سيكون لي بها ذات يوم زوجة تقية، مسيحية طيبة.
- الزوجة (تبتسم، وعلى وجهها سياء فخر ساذج) نعم، لكن ياسيدي السكرتير. . .
- ملر (في حيرة ظاهرة، يقرص أذنها) يا امرأة!
- الزوجة : إذا كنا نستطيع أن نسرّك بشيء آخر، فعن طيب خاطر سيدي السكرتير.
- فورم (بنظرة شريرة) بشيء آخر! لا، شكرا كثيرا! شكرا كثيرا! هم! هم! هم!
- الزوجة لكن سيدي السكرتير لابد أن يفهم. . .
- ملر (بانفعال، دافعا إياها من الخلف) يا امرأة!
- الزوجة ماهو حسن حسن، وماهو أحسن أحسن، وحينما لا يكون للمرء إلا ابنة واحدة، فإنه لا يستطيع أن يحول دون سعادتها. (بكبرياء ريفية) أظن أنك تحزر ما أريد أن أقوله، ياسيدي السكرتير؟

فورم (في اضطراب وقلق وهو جالس على كرسيه، يحك خلف أذنيه ويشد أكمامه وينطاله) أحزر؟ كلا . . آه! نعم . . . ماذا تقصدين بهذا؟

الزوجة آه، آه! أردت فقط أن أقول . . . ظننت (تسعل)، مادام الله الرحيم يريد حقاً أن يجعل من ابنتي سيدة عظيمة . . .

فورم (يثب من الكرسي) ماذا تقولين؟ ماذا؟

ملر ابق جالسا! ابق جالسا، سيدي السكرتير! إن زوجتي! وزة مغفلة . من أين تريد أن يصدر هذا اللقب: سيدة عظيمة؟ من هو الحمار الذي يكشف لنا عن أذنه الطويلة في هذا الهراء؟

الزوجة : اصرخ كما تشاء . أنا أعرف ما أعرف . وما نطق به السيد الرائد قد نطق به .

ملر (وقد خرج عن طوره، يعدو إلى كمنجته الكبيرة) ألا تريد أن تمسكي لسانك؟ أتريدين من كمنجتي الكبيرة أن تنهار على رأسك؟ ماذا تستطيعين أن تعرفي؟ ماذا عسى أن يكون قد قال؟ لا تحفل بهذه الثثرة، سيدي ابن العم . أما أنت فاذهبي إلى المطبخ! أرجو ألا تظن أنني من البلاهة المتجسدة لدرجة أن أريد أن أدفع بابنتي في دنيا الأكابر؟ لن تأخذ عني مثل هذه الفكرة، ياسيدي السكرتير؟

فورم

: ولهذا لا أستحق ذلك منك، ياسيدي العازف. لقد تجليت لي دائماً رجلاً صاحب كلمة، وآمالي في ابتك كانت بمثابة أمر متفق عليه. إن وظيفتي تكفي - مع التدبير - أن تعول أسرة. ورئيس الوزراء يريد لي الخير، ولن أعدم التوصيات لو أردت الترقيات. وأنت ترى أن نيتي فيما يختص بالآنسة لوييزة نية جادة وصادقة، بينما أنتم لربما قد خدعكم مهذار نبيل . . .

الزوجة

أرجوك ياسيدي السكرتير فورم، أن تلزم الاحترام . . .

ملر

قلت لك أمسكي لسانك. وأنت ياسيدي يا ابن العم*، لا تهتم. إن كلمتي واحدة. وما قلته لك في الحديث الماضي أكرره لك اليوم. إنني لا أرغم ابنتي. إذا كنت مناسبة لها فهذا حسن، ولها هي أن ترى كيف ستكون سعيدة معك. فإن هزّت رأسها، فهذا أحسن، أقصد أن هذه إرادة الله . . . ابلع الرفض واشرب زجاجة مع أبيها. إن البنت هي التي ستعيش معك أنت، لا معي أنا. ولماذا - لمجرد العناء - ألقى على رأسها برجل لا تستطيع احتماله؟ أمن أجل أن يطاردني الشيطان في أخريات عمري كفريسة له؟! أمن أجل أن أبتلع في كل كأس من الخمر وفي كل ملعقة حساء هذا التأنيب: «أنت المجرم الذي تسبب في شقاء ابنته»؟!*

* خطاب تحية فقط، ولا يدل على معنى القراية.

الزوجة

إطلاقاً ودون كثرة من الكلام، أنا أرفض الموافقة رفضاً تاماً، إن ابنتي قيضت لأمر عظيم، وسألجأ إلى المحاكم إذا استسلم زوجي للإغراء.

ملر

أتريدني مني أن أكسر ذراعيك ورجليك، يا أيها اللسان اللعين؟

فورم

(يخاطب ملر) ونصيحة الوالد يمكن أن تؤثر كثيراً في ابنته، وأرجو أن تعرفني جيداً، يا سيد ملر.

ملر

إيه! بحق كل الشياطين! إن على ابنتي أن تعرفك. وماعسى أن يسرنى فيك يا صاحبي، ليس هو الذي يتمتع الفتاة الطموح. في وسعي أن أقول لك، بالضبط تقريبا هل عندك ماينبغي من الصفات كما تكون عضوا في أوركسترا، أما نفسية المرأة فإنها عسيرة الفهم حتى على رئيس فرقة موسيقية. وكى أكون صريحا معك يا ابن العم، أقول لك إنني ألماني صريح لا أعرف الالتواء، إن نصيحتي لن تجعلك معترفا بالجميل إنني لن أنصح ابنتي بالزواج من إنسان بعينه، وسأقنعها بألا تأخذك، ياسيدي السكرتير! ودعني أكمل كلامي. إن العاشق الذي يستنجد بالوالد لا يبعث في نفسي أية ثقة به، وسأحني على هذا القول. لو كانت عنده مزية، فسيخجل من هذه الطريقة البالية. . للإقناع بمزياه لدى المحبوبة. وإن أعوزته الشجاعة كما يتصرف

بنفسه، فإنه يكون جانا، ومثيلات لويضة لا يصلح
له. إن عليه أن يقوم بدوره عند البنت دون أن يعلم
الأب. وعليه أن يجعل البنت تترك أباه وأمه يذهبان إلى
الشیطان، أولى من أن تتخلى عنه، أو أن تذهب هي
بنفسها إلى أبيها وتلقي بنفسها عند قدميه طالبة منه،
باسم الله، إما الموت الأسود الشاحب، وإما حبيب
قلبها الوحيد! هذا هو من اسميه رجلا شجاعا! وهذا
هو ما يسمى الحب حقا! والذي لا يستطيع أن يتقدم
هكذا نحو المرأة ما عليه إلا أن يتسلل في وحدته بالركض
على الورق بقلمه الذي من ريشة الإوز.

(يأخذ قبعته وعصاه ويخرج من الغرفة) مع وافر الشكر
والعرفان يا سيد ملر!

فورم

(يتبعه ببطء) ماذا! ماذا! إنك لم تتناول شيئا، سيدي
السكرتير! (عائدا أدراجه) إنه لا يصغي لشيء، لقد
مضى لسبيله. حينما أرى بعيني حكاك الورق هذا،
أشعر بأي مثل من يتجرع سماً أو شراباً مقيئاً. رجل
عجيب، مقزز! يلوح كما لو أن مهرباً قد أدخله بالغش
في عالم الله الرحيم. عيون صغيرة كعيون الفئران المليئة
بالمكر، وشعر أحمر مشتعل، وذقن مثل القبقاب، كما لو
كانت الطبيعة، بسبب تضاييقها من كونها صنعت
صناعة رديئة، قد أمسكت هذا الوغد من هذه الذقن
ورمت به في أحد الأركان. كلا! بدلا من أن أضحي

ملر

بابنتي لمثل هذا الوغد، أفضل أن أراها . . . اللهم
اغفر لي!

الزوجة

(بمرارة، ومتظاهرة بأنها تبصق) هذا الكلب! لكن يوجد
هناك من يستطيع أن يحرم فمك من تناول هذه اللقمة* .

ملر

وأنت أيضا بالسيد النبيل اللعين صاحبك هذا! لقد
جعلتيني منذ لحظات أخرج عن طوري . أنت لا تكونين
أكثر حماقة إلا في الوقت الذي ينبغي عليك فيه أن تكوني
حذرة . فيم كل هذه الثثرة عن سيده عظيمة وعن
ابتك؟ أنت تحسنين اختيار رجلك! لمثله يجب أن يقال
كلام من هذا النوع، إذا أريد فضح ابتك واللغظ بها
عند نافورة السوق . إنه بالفعل واحد من أولئك الثرثارين
الذين يتشممون كل الأركان في بيوت الناس، متحدثين
عن كهف الخمور والمطبخ، وإذا بدرت كلمة طائشة،
فإن الأمير، والخليلة، ورئيس الوزراء يعلمون بها في الحال
ويسقط الرعد مشتعلا على جسمك .

* اللقمة : أي لوزية .

المنظر الثالث

(تدخل لويزة ملر وفي يدها كتاب*، ملر والزوجة)

لويزة : (تضع كتابها، تذهب إلى ملر وتصافحه) صباح الخير
يا أبي!

ملر مرحى، يا لويزي! يسرني أن تفكري باستمرار في
خالقك. ابقِي هكذا دائما، يكن في عونك.

لويزة إني كثيرة الخطايا**، يا أبي! هل جاء يا أمي؟

الزوجة مَنْ، يا ابنتي؟

لويزة : آه! لقد نسيت أن هناك رجالا آخرين غيره. إن رأسي
مشوش ألم يجيء فالتري؟

ملر (بحزن وجد) لقد ظننت أن لويزة قد تركت هذا الاسم
في الكنيسة.

لويزة (بعد أن تطلعت في وجهه بعض الوقت) أنا أفهمك،
يا أبي. وأشعر بالخطر الذي تغرسه في ضميري، لكن
فات الأوان. لم أعد تقيّة، يا أبي. إن السماء وفردنيند

* كتاب الصلوات، فهي عائدة من الكنيسة.

** تقول هذا لأنها سمعت منذ قليل موعظة القسيس وهو يتحدث عن الخطيئة والخطائين.

يتنازعان نفسي الدامية . وأخشى ، وأخشى (بعد توقف) .
كلا يا أبي أيطيب أم لا يجد الفنان ، حين ننساه من أجل
لوحه إن هذا هو أكبر مديح له؟ ألا يفرح الله إذا كان
السرور الذي أستشعره لدى رؤية بديع صنعه يصرف
انتباهي عنه؟

ملر (يلقي بنفسه على كرسيه متضايقاً) هانحن أولاء! تلك
هي ثمرة هذه القراءات الكافرة*!

لويزة (تقترب من نافذة وعليها سيبا القلق) أين عساه أن يكون
الآن؟

آنسات الطبقة الراقية اللواتي يرونه ويستمعن إليه! أما أنا
فما أنا إلا فتاة مسكينة منسية (تفزع من هذه الكلمات
وتندفع نحو أبيها) . كلا! مع ذلك ، كلا ، ساحني . إني
لا أندب حظي . لا أريد إلا أن أفكر فيه قليلاً . هذا
لا يكلف شيئاً . هذه البضعة من الحياة ، كما أود أن
أحولها إلى نسمة رقيقة ناعمة ، ابتغاء أن أروح عن
وجهه؟! زهرة الشباب هذه ، لو كانت بنفسجة ولو
مشى عليها ، ولو استطاعت أن تموت بتواضع تحت
قدميه! كان هذا سيكفيني . يا أبي حين تستحم البعوضة
في أشعة الشمس — هل يعاقبها الكوكب ذو الجلال
والكبرياء على هذا الفعل؟

* يقصد بها: القصص الغرامية .

ملر

(وقد غلبه التأثر، ينحني على ذراع كرسيه ويغطي وجهه)
اسمعي يا لويزة! كان بودي أن أتنازل عن بقية عمري
نظير ألا تكوني قد رأيت الرائد أبدا.

لويزة

(فزعة) ماذا تقول؟ ماذا؟ كلا! ليس هذا ما يقصده
والدي الرءوم. أنت لا تعلم قطعا أن فردنيند هولي،
وقد خلق من أجلي، من أجل سعادتي، خلقه (رب
السموات) أبو المحبين. (تستغرق في التفكير). حينما
رأيت لأول مرة، (بحماسة أكبر) وعلا الدم في خدودي،
خفق قلبي بمزيد من التوثب ومزيد من السرور، وكانت
كل خفقة تقول، وكل نسمة تهمس: «إنه هو!»، وتعرف
قلبي ما كان ينقصه دائما من قبل، وقال: «إنه هو!».
وترددت هذه الكلمة في أنحاء الطبيعة كلها مسرورة
بسروري! هنالك.. أوه! هنالك فقط أشرق في نفسي
أول فجر. وتدفقت من قلبي آلاف المشاعر الجديدة مثلما
تنشق الأزهار من التربة حينما يأتي الربيع. لم أعد أبصر
العالم، ومع ذلك فيني أتذكر أنه لم يكن بهذا الجمال.
ولم أعد أفكر في الله، ومع ذلك فيني لم أجبه قدر ما
أجبهه آنذاك.

ملر

(يندفع نحوها ويضمها إلى صدره) لويزة...
عزيزتي... ابنتي الحبيبة... خذي رأسي العجوز
الواهن... خذي كل شيء، نعم كل شيء! أما
الرائد -والله شهيد على ذلك- فيني لن أستطيع أبدا أن
أعطيك إياه. (يخرج).

لويزة

ولهذا لا أريد أن يكون لي الآن، يا أبي؟ لذة القطرة من
الندى المسكينة التي تسمى الزمان . . . حلم واحد،
انشغالي بفردنيذد يكفي لامتصاصها بلذة. إني أتحلى عنه
فيما يتعلق بهذه الحياة ثم بعد ذلك، يا أمي، بعد ذلك
حينما تزول الحواجز الفاصلة، حين ننبذ بعيدا عن ذلك
الغلاف الكريه من الظروف المختلفة، وحين لا يكون
الناس إلا الناس . . . حيثئذ لن أحمل معي إلا براءتي .
لكن أبي قال مرارا إن النيات والألقاب الضخمة ستكون
قليلة القيمة حينما يأتي الله وترتفع قيمة القلوب . حيثئذ
سأكون ثرية هناك في أعلى، تعد الدموع انتصارات
والأفكار الطيبة أجدادا* حيثئذ سأكون نبيلة، يا أمي ! .
ماذا سيكون له . . . إني أسألك أكثر من حبيبة؟

الزوجة

: (تثب في الهواء) لويزة! الرائد! إنه يجتاز لوح النهر أين
أختفي .

لويزة

تبدأ في الارتعاش ابقني إذن، يا أماه .

الزوجة

يا إلهي! هيئتي هذه تدعو إلى الخجل! إني لا أستطيع أن
أظهر بهذه الهيئة أمام سيادته! (تخرج) .

* أجدادا يتفاخر بها بدلا من الأجداد النبلاء .

المنظر الرابع

(فرديند فون فالتر، لويزة)

«يهرع إليها . . ترعني على كرسي، يعلوها الشحوب والهزال، . . يتوقف هو أمامها، ينظر كلاهما إلى الآخر مدة من الزمن وهما صامتان . . وقفة»

فرديند أنتِ شاحبة، يا لويزة!

لويزة (تقف وترعني على رقبته) هذا لا شيء، لا شيء! أأست
حاضرا هاهنا؟ لقد زال ما بي .

فرديند (ممسكا بيدها ورافعا إياها إلى شفثيه) هل لويزتي لاتزال
تحبني؟ إن قلبي اليوم هو قلبي بالأمس، فهل هذه هي
أيضا حال قلبك؟ إني دخلت بسرعة، أريد أن أرى أنك
هادئة ساجية، وسأمضي راجيا أن أكون أنا أيضا هادئا
ساجيا . لكنك لست كذلك!

لويزة بلى، بلى يا حبيبي!

فرديند قولي الحق . أنت لست كذلك! إني أرى خلال نفسك،
مثلا أرى خلال الماء الصافي لهذا الجوهر اللعاب (يربها
خاتمه) . لا تعلق أية فقاعة بخار إلا شاهدها . وعلى هذا
الوجه لا تشرق أية فكرة تفلت مني . ماذا بك؟ خبريني
بسرعة . إن العالم بالنسبة إليّ خال من الغيوم، طالما
كانت هذه المرأة جليلة أمام عيني . ماذا يجزئك؟

لويـزة

(تتطلع فيه لبعض الوقت وهي صامتة وبطلعة معتزة، ثم تقول له في حزن): فرديند! لو كنت تعلم كيف أن هذا الكلام يلائم البرجوازية الصغيرة .

فرديند

ما هذا؟ (بدهشة) اسمعي يا فتاة! من أين جاءتك هذه الفكرة؟

أنت لويـرتي من قال لك إنه يجب عليك أن تكوني شيئاً آخر؟ إن لم تكوني إلا حبا بالنسبة إليّ، فأين وجدت الوقت لعقد مقارنة بينك وبينني؟ حين أكون بالقرب منك، فإن عقلي كله يذوب في نظرة، وفي حلم مليء بك حينما أكون بعيدا عنك . وأنت أتجدين مكانا أيضا للمد تجاه حيي؟ اخجلي! إن كل لحظة تضيعينها في حزنك هي لحظة أنت تسرقينها من حبيبك .

لويـزة

(تمسك بيده، وهي تهز رأسها) أنت تريد تخديري، يا فرديند . أنت تريد أن تصرف عيوني عن هذه الهاوية التي لا بد سأسقط فيها . إني أرى المستقبل . . وصوت المجد، ومشروعاتك، وأباك (تفزع وتدع يدها تسقط فجأة) . فرديند! خنجر موجه إليك وإلى! إنهم يفصلون بيننا!

فرديند

إنهم يفصلون بيننا (يثب فجأة) من أين جاءك هذا الشعور، يا لويـزة إنهم يفصلون بيننا، من ذا الذي يستطيع أن يحطم ما انعقد بين قلبي، أو أن يفرق بين أصوات منسجمة؟ إنني رجل نبيل . فلننظر هل وثائق

نبالتني أقدم من الخطوة الأولى للكون الواسع؟ وهل
أسلحة نبالتني أكبر صدقاً من قرار السماء الذي أقرأه في
عيني لويزة، وهو «هذه المرأة هي هذا الرجل»؟ صحيح
أنني ابن رئيس الوزراء . . هذا سبب أدعى . فأني شيء
غير الحب يمكن أن يخفف اللعنات التي ستبصقها عليّ
مطالبات أبي الظالمه؟

أوه! كم أخشى من هذا الأب!

لويزة

إنما لا أخشى شيئاً، لا أخشى شيئاً غير الحدود التي
تضعينها لحبك . ولو تجمعت العقبات فيما بيننا وصارت
كالجبال، فإني سأجعل منها درجات وأقفز عليها كي
أرتقي بين ذراعي لويزة . وعواصف المصير المعاكس
ستزود عواطفني بالمزيد من التحليق، والأخطار لن تفعل
إلا أن تجعل لويزتي أكثر جاذبية . فلا تحدثنني بعد عن
الخشية، يا حبيبتي . وأنا من ناحيتي سأسهر عليك، كما
يسهر التين المسحور على الكنوز التي تحت الأرض .
اعهدي بنفسك إليّ ولست في حاجة إلى ملك حارس
آخر . سألقي بنفسي بينك وبين المصير . سأتلقي نيابة
عنك كل جرح . سأجمع لشفتيك كل قطرة من كأس
السرور، وأحملها إليك في كأس الحب [يعانقها برقة
وحنان] . أريد أن تمضي لويزتي عمرها مستندة إلى هذا
الذراع وهي في ابتهاج، أريد أن ترجعي إلى السماء أجمل
مما تلقيت منها، فإن الحب وحده هو الذي يستطيع أن
يتوج جمال الأرواح .

فرديند

لويـزة (تبعده عنها بانفعال شديد) حسبك هذا! أرجوك أن
تسكت! لو كنت تعلم... دعني... أنت لا تعلم أن
آمالك تمزق قلبي مثل الغوريات* (تهم بالخروج).

فردنـند : (محتجزا إياها) لويـزة! كيف؟ ماذا؟ ماذا يتتابك؟

لويـزة : إني نسيت هذه الأحلام وكنت سعيدة بذلك . والآن!
الآن! ابتداء من اليوم ضاع السلام من حياتي . وأنا أعلم
أن رغبات صاحبتة ستعصف في قلبي . اذهب ، ساحك
الله ! لقد ألقيت بشعلة ملتهبة في قلبي الهادئ الشاب ،
ولن تنطفئ أبدا ، أبدا (تندفع نحو الخارج) يتبعها في
صمت .

* الغوريات : هن ثلاث إلهات موكلات بتنفيذ الانتقام الإلهي في المجرمين والخطئين .

المنظر الخامس

(صالون في بيت رئيس الوزراء)

«رئيس الوزراء، وفي عنقه زينة، وعلى صدره قلادة، والسكرتير فورم،
يدخلان معا»

رئيس الوزراء علاقة حادة؟ ابني؟ كلا يا فورم، إنك لن تجعلني
أصدق هذا أبدا.

فورم : ليتفضل معاليك ويطلبني بالدليل .

رئيس الوزراء أما أن يغازل الدهماء البرجوازيين، ويقول لهم عبارات
لطيفة، وأن يذهب حتى إلى درجة أن يمثل عليهم لعبة
الوجدان، فإن هذه أمور أراها ممكنة، وأجدها قابلة
للتسامح، ولكن . . وأيضا مع ابنة عازف، كما تقول؟

فورم : نعم ابنة عازف الموسيقى ملر.

رئيس الوزراء : أهى جميلة؟ طبعا.

فورم : (بلهفة) إنها أجمل نموذج لفتاة شقراء، وإذا لم أبالغ
لقلت إنها ستتجلى إلى جانب أجمل الجميلات في
البلاط.

الرئيس*

أنت تقول لي، يافورم، إن ابني يستلذ هذه الفتاة، وأنا أفهم هذا. لكن ياعزيزي فورم، إذا كان ابني يستعذب مفاتن الجنس اللطيف، فإن هذا يجعلني أؤمل أن السيدات لن يكرهنه. وسيتمكن من أن يشق طريقه في البلاط. الفتاة جميلة، تقول أنت، إنه ليسرني أن عند ابني ذوقا. وإذا استطاع أن يجتذب هذه المجنونة. بوعود أكيدة فهذا أحسن، لأن هذا يبرهن لي على أن عنده من الذكاء ما يكفي للاستفادة من الكذب ويمكن أن يصير رئيسا للوزراء. وفضلا عن ذلك فإنه إذا استطاع تحقيق مآربه، فهذا أكثر من رائع، لكن هذا يدل على أنه سعيد الحظ. وإذا انتهت هذه المهزلة بجنين سليم البنية، فهذا أمر منقطع النظير. وسأشرب زجاجة من خمر مألقة احتفالا بالمستقبل السعيد لشجرة نسبي، وسأدفع لخليلته الغرامة عن سوء السلوك.

فورم

كل ما أتمناه، يا صاحب المعالي، هو ألا تضطر إلى تجرع هذه الزجاجة من أجل تسرية الهم عن نفسك.

الرئيس

(بجد) يافورم! تذكر أنني حين أصدق شيئا، فإنني أصدقه بعناد، وأنني حين أغضب فإنني أستشيط غضبا. أنت أردت أن تثير ثائرتي، وإني أود ألا أغضب من ذلك. أما أنك تريد التخلص من منافس فأنا أعتقد هذا عن طيب خاطر، وأرى أنك تجد من العسير عليك أن

* سنكتفي من الآن فصاعدا بهذا اللقب المختصر، والمقصود دائما هو: رئيس الوزراء.

تحل محل ابني عند الفتاة، وتريد أن تجعل من الأب مزبة لطرده الذباب، فإن هذا يبدو لي أمرا يمكن تصوره. أي أن لديك استعدادات طيبة لمهنة الخداع، فهذا يسرني حقا. لكن، ياعزيزي فورم، يجب عليك ألا تمارس هذه اللعبة معي أنا، وعليك -افهمني جيدا- ألا تدفع بهذه الحيلة إلى حد أن تهاجم مبادئتي.

فورم

ليسأخبرني صاحب المعالي! إذا كانت الغيرة لها دور هاهنا، كما تظن، فإنها غيرة عيون، لا غيرة لسان.

الرئيس

وأنا من ناحيتي أرى أن ينحيتها جانبا تماما. يامغفل! ماذا يهمك أن يأتيك كرلينو* جديد من النقود أو من عند صاحب مصرف؟ عز نفسك بمثال نبالتنا عن علم أو عن غير علم، من النادر أن ينعقد زواج عندنا إلا وستة على الأقل من الضيوف -أو من الخدم- يرسمون خطة هندسية لفردوس الزوج.

فورم

(ينحني) في هذه النقطة سأظل برجوازيا عن طيب خاطر، يا صاحب السعادة.

الرئيس

ومن ناحية أخرى، سنستطيع قريبا جدا أن نستمتع بأن نرد إلى منافسك هذه السخرية على أجمل نحو فقد وضعت الوزارة خطة تقضي في الظاهر بفصل الليدي ملفورد عند مجيء الدوقة الجديدة، وزيادة في الإيهام بأن تعقد زواجا. وأنت تعلم يا فورم أن الثقة بي تستند إلى

* عملة من الفضة أو الذهب تساوي ١٠ جولدن، ضربها لأول مرة في ١٧٢٦ أمير بافاريا «كارل ألبرت» وضربت أمثالها مرارا في كثير من الولايات الألمانية الجنوبية وكانت هذه العملة لا تزال سارية المفعول في ولايتي فورتنبرج وبافاريا إبان حياة شلر.

تأثير سيدي الليدي، كما أن نفوذي يستمد قوته من شهوات الأمير، إن الدوق يبحث عن زوج لليدي ملفورد. ويمكن أن يتقدم شخص آخر وأن يعقد الصفة ويجتذب إلى نفسه، بواسطة هذه السيدة، ثقة الأمير ويصبح شخصا لا غنى عنه. وإذن لكي يبقى الأمير في شبكة أسرتي، فإن ابني فرديند يجب عليه أن يتزوج الليدي ملفورد. أهذا واضح لك؟

فورم

واضح لدرجة أنه يخرق عيني. على الأقل الرئيس برهن هاهنا في أن الأب، بالنسبة إليه، ليس إلا تلميذا. لو بين الرائد (فرديند) أنه ولد مطيع بقدر ما تظهر أنت أبا حنونا، فإن الحوالة يمكن أن تعود إليك مع بروتستو.

الرئيس

: لحسن الحظ لم أعلق حتى الآن على تنفيذ أي مشروع، إذا ما استطعت أن أستاذ إلى توقيع سليم يقول: «هذا يجب أن يكون» لكن، يافورم، هذا يعود بنا إلى الموضوع الذي كنا نتحدث فيه منذ قليل. سأعلن لابني عن زواجه، منذ هذا الصباح. والسحنة التي سيستقبل بها ذلك الخبر ستبرر شكوكك أو تفندها تماما.

فورم

: يا صاحب المعالي، أرجو مغفرتك! إن السحنة الكئيبة التي سيديها لك من غير شك يمكن أن ترجع إما إلى الزوجة التي ستقترحها عليه أو إلى تلك التي ستتزعجها منه. أنا أدعوك إلى اللجوء إلى تجربة أكثر حسما. اختر له أنسب زوجة في هذه البلاد، فإن وافق فإن السكرتير فورم يوافق على أن يجر الكرة الحديدية طوال ثلاث سنوات.

- الرئيس يعزّض على شفتيه : يا للمصيبة !
- فورم : الأمر كما قلت لك . الأم – وهي البلاهة متجسدة – حدثتني عن هذا كثيرا بسذاجتها .
- الرئيس (يغدو ويروح ، كاظما غيظه) حسن ! هذا الصباح بعينه !
- فورم لكن ، يا صاحب المعالي ، لا تنس أن الرائد هو ابن سيدي .
- الرئيس : سأراعي خاطرك يا فورم .
- فورم والخدمة التي أسديها إليك بإبعاد الكنة المزعجة .
- الرئيس : تستحق بالمقابل أن أساعدك على الحصول على زوجة .
- ليكن ، يا فورم !
- فورم (ينحني وعلى وجهه سيماء الرضا) في خدمتك دائما يا صاحب المعالي (يريد الخروج) .
- الرئيس : ما آمنتك عليه من سر منذ قليل يا فورم (يهدده) لو كشفت عنه . .
- فورم (يضحك) في هذه الحالة ، يحق لصاحب المعالي أن يكشف توقعاتي المزيفة . (يخرج) .
- الرئيس : صحيح أنني متأكد منك . إنني أمسك بأفعالك الشريرة ، مثل إمساك الجيفة بخيط .
- خادم غرفة (يدخل) مدير البلاط فون كلب .
- الرئيس : لقد جاء في الوقت المناسب . قل له : مرحبا . (يخرج خادم الغرفة) .

المنظر السادس

(مدير البلاط فون كلب، بزي التشريفات، وهو رجل ثري، لكن ليس لديه ذوق، وعليه مفتاح الاوران، وساعتان وسيف، ومعه قبة، وتصفيف شعره على شكل شعر القنفذ، يهرع بصخب نحو الرئيس ويفوح منه في كل مكان عطر المسك، والرئيس)

مدير البلاط (وهو يعانقه) آه صباح الخير، يا صديقي العزيز جدا! كيف استرحت؟ كيف كان لذلك؟ أنت ستسامحني، أليس كذلك، إذا كان من حظي أن آتي متأخرا، لكن الأعمال المستعجلة، وقائمة طعام العشاء، وبطاقات الزيارة، وترتيب الحمامات المختلفة التي ستشارك في مسابقة الزحافات اليوم. آه! ثم إنه كان علي أن أصحو لدى طلعة الشمس لأخبر صاحب السمو كم الساعة.

الرئيس نعم، يا مديري، إني أرى أنك لا تستطيع حقا أن تكون فارغا من العمل.

مدير البلاط وفوق هذا كله، فإن الحياط الوغد جعلني أنتظر.

الرئيس ومع ذلك فأنت مضبوط ومستعد تماما؟

مدير البلاط وليس هذا كل شيء. فاليوم مصيبة جرّت مصيبة أخرى. اسمع فقط!

الرئيس

(في سهو) ممكن هذا؟

مدير البلاط

اسمع فقط . لم أكد أنزل من العربة حتى فزعت الخيل ،
وضربت بأقدامها على الأرض وراحت ترفس بشكل
جعل الطين يتناثر عليّ وعلى سراويلي من فوق إلى تحت .
ماذا أفعل؟ ضع نفسك -من فضلك- في مكاني ،
يا بارون! أنتصوري في هذه الحالة؟ كان الوقت متأخراً .
لقد كانت سفرة كبيرة ، والمثول في هذه الحالة أمام
صاحب السمو ، يا إلهي العادل! ماذا تصورت أنا ،
تظاهرت بالإغواء . فحملوني بسرعة في العربة . وعدت
إلى بيتي وبطني في اتجاه الأرض . وغيرت ملابسني .
وعدت . فماذا تقول في هذا؟ وأنا لا أزال أول الحاضرين
في غرفة الانتظار . ما رأيك في هذا؟

الرئيس

إن هذه مرتجلة رائعة من اللطافة الإنسانية . لكن دع
عنك هذا ، يا كلب ، وقل لي : هل تكلمت مع الدوق؟

مدير البلاط

(وعليه سبيل الأهمية) لمدة عشرين دقيقة ونصف .

الرئيس

خبرني بصراحة . ولا شك أنك أتيتني بخبر مهم؟

مدير البلاط

(بجد ، وبعد لحظة صمت) إن صاحب السمو يلبس
اليوم سترة من فراء القندس (كاستور) بلون خمر الإوز* .

* كان ذلك أحدث بدع (موضة) في تلك الأيام .

الرئيس

ما هذا الكلام! كلا، يامدير، في هذه الحالة عندي ماهو أهم لأخبرك به . إن ليدي ملفورد ستصبح زوجة للرائد فون فالتر، هذا قطعاً خبر جديد بالنسبة إليك؟

مدير البلاط

أ يكون هذا حقاً! وهل تم عقد الزواج؟

الرئيس

تم التوقيع عليه يا مدير . وسيكون فضلاً منك إذا أنت ذهبت بدون إبطاء لتهنئة سيدتي الليدي لزيارتها، وأعلنت في كل القصر عن قرار ابني فردينند . .

مدير البلاط

(وهو مسرور جداً) أوه! بسرور بالغ، يا عزيزي جداً . هذا أمر ليس عندي ماهو أ دعى إلى السرور منه . سأذهب حالا . (يعانقه) . لك السلامة . وبعد ثلاثة أرباع الساعة، ستعلم المدينة كلها بذلك . (يخرج وهو يقفز) .

الرئيس

(ينظر إليه وهو يضحك) ليقول من شاء إذن إن هذه المخلوقات لا تفيد شيئاً في هذه الدنيا . الآن يجب على ابني فردينند أن يريد ذلك، وإلا لكانت المدينة كلها قد كذبت . (يقرق الجرس . فورم يجيء) ليدخل ابني . (فورم يخرج، الرئيس يغدو ويحيى، وهو غارق في التفكير) .

المنظر السابع

(فردنيند والرئيس وفورم «الذي يخرج في الحال»)

فردنيند أنت أمرت، ياسيدي الوالد. . .

الرئيس : وا أسفاه! لا بد من ذلك، حين أريد ذات مرة أن أستمتع برؤية ابني. . . اتركنا وحدنا يافورم! (يخرج). أي فردنيند إني أراقبك منذ زمن ولكنني لا أجد بعد ذلك الشباب الذي طالما أعجبني. إن حزنا غريبا يقيم في وجهك، أنت تهرب مني، وتهرب من أوساطك* المعتادة. في مثل سنك تغتفر عشرة أعمال طائشة أولى من أن تغتفر نوبة ضعف واحدة. بي أنا يليق هذا المزاج. فدعني أعمل على تحقيق سعادتك، ولا تفكر إلا في أن تشارك في لعبتي. تعال، قبلني يا فردنيند!

فردنيند أنت اليوم في غاية الطيبة معي، يا أبي.

الرئيس : اليوم، يا عفيف! ومع ذلك فهذا اليوم أيضا مصحوب بتقطعية عبوس. (يتكلم بجذ). يافردنيند من أجل من شققت أنا طريقتي المليء بالمخاطر والذي يقود إلى قلب الأمير؟ من أجل من قطعت صلتني مع ضميري ومع

* أوساط زملائه الذين من طبقته الاجتماعية.

السءاء؟ اسمع يا فردنند! إنا أتكلم مع ولدي . لمن
أخلت المكان بإبعاد سلفي؟ إن هذه حكاية تجعل قلبي
يقطر دما بقدر ما أخفي بعناية عن عيون الناس الخنجر .
اسمع! قل لي يا فردنند! من أجل من فعلت كل هذا؟

فردنند

(يتراجع فزعا) أبتاه ليس هذا من أجلي أنا! وليس على
رأسي أنا سيسقط الانعكاس الدامي لهذه الجريمة! والله
العظيم! إن الأفضل ألا أكون قد ولدت من أن أتخذ
تبريرا لمثل هذه الفعلة النكراء .

الرئيس

ماهذا؟ ماذا؟ لكني أريد أن أغفر هذا للرأس الهائمة في
التخيلات! يا فردنند! لا أريد أن أستشيط غضبا . أيها
الولد الغرّ، أهكذا تكافئني على الليالي التي قضيتها دون
أن أذوق طعم النوم؟ وبهذا تجازيني على الهموم
المتواصلة . . وعلى العقرب الأبدي المختبئ في ضميري؟
أعليّ أنا يسقط عبء المسؤولية . . وعلّي أنا اللعنة ،
ورعد القاضي؟! إنك تستلم الجاه والثراء من اليد
الأخرى، إن الجريمة لا تنتقل إلى الوارث .

فردنند

(يسط يده اليمنى نحو السماء) إني أتنازل بكل جد عن
ميراث يجعلني لا أفكر في أبي إلا وأنا في غاية الفرع
والرعب .

الرئيس

اسمع يافتي! لا تهيج غضبي . لو سارت الأمور على
حسب ما تتخيل ، لأصبحت ترحف في التراب طوال
حياتك .

فردنيند

كان هذا أفضل ، يا أبي ، من الزحف حول العرش .

الرئيس

(كاظما غضبه) هم! لابد من إرغامك في الإقرار
بسعادتك ، إن الهدف الذي لم يستطع عشرة أشخاص
آخرين الوصول إليه ، على الرغم من جهودهم ، قد
بلغت أنت إليه وأنت تلعب ، بل وأنت نائم : لقد
أصبحت بيرقدار (= حامل العلم) وأنت في الثانية عشرة
من عمرك ، وبرتبة صاغ (= رائد) وأنت في سن
العشرين! و حصلت من الأمير على قرار بأن تترك
السلك العسكري وأن تعمل في الوزارة! والأمير تكلم عن
(العمل في) المجلس الخاص ، وفي السفارات ، وعن
مزايا هائلة . إن أمامك مستقبلا باهرا . وطريقك مفتوح
على مصراعيه حتى المرتبة الأولى التي تلي العرش ، بل
وإلى العرش نفسه ، لو كان للسلطة من القيمة مثلما
لنياشينها . ألا يبعث هذا الحماسة في نفسك؟

فردنيند

إن أفكاري عن العظمة والسعادة ليست هي أفكارك
تماما . إن سعادتك لا تتجلى إلا بالتدمير . فالخسد ،
والخوف ، واللعنة هي المرايا الحزينة التي تترأى فيها
عظمة الإنسان القوي مع ابتسامة إعجاب بالنفس أما
الدموع ، واللعنات ، واليأس فهي المأدبة الرهيبة التي
يتغذى منها أولئك السعداء الذين سيحل لهم الشاء ،
ومنها ينهضون سكارى كيما يذهبوا هكذا مبلسين في
الأبدية أمام عرش الله . أما أنا فمثلي الأعلى ينحصر بكل
تواضع في شخصي . إن في قلبي ترقد كل آمالي .

الرئيس

رائع! عظيم! لا نظير له! هاأنذا قد رجعت، بعد ثلاثين عاماً، إلى درسي الأول. لكن، مع الأسف، وأنا في الخمسين من عمري، صرت لا أستطيع القيام على تعليمك. لكن، حتى لا أترك هذه العبقرية الهادرة يعلوها الصدا، أريد أن أضع إلى جوارك شخصاً تستطيع أن تتدرب معه وفقاً لهواك في هذه الشطحات الرائعة. وعليك أن تقرر اليوم، اليوم بالذات، أن تتخذ زوجة.

فردنيند

(يتراجع إلى الوراء في ذهول) يا أبي!

الرئيس

لا لأعيب! لقد أرسلت إلى ليدي ملفورد بطاقة باسمك. وعليك أن تذهب إليها دون إبطاء وتقول لها إنك خطيبها.

فردنيند

: إلى الليدي ملفورد، يا أبي؟

الرئيس

: إذا كانت معروفة لك!

فردنيند

: (خارجاً عن طوره) وأي عمود* لعرض الفضيحة لا يعرفها؟ لكني يا أبي سأكون هدفاً للسخرية إذا أنا أخذت مأخذ الجد مزاحك هذا. أتريد أن تكون والدًا لابن وغد يتزوج خلية متميزة؟

* العمود الذي كان يعلق عليه المحكوم عليهم بالإعدام. وفردنيند يقصد أن اسم ليدي ملفورد ملطخ بأشنع العار.

الرئيس أحسن من هذا . سأقدم أنا للزواج منها إذا رضيت هي
برجل في سن الخمسين . ألا تريد أنت أن تكون ابنا لأب
وغد؟

فردنيند كلا، هذه هي الحقيقة التي تضارع حقيقة أن الله
موجود .

الرئيس : هذه وقاحة على شرفي ! ولكني اغتفرها لندرتها .

فردنيند : أستحلفك يا أبي ! لا تدعني أتوقف أطول من هذا عند
افتراض يشق عليّ من أن اسمي نفسي ابنك .

الرئيس يا ولد، هل أنت مجنون؟ أي عاقل لا يشتهي الحصول
على ميزة تبادل الموقع مع أميره؟

فردنيند لقد أصبحت لغزا بالنسبة إليّ يا أبي ! أتسمي هذه ميزة،
أن أتقاسم مع الأمير ذلك الأمر الذي فيه ينحط إلى ماهو
أدنى من مرتبة الإنسان؟

الرئيس (يقهقه)

فردنيند لك أن تضحك، وأنا أغضي عن هذا، يا أبي ! بأي وجه
أبدو أمام أدنى العمال ممن تقدم له زوجة كبائنة*، جسما
سليما؟ بأي جبين أجابه العالم، أواجه الأمير، بل أواجه
الخليلة نفسها، التي ستغسل بعاري أنا شرفها؟

* هي ما تقدمه الزوجة لزوجها حين يتزوج منها، في مقابل المهر الذي يقدمه الرجل في البلاد
الإسلامية .

الرئيس

يا ولدي من أين حصلت على كل هذا الكلام الفارغ؟

فردنيند

أستحلفك، يا أبي، باسم السماء والأرض! إنك لن تستطيع، بتسليمك ابنك على هذا النحو، أن تصبح سعيدا بجعلك إياه شقيا. إني أعطيك حياتي، إذا كان هذا من شأنه أن يزيدك رقا إني أدين لك بحياتي، ولن أتردد لحظة في التضحية بها كلها من أجل عظمتك. شرفي، يا أبي! لو سلبتني إياه، إذن لقد كان عملا طائشا كريها أن تكون قد أعطيتني الحياة، وأنا مضطر إلى لعن أبي كما ألعن القواد.

الرئيس

(بلهجة ودية، مربتا على كتفه) مرحى، يا ولدي العزيز!

الآن أرى أنك رجل حقا، رجل جدير بأن يتزوج أحسن امرأة في الدوقية. إنها ستكون لك. فبعد ظهر هذا اليوم ستكون خطيبا للكونتيسة فون اوستهايم . Ostheim

فردنيند

(مرة أخرى في ذهول) هل قدر لهذه الساعة أن ترهقني عسرا؟

الرئيس

(وهو يرقبه بنظرة شرفك لا اعتراض له على هذا، هكذا أرجو.

فردنيند

كلا، ياأبي . إن فريدرىكه فون أوستهايم تستطيع أن تجعل من أي إنسان غيرى أنا أسعد بنسي الإنسان(لوحده، وهو في اضطراب شديد) إن ما تركته نذالته سليما في قلبي، تمزقه طبيته .

الرئيس

(محدقا دائما بعينه في ابنه) إني أنتظر التعبير عن الإقرار بالجميل، يا فردنيند!

فردنيند

(يندفع ويقبل يده بحرارة) أبي طينتك تشعل كل ماعندي من مشاعر. أبي! أحر شكري لمقصداك الحميم. إن اختيارك لا غبار عليه. لكني... لا أستطيع... لا ينبغي لي... اعذرني... لا أستطيع أن أحب الكونتيسة!

الرئيس

(متراجعا خطوة) آه! الآن أمسكت بك، ياسيدي الشاب هكذا وقع في الفخ، هذا المنافق الماكر. إذن لم يكن الشرف هو الذي جعلك ترفض الليدي. لم يكن الشخص، بل الزواج بما هو زواج هو الشيء الذي تكرهه.

فردنيند (يتوقف كما لو كان قد تحجر، ثم يندفع ويريد أن يهرب)

الرئيس

أين تذهب؟ ابق مكانك! أهذا هو الاحترام الذي ينبغي عليك أن توفره لي؟ (يعود الرائد). لقد أعلن عن زيارتك لليدي، والدوق على علم بكلمتي. والمدينة والبلاط

يعلمان أن المسألة قد تمت فإن جعلت مني ، يا ولدي ،
رجلا كذابا ، وإذا جعلتني كذابا في نظر الأمير ، ونظر
الليدي ، ونظر المدينة والبلاط فاسمع يا ولدي : أنا إما
أن أكشف عن بعض الحكايات ! . . . ابق مكانك
ما هذا الذي يطفئ في الحار نار خدودي ؟

فردنيند : (يصير أبيض كالثلج ويرتعد) كيف ؟ ماذا ؟ لا شيء
قطعا ، يا أبي .

الرئيس (ملقيا عليه نظرة رهيبة) وإذا كان هناك شيء ، وإذا
استطعت أن أكتشف أثر ما يسبب هذه المقاومة . آه !
يافتى ! إن الشك وحده يثير ثائرتي . اذهب فورا . بدأ
الاستعراض . ستكون عند الليدي ، متى ما نطق بالأمر .
إذا ظهرت أنا ، ارتعدت كل الدوقية ! . لننظر هل يفرض
ابن عنيد قانونه عليّ أنا (يذهب ثم يعود أدراجه) يا ولد !
أقول لك . . . ستذهب أنت ، أو اهرب من غضبتي .
(يخرج) .

فردنيند (مستيقظا من ذهول قاتم) هل رحل ! أكان ذلك صوت
أب ؟ نعم ، سأغدو إليها ، سأذهب ، وسأقول لها أشياء ،
سأقدم إليها مرآة . هذه المرأة الشريرة ! وإذا طلبت مني
بعد ذلك يدي . أمام النبلاء المجتمعين ، والجنود
والشعب . تسلحي بكل كبرياء بلادك إنجلترا* . . . إني
أرفضك ، أنا ابن ألمانيا ! (يخرج باندفاع)

* كانت ليدي ملفورد تدعي أنها تنحدر من سلالة نورفولك الإنجليزية .

الفصل الثاني

(صالون في قصر ليدي ملفورد، عن يمين، أريكة، وعن شمال بيانو)

المنظر الأول

[الليدي في ثوب فضفاض لكنه جميل، لم تصفف شعرها بعد، تجلس إلى البيانو وتبدأ العزف، صوفي، خادمتها تأتي من النافذة]

صوفي تفرق الضباط . والاستعراض انتهى . ولكنني لا أشاهد
بعد فون فالتر.

الليدي : (في اضطراب شديد، تقف وتمشي في الصالون) لا أدري
في أية حال أنا اليوم، يا صوفي! لم أشعر بمثل هذا من
قبل أبدا . ألم تشاهديه؟ آه! لا شك إنه ليس متعجلا .
وهذا يجثم على صدري كأنه تأنيب . اذهبي، يا صوفي،
وأتوني بأشد الأفراس جهوحا في الاسطبل . لا بد لي من
التجوال في الهواء الطلق، وأنا أرى الناس وزرقة السماء،
وأنا أسري عن قلبي بالركض .

صوفي إذا كنت تشعرين باعتلال المزاج ياسيدي، فاجعني ناسا
هاهنا! اطلبي من الدوق أن يتناول الطعام هاهنا، أو
غيري بوضع منضدة اللعب بالأوراق أمام أريكتك . لو
كان الأمير وكل البلاط تحت إمركي أنا، لكنت أود أن نزوة
حزن طارئة واحدة تدوي في رأسي!

الليدي

(ترتمي على الأريكة) أرجوك ، اعفيني سأعطيك قطعة من الماس عن كل ساعة أستطيع أن أتخلص فيها منهم . أتريدين مني أن أحشد في غربي هذا العالم من الناس؟ إنهم سفلة ، جديرون بالرثاء ، وهم يفزعون إذا بدرت من قلبي كلمة جادة وكريمة ، ويفتحون الأفواه والمناقير كما لو كانوا قد شاهدوا شبحا . إنهم عبيد خيط من الدمى أتحكم أنا فيه بنفس السهولة التي أتحكم بها في نسيج شبكتي . ماذا أعمل بأناس نفوسهم تسير باطراد مثل ساعاتهم؟ وهل سأجد لذة في أن أوجه إليهم سؤالا ، وأنا أعلم فقط بماذا سيجيبون؟ أو أني أتبادل معهم كلمات وليس لديهم الشجاعة في أن يكون لهم رأي مخالف لرأيي؟ ألا سحقا وبعدا لهؤلاء الناس عني؟ من الممل أن يركب المرء فرسا لا يعرض على لجامه . (تذهب إلى النافذة).

صوفي

: لكنك يا سيدي ترجين بالأمير على الأقل؟ إنه أجمل إنسان ، والعاشق الولهان ، والرأس الأكثر ألمعية في كل دوقيته .

الليدي

(تنبه) لأن الدوقية ملك له ، يا صوفي ، إن لقب الأمير الحاكم هو وحده الذي يمكن أن يقدم إلى ذوقي مبررا . محتملا . أنت تقولين إنهم يحسدونني . يالك من فتاة مسكينة! أخرى بهم أن يرثوا الحالي . من بين كل أولئك الذين يغذيهم صاحب الجلالة ويرضعهم ، الخليفة وحدها هي الأسوأ نصيبا ، لأنها هي وحدها التي تشاهد

الرجل الثري والقوي وقد اقتصر على دور الشحاذ . هذا حق ، إنه يستطيع ، بكلمة عظمتة ، أن يخرج من باطن الأرض كل نزوات قلبي ، وكأنها قصر جنيات . وهو يضع على مائدتي كل أطايب العالم ، ويجول الصحراء إلى جنة ، ويفجر عيون البلاد ويجعلها تنحني على شكل منحنيات رائعة . لكن هل يستطيع أن يأمر قلبه بالنبض بحمية وجلال ضد قلب جليل ؟ هل يستطيع أن يرغم مخه الجاسي على شعور كريم واحد ؟ إن قلبي يصوم ، وسط كل شبع الحواس هذا ، وماذا تفيدني كل العواطف ، إذا لم أكن هناك إلا من أجل إطفاء غليان الدم ؟

(تطلع فيها بدهشة) كم مضى من الزمن إذن وأنا في خدمتك ياسيدي ؟

صوفي

الآنك لا تعرفيني إلا اليوم ؟ صحيح ، يا صوفي . لقد بعث شرفي للأمير ، أما قلبي فإنني احتفظت به حرا ، قلبي الذي ربما لا يزال ، يا صوفي ، جديرا بإنسان ، ولم يمرر عليه الهواء المسموم للبلاط إلا مرور النسمة على المرأة . صدقيني ، يا عزيزتي ، أنه كان في وسعي منذ زمان طويل أن أحياه من هذا الأمير البائس ، لو كنت قد استطعت أن أرغم طموحي على التخلي لسيدة أخرى في البلاط .

الليدي

وهذا القلب هل استسلم للطموح عن طيب خاطر ؟

صوفي

الليدي

(بحدة) كما لم يكن قد انتقم بعد! كما لو لم ينتقم لنفسه بعد! (بلهجة معبرة، تاركة يدها تسقط على كتف صوفي) يا صوفي! نحن معشر النساء نحن لا نستطيع أن نختار إلا بين أمرين: أن نحكم أو أن نخدم. لكن أعظم شهوة للسلطة ليست بالنسبة إلينا إلا وسيلة بائسة، حين نكون محرومات من أكبر شهوة وهي أن نكون إماء لرجل نحبه.

صوفي

: لو كانت هذه حقيقة، ياسيدي، فأنت آخر من أود أن أسمعها منها.

الليدي

ولماذا، يا صوفي؟ أولا يشاهد من طريقتنا الصيانية في الإمساك بالصولجان إننا لا نصلح إلا للاقتياد حتى الحدود؟ ألم تلاحظي علي نزواتي الطارئة وعلى ملاهي العارمة أنه لا هدف لها إلا أن تزرع في نفسي شهوات أشد عرامة وعنفا؟

صوفي

: (تراجع وهي مندهشة) ياسيدي!

الليدي

: (بحدة أكبر) هديها. أعطني الرجل الذي أفكر فيه الآن، والذي أعبد، والذي لأبد لي أن أملكه، وإلا مت. (بصوت رقيق). دعيني أسمع من فمه أن دموع الحب تلمع لمعانا أجمل في أعيننا من الماسات في شعرنا (بحرارة)، وأنا أرمي على قدمي الأمير قلبه ودوقيته، وأهرب مع هذا الرجل، أهرب إلى أبعد صحراء في هذا العالم.

صوفي : (تنظر إليها بفزع) يا للسماء! ماذا تفعلين؟ ماذا جرى لك، ياسيدي؟

الليدي (في حيرة تامة) أيعلوك الشحوب؟ هل تفوهت بأكثر مما ينبغي؟ أوه! دعيني أربط لسانك بثقتي. اعلمي أيضا، اعلمي كل شيء.

صوفي (تلتفت حواليتها بقلق) أخشى ياسيدي، أخشى أني لم أعد بعد في حاجة إلى معرفة ذلك.

الليدي هذا الزواج بالرائد، الناس وأنت تتصورون أن هذه مؤامرة من البلاط. يا صوفي لا تحجلي، لا تحجلي مني، إنه من صنع حيي.

صوفي بحق السماء! كنت على شعور سابق بهذا.

الليدي لقد غرر بهم، يا صوفي: الأمير الضعيف، وفالتر رجل البلاط الماكر، ومدير البلاط الأحمق. كل واحد منهم سيقسم أن هذا الزواج هو الوسيلة الناجعة للاحتفاظ بي من أجل الدوق، ولتوثيق الروابط بينه وبينني، نعم هو الوسيلة لقطعها إلى الأبد، ولكسر هذه الأغلال الجالبة للعار. يالهم من كذابين مخدوعين! عبثت بهم امرأة ضعيفة! وأنت التي ستأتين لي بمن أحب. آه! لقد كان ذلك هو ما كنت أهوى. حينها أملكه، حينها أملكه، أوه حيثئذ عمي مساء إلى الأبد أيتها العظيمة الكريمة!

المنظر الثاني

(خادم عجوز من خدم الأمير يحمل صندوق مجوهرات ، الليدي ، صوفي)

الخادم صاحب السمو الدوق يقدم تحياته إلى الليدي ويبحث إليها بهذه المجوهرات ، احتفالا بزواجها . إنها وصلت على التو من مدينة فينيسيا .

الليدي (تفتح الصندوق وتراجع في خوف) يارجل ! كم دفع سيدك الدوق ثمننا لهذه الجواهر !

الخادم (بكتابة) إنها لم تكلفه فلسا واحدا .

الليدي ماذا؟ هل أنت مجنون؟ لم تكلفه شيئا؟ (تبتعد بمقدار خطوة) وتلقي أنت إلى بنظرة كما لو كنت تريد أن تحرق قلبي ! هذه الجواهر ذوات القيمة الكبيرة جدا لا تكلفه شيئا؟

الخادم بالأمس سافر سبعة آلاف طفل إلى أمريكا . إنهم دفعوا كل شيء .

الليدي (تضع الصندوق بسرعة ، وتتجول في الصالون ، وبعد لحظة من الصمت تقول مخاطبة الخادم) يارجل ماذا بك؟ أظن أنك تبكي؟

الخادم (يمسح عينيه ، وبصوت مخيف وكل أعضائه ترتعد يقول) جواهر مثل هذه أنا لي فيها ولدين .

الليدي

(تشيح بوجهها في تأثر وتمسك يده) لكن لا واحد
بالإكراه؟

الخادم

أوه! يا إلهي كلا، ليس فيهم إلا متطوعون. صحيح أنه
قد خرج عن العزف بعض الصبية الفضوليين الذين
سألوا العقيد (الكولونيل) بكم باع الأمير الخزمة من
الناس؟ لكن أميرنا الفاضل أمر بتقديم كل الكتاب في
ميدان العرض وأمر بإطلاق الرصاص على المتفرجين.
وسمعنا صوت طلقات الرصاص من البنادق، وشاهدنا
أمنّاخهم تتطاير على الأرض المرصوفة، وصاحت كل
الفرقة: «هيا، هيا امضوا إلى أمريكا».

الليدي

(ترتمي على الأريكة وقد غلبها الفزع) يا الله! يا الله وأنا
لم أسمع شيئاً، ولم ألاحظ شيئاً؟!

الخادم

نعم، يا سيدتي الفاضلة. لماذا إذن كان لابد أن تكوني
ذاهبة مع الأمير لصيد الدببة، حينما قرعت الطبول
للرحيل؟ كان واجبا عليك ألا تتخلفي عن هذا المنظر
الرائع، حينما أعلن لنا صوت الطبل أن الوقت قد حان
كي يشيع يتامى أباهم الحي بالعويل، هذا من ناحية،
ومن ناحية أخرى كي تتقدم الأم -وهي في حالة هذيان-
لتلقي على أسنة الحراب طفلها الرضيع، وكي يفصل
الحبيب عن حبيبته بالسيف، وكي ترى اللحى الشيباء
فريسة للباس، وكي يرموا إلى الشبان عكازاتهم ليأخذوها
معهم إلى العالم الجديد أوه! وبالإضافة إلى هذا، ضجيج
الطبول يعلو كي يمنع العارفين بكل شيء من سماعنا
ونحن ندعو ونصلي.

الليدي : (تقف وهي في غاية التأثر) ابعادوا عني هذه الجواهر! إنها ترمي قلبي بقذائف من الشعلات الجهنمية! (وبصوت أرق تقول للخادم): هدى من روعك، أيها العجوز المسكين! إنهم سيعودون وسيرون وطنهم من جديد.

الخادم (بحرارة وصوت محتق) الله أعلم! سيعودون! عند باب المدينة أيضا تلفتوا وصاحوا: «كان الله معكم، أيتها النساء والأطفال! ليحيا أبو البلاد! في يوم الحساب سيروننا!». .

الليدي (تذرع الصالون ذهابا وجيئة بخطوات واسعة) مخيف! رهيب! لقد افتكرني بأنني كفكت كل الدموع في هذه البلاد. لكن نورا مروعا قد أضاء عيني. اذهب، قل لسيدك سأشكره بشخصي. (يهم الخادم بالخروج، فتلقي بكيس نقود في قبعته) وخذ هذا في مقابل أن أخبرني بالحقيقة.

الخادم : (يرمي بالكيس على المائدة باحتقار) ضمي هذا إلى الباقي. (يذهب)

الليدي : (تتبعه بنظراتها في دهشة) يا صوفي! اهرعي وراءه، أسأله عن اسمه. لا بد من رد ولديه إليه. (صوفي تخرج. الليدي تغدو وتحي، وهي مستغرقة في التفكير. وقفة. تعود صوفي فتقول لها): ألم تسر إشاعة منذ وقت قصير تقول إن النار دمرت مدينة على الحدود وحولت حوالى أربعمئة أسرة إلى شحاذين؟ (تقرع الجرس)؟

- صوفي ما رأيك في هذا؟ هذا صحيح تماما ، وغالبية البائسين يخدمون دائنيهم كعبيد ، أو يهلكون في الفضة التي يملكها الأمير.
- خادم (يدخل) بماذا تأمر سيدتي؟
- الليدي (تعطيه زيتها) لتحمل هذه فورا إلى تلك المنطقة . وتتحول في الحال إلى نقود ، بهذا أنا أمر ، والتمن يقسم بين الأربعمئة أسرة التي نكبتها الحريق .
- صوفي سيدتي! فكري في أن هذا سيعرّضك لأشد الغضب عليك .
- الليدي (بكبرياء) أينبغي لي أن أحمل في شعري لعنة بلاده؟ (تلقي بإشارة إلى الخادم . الخادم يخرج) . أو تريدني مني أن أسقط على الأرض تحت وطأة الرهبة لكل هذه الدموع؟ اذهبي يا صوفي! الأفضل أن يكون في شعري حلي زائفة من أن يكون في قلبي الشعور بمثل هذا الفعل .
- صوفي لكن جواهر مثل هذه! ألم يكن الأولى بك أن تعطي جواهرك الأقل قيمة؟ لا ، ياسيدي ، هذا أمر لا يغتفر .
- الليدي حقاء أنت! وفي مقابل ذلك سيسقط عليّ ، في لحظة واحدة من الماسات واللاّلى ما لا يحمله عشرة ملوك في تيجانهم وأجمل .

- الخادم (يعود) الرائد فون فالتر.
- صوفي (تندفع نحو الليدي) يا الله! أنت تشحين.
- الليدي هذا أول إنسان يخيفني ، يا صوفي . أبلغه أنني معتلة الصحة . توقف يا ادوارد! هل هو طيب المزاج؟ هل يضحك؟ ماذا يقول؟ أوه، أليس كذلك يا صوفي! ألا أبدو دميمة؟
- صوفي أستحلفك بالله ياسيدي .
- الخادم أتأمرين بأن أصرفه؟
- الليدي (بكلام متلعثم) قل له : مرحبا . (الخادم يخرج) تكلمي يا صوفي!
- ماذا عساني أقول له! كيف أستقبله؟ سأكون خرساء . سيسخر من ضعفي . أوه، أي استشعار، أتتركيني يا صوفي؟ ابقني . لكن لا، اذهبي . أوه! بل ابقني إذن (الرائد يجتاز غرفة الانتظار) .
- صوفي هيئي نفسك . هاهو ذا .

المنظر الثالث

(فردنيند فون فالتر، الليدي، صوفي)

فردنيند (مع انحناء خفيفة) هل أقطع عليك شيئاً، سيدتي
الفاضلة؟

الليدي (وقلها يخفق خفقانا ظاهرا) لا شيء ذا أهمية، ياسيدي
الرائد.

فردنيند أتيت بناء على أمر والدي.

الليدي أنا مدينة له بالفضل.

فردنيند يجب عليّ أن أعلن لك أننا سنتزوج كلانا بالآخر. هذه
هي المهمة التي كلفني بها والدي.

الليدي (تشحب وترتعد) وليس قلبك أنت هو الذي كلفك
بذلك؟

فردنيند ليس من عادة الوزراء والوسطاء في الزواج أن يستطلعوا
نبأ ذلك.

الليدي (بقلق تعجز معه عن الكلام) وأنت نفسك أما لديك
شيء آخر تضيفه؟

فردنيند (ملقيا نظرة على الوصيفة صوفي) لذيّ الكثير،
ياسيدي!

الليدي : (تشير إلى صوفي بالخروج) هل أستطيع أن أقدم إليك
مكانا على هذه الأريكة؟

فردنيند : سأكون موجزا، ياسيدي .

الليدي : إذن!

فردنيند أنا رجل شرف .

الليدي وأنا أقدر هذا .

فردنيند : أنا رجل نبيل .

الليدي ليس في الدوقية من هو أحسن منه .

فردنيند وأنا ضابط .

الليدي (بلهجة فيها تلطف واسترضاء) أنت تذكر مزايا يشاركك
فيها غيرك! فلماذا لا تذكر مزايا أكبر منها هي لك أنت
وحدك؟

فردنيند (بلهجة جافة باردة) ليس هاهنا محل لذكرها .

الليدي (بقلق متزايد باستمرار) ماذا عليّ أن أستتج من هذا
الاستهلال؟

فردنيند (ببطء وبصوت معبر) أن هذه هي اعتراضات الشرف ،
إذا شئت أن ترغميني على أن أتزوجك .

الليدي (صائحة) ما هذا الكلام ، ياسيدي الرائد؟

فردنيند (بهدهوء) هذه لغة قلبي * ، وشارة ** نبالتي ولغة سيفي !

الليدي هذا السيف - الأمير هو الذي أعطاك إياه .

فردنيند إن الدولة هي التي أعطتني إياه بواسطة يد الأمير . أما
قلبي فالله هو الذي منحني إياه . وشارة نبالتي يرجع
تاريخها إلى خمسة قرون .

الليدي واسم الدوق . . .

فردنيند (بحرارة) وهل يستطيع الدوق أن يزيّف قوانين
الإنسانية ، أو أن يصك أفعالنا بصكه ، كما يفعل مع
نقوده ؟ وهو نفسه ليس فوق الشرف ، لكنه يستطيع أن
يغلق فم الشرف بذهبه ، إنه يستطيع أن يضع معطفه من
فرو الثعالب (الهرمين) على عاره . أرجوك ، لا تسترسل
في هذا الكلام ، ياسيدي . الأمر لا يتعلق بمستقبل
يضحّي به ، ولا بأجداد ، ولا بهذا السيف ، ولا برأي
الناس . إني مستعد أن أدوس على هذا كله بقدمي ، متى
ما أقنعتني بأن ثمن التضحية ليس أسوأ من التضحية
نفسها .

* أي : الذي يحب امرأة أخرى .

** أي عراقة نبالتي التي مضى عليها ٥٠٠ سنة والتي سيسينها الزواج من خليعة شخص آخر .

الليدي

(وهي تتألم ، وتبتعد عنه) سيدي الرائد! أنا لم أستحق هذا .

فردنيند

(ممسكا بيدها) ساعيني نحن نتكلم هاهنا دون شهود .
والظرف الذي يجمعنا ، أنا وأنت ، اليوم ، وهذه المرة فقط ، يخوّل لي ، بل ويرغمني ، على ألا أخفي عليك مشاعري الباطنة . لا يدخل في عقلي ، ياسيدي ، أن سيدة لها هذا الجمال وهذا الذكاء — وهي صفات يقدرها الرجل — يمكن أن تستسلم لدوق تعود على ألا يعجب منها إلا بالجنس ، وفي نفس الوقت هذه السيدة لا تخجل من أن تهب قلبها لإنسان .

الليدي

(تنطلع في وجهه بأنفة واستعلاء) قل كل ما يحلو لك .
أنت تقولين إنك إنجليزية اسمحي لي أن أقول لك إنني لا أستطيع أن أصدق أنك إنجليزية . إن البنت الحرة لأكبر شعب حر موجود تحت السماء ، الشعب الذي هو من الكبرياء بحيث لا يشيد بفضله ما هو أجنبي ، لا يمكنها أبدا أن تبيع نفسها لرذائل الأجنبي . لا يمكن أن تكوني إنجليزية ، أو أن يكون قلب هذه الإنجليزية هو من الصغر بقدر ما قلب إنجلترا كبير وجسور .

الليدي

هل فرغت من الكلام؟

فرديند

يمكن أن يجاب عن هذا بالقول : إن هذا يرجع إلى
سفاهة المرأة «شهوة، مزاج، حب اللذة!» ، وفي كثير من
الأحيان يحيا الشرف بعد زوال الفضيلة . ومن النساء
من استطعن - بعد دخولهن في هذا المسلك مسربات
بالعار - قد تصالحن مع الدنيا بأفعال نبيلة، واستطعن
بالاستخدام الجميل لمكانتهن، أن يسبغن النبالة على
مهنة خسيصة . لكن لماذا البلاد قد صارت اليوم مقهورة
أكثر مما كانت في أي وقت مضى؟ إني أتكلم باسم
الدوقية . ولقد فرغت من قولي .

الليدي

(برقة ونبالة) هذه هي المرة الأولى ، يافالتر، التي فيها يجرؤ
إنسان على أن يوجه إليّ كلاما من هذا النوع ، وأنت
الإنسان الوحيد الذي جاوبته على مثل هذا الكلام . إن
أنت رفضت يدي ، فإني أقدرك لهذا . وإذا أهنت قلبي ،
فإني أسامحك على هذا . أما أنك تقول بجذ ما قلته - فهذا
ما لا أصدقه . لأن من يتجاسر على أن يقول هذه
الإهانات لسيدة لا تحتاج إلا لليلة واحدة من أجل
التنكيل به ، فإن عليه أن يفترض أن لدى هذه السيدة
نفسا كبيرة ، أو أنها قد فقدت عقلها . إنك تحملني
مسئولية خراب هذه البلاد! سامحك الله العليّ القدير!
الله الذي سيضعنا : أنت وأنا والدوق في مواجهة بعضنا
بعضا . لكنك أثرت في نفسي إنجلترا، ووطني يجب عليه
أن يجيب على توبيخات من هذا النوع .

اسمع إذن ما لم أفض به إلى أحد، وما لا أريد أن أفضي به إلى أحد غيرك يا فالتر، أنا لست المغامرة التي تتبصرها في . في وسعي أن أشيد بقيمتي وأنا أقول : إن دمي ينحدر من دماء أمراء، من أسرة نورفولك* التعيس الذي ضحى بنفسه من أجل ماريا ملكة اسكتلنده . وأبي قد كان كبير ياوران الملك ، واتهم بأن له علاقات إجرامية مع فرنسا ، وبقرار من البرلمان حكم عليه بالإعدام وأعدم فعلا . وصودرت أموالنا واستولى عليها التاج (الملك) . ونحن أيضا نفينا من البلاد ، وأمي توفيت في يوم تنفيذ حكم الإعدام . أما أنا وكنت فتاة في الرابعة عشرة من عمري ، فقد لجأت إلى ألمانيا ومعني مربيتي ، وصندوق صغير من المجوهرات ، وصليب الأسرة هذا الذي وضعت أمي - وهي تعالج سكرات الموت - في صدري ، وهي تبارك علي آخر تبريكة .

* أسرة نورفولك Norfolk تضم عدة دوقات ، هم على التوالي : هوارد جون ، أول دوق في هذه السلالة (١٤٣٠ - ١٤٨٥) ، هوارد توماس ، ثاني دوق (١٤٤٣ - ١٥٢٤) هوارد توماس ثالث دوق (١٤٧٣ - ١٥٥٤) ، هوارد توماس ، رابع دوق (١٥٣٦ - ١٥٧٢) ، هوارد هنري ، سادس دوق (١٦٢٨ - ١٦٨٤) ، هوارد هنري ، سابع دوق (١٦٥٥ - ١٧٠١) ، هوارد شارلز ، الدوق العاشر (١٧٢٠ - ١٧٨٦) والمشار إليه في النص هو توماس هوارد الثالث ، الدوق الرابع في أسرة نورفورك ، فرع هوارد (١٥٣٦ - ١٥٧٢) . وقد حظي في البداية برضا الملكة اليصابات ، وعينته عضوا في المجلس الخاص في ١٥٦١ ولما جاءت ماريا استيورت ، بعد ثورة رعيثها عليها في اسكتلنده ، طالبة النجدة من اليصابات ، أرسلت هذه لجنة للتحقيق في أسباب ثورة اسكتلنده على ملكتهم ، وكان في اللجنة نورفولك . ويبدو أنه تعاطف مع ماريا وسعى للزواج منها فأثار هذا غضب اليصابات فأحالته إلى لجنة تحقيق في ١٦ / ٢ / ١٥٧٢ ، وهذه اللجنة قررت اتهامه بالخيانة العظمى . وبعد تردد منها وافقت على قرار البرلمان بإعدامه . فأعدم في ٢ / ٦ / ١٥٧٢ .

فردنيند

(يستغرق في التفكير ويلقي على الليدي نظرات تشيع فيها المصلحة).

الليدي

(تواصل حديثها، بانفعال متزايد) ووصلت إلى هامبورج، مريضة، بغير اسم، بغير حماية ولا ثروة، يتيمة غريبة. ولم أكن قد تعلمت إلا القليل من اللغة الفرنسية، وغزل الشبكة، و العزف على البيانو. لم أعرف الأكل في صحن من الذهب والفضة، ولا جعل عشرة من الخدم يحضرون إليّ بأقل إشارة، ولا تلقّي آيات التملق من الكبار الذين من مستواك. ومررت ست سنوات في الدموع. وبيع آخر دبوس ذي قيمة. وماتت مربيتي. هنالك هيأ لي القدر محيء دوقكم إلى هامبورج*. كنت أترىض على شاطئ نهر الب Elb، ورحت أتأمل في النهر، وبدأت أحلم وأتساءل هل هذا الماء أعمق من الآمي. . وأبصرني الدوق، واتبعتني، وعرف مسكني، وارتقى عند قدمي وأقسم لي بأنه يحبني. (تتوقف وهي في غاية التأثر، ثم تواصل الكلام بصوت تقطعه الزفرات): هنالك استيقظت كل صور طفولتي السعيدة برداء جذاب، إن مستقبلا كئيبا، أسود مثل سواد القبر، كان يهددني بفضاعته. وتحرق قلبي للعثور على قلب فارتميت على قلبه (تندفع بعيدا عنه). . . ؟

* فعلا جاء الدوق كارل أويجن في ١٧٨١ إلى هامبورج، وكانت له خليات إنجليزيات.

فردنيند

(وهو في تأثر شديد يجري وراءها ويوقفها) ياسيدتي!
يا للسماء! ماذا أسمع؟ ماذا فعلت؟ إني أبصر جريمتي
بكل فظاعتها! لن تستطيعي أن تغفري لي!

الليدي

(تعود ، وتحاول تهدئة نفسها) اسمع البقية . إن الدوق ،
والحق يقال ، قد فاجأ شبابي الأعزل . لكن دم أسرة
نورفولك ثار في نفسي . صاح في وجهي : أنت ، المولودة
أميرة يا إميليا ، صرت الآن خليلة لدوق ! وتصارعت
الكبرياء والمصير في داخل نفسي ، حينما اقتادني الدوق
إلى هنا وتجلّى فجأة أمام عيني أبشع المشاهد . إن شهوة
عظماء هذا العالم هي الشهوة النهممة التي لا تشبع والتي
تذهب للبحث عن ضحايا لنهمها المشبوب . وهذه
الشهوة قد أحدثت من قبل في هذه البلاد تخريبات
مروعة . لقد فصلت العروس عن عريسها ، وحطمت
الرباط المقدس للزواج . إنها ، هاهنا ، قد دمرت السعادة
المهادنة للأسرة ، وهناك فتحت القلب الشاب غير المجرب
أمام بلايا العدوى ، والفتيات المسكينات اللواتي أفسدن
صرن يلعنّ - وقد أرغين وأزبدن من الغضب - اسم من
أفسدهن ، وهن يرتعدن من هول ما بهنّ . ولقد وضعت
نفسي بين الحمل والنمر ، وحصلت منه في لحظة الشهوة
على أن يعدني وعد دوق ، وتوقفت هذه التضحيات
الرهيبة .

فردنيند

(يعدو خلال الصالة ، وهي في أشد الاضطراب) كفى ،
ياسيدتي ! لا تزيدني شيئا .

هذه الفترة الأليمة قد أدخلت مكانها لفترة أشد هولاً. كان البلاط والسراي يعجّان بحثالة القادمين من إيطاليا. وباريسيات لعويات كن قد جعلن من الصولجان الرهيب لعبتهن، ونزف الشعب دمه تحت نير نزواتهن. وانتهت سيطرتهن شيئاً فشيئاً. وشاهدتهن يسقطن في التراب إلى جانبي، لأنني كنت أكثر دلالة منهن جميعاً. وأمسكت بقياد الحكم من أيدي الطاغية. الذي أرخته الشهوة بين ذراعي. إن وطنك، يا فالتر، شعر لأول مرة بيد إنسانية، واستراح بثقة على صدري. (لحظة صمت، في أنثائها كانت تتطلع فيه بحنان). أوه! هل لابد من أن الرجل الوحيد - الذي أريد ألا يجهل قدرتي - يرغمني في هذه اللحظة على أن أتباهى بنفسي وأنا أحرق هكذا أجنحة فضيلتي الصامته بتعريضها لضوء الإعجاب؟ يافالتر! لقد دمرت سجوناً، ومزقت قرارات بالإعدام، وقصرت مؤبد الحكم على العمل في التجديف في سفن التعذيب. وفي جروح لا تعالج، صببت بلسماً مهدئاً. ومرّغت في التراب مجرمين أقوياء، وفي مرات عديدة أنقذت قضية الأبرياء الضائعة، بدمعة من خليعة. آه! يافتى! كم كان ذلك عذاباً عندي! إن قلبي يستطيع بكل كبرياء أن يفند كل اتهام لميلادي الجليل. وهاهو ذا جاء الإنسان الذي ينبغي عليه وحده أن يكافئني عن هذا كله، الإنسان الذي احتفظ لي مصيري به ربما كتعويض عن آلامي الماضية، الإنسان الذي تعلق به في الحلم بحماسة مشوبة.

فردنيند

(يقاطعها، وقد تأثر في أعماق شعوره) هذا كثير!
هذا كثير! هذا ضد تقاليدنا، ياسيدي. ينبغي عليك أن
تنبذ الاتهام، وأنت تجعليني مذنباً. خففي، أرجوك،
خففي عن قلبي الذي يمزقه العار والتأنيب القاسي.

الليدي

(تمسك بيده) الآن، أليس أبداً! إن البطلة قد صمدت
وقتا طويلا. لا بد لك أن تشعر بثقل هذه الدموع (بلهجة
بالغة الرقية) اسمع، يافالتر! إذا كانت امرأة مسكينة،
منجذبة إليك بقوة لا تقاوم، تتودد إليك بقلب مفعم
بحب مشبوب لا نهاية له، يافالتر، بينما أنت، الآن
أيضا، تنطلق بكلمة الشرف الباردة—إذا كانت هذه
البائسة، العانية تحت الشعور بالعار، والتي ملّت
الرذيلة، وسماها نداء الفضيلة على نحو بطولي، ترتمي
هكذا بين ذراعيك (تحيط بذراعيها، بتعبير ضارع جاد)
وتريد أن تنجو على يديك وأن تُردّ إلى السماء (بصوت
أجوف مهتز، وقد أشاحت بوجهها) أو إذا كانت، من
أجل الفرار من صورتك ستمضي، مطيعة للنداء الرهيب
للأس، وهي فريسة للدوار، في مزيد من الغوص في
هاوية الرذيلة الكريهة. . .

فردنيند

(متزعزا نفسه من بين ذراعيها، وهو في قلق شديد) كلا،
والله العظيم! لا أطيع هذا. ياسيدي! إن السماء
والأرض ترهقاني، يجب عليّ أن أعترف لك بشيء،
ياسيدي!

الليدي

(هاربة بعيدا عنه) ليس الآن! بحق رب السماء العظيم!

ليس في هذه اللحظة المروعة التي فيها يدمي قلبي
من ألف طعنة خنجر. سواء أكان الموت أم الحياة،
لا أستطيع أن أسمعه.

فردنيند

بلى، مع ذلك ياسيدي! لابد من ذلك. ما سأقوله لك
الآن سيقول من احتمال عقابي وسيكون اعتذارا حارا عن
الماضي. لقد خدعت نفسي قبلك، ياسيدي لقد
انتظرت، بل لقد رغبت في أن أجذك جديدة باحتقاري.
وقد جئت إلى هنا وأنا وطيد العزم على أن أهينك وأن أنال
كراهيتك. وكنا سنكون نحن سعداء، لو أفلحت
خطتي. (يسكت لحظة، ثم يقول بلهجة رقيقة
وباستحياء) ياسيدي، إنني أحب فتاة برجوازية، اسمها
لوييزة ملر هي ابنة عازف موسيقى. (الليدي تشيح
بوجهها عنه وقد علاها الشحوب، أما هو فيتابع كلامه
قائلا): وأنا أعلم أين أنحدر بنفسني، لكن حتى لو
كانت الحكمة تقتضي إسكات الشهوة. فإن الواجب
يتكلم بصوت أعلى وأوضح. وأنا المذنب. فأنا الذي
مزقت أولا السلام الذهبي لبراءتها، وهددت قلبها
بآمال عريضة وأسلمتها فريسة للشهوة بخيانة من
جانبي. ستذكريني أنت بطبقة، ومولد، ومبادئ
والدي، لكنني أحسب. وأملني يتصاعد إلى أعلى
بقدر ما تتنازع الطبيعة مع التقاليد، وعزيمتي والحكم
السابق! نريد أن نرى هل البدع أو الإنسانية هي التي
ستبقى في الميدان (كانت الليدي قد انسحبت في تلك
الأثناء إلى أقصى نهاية الصالون ووضعت وجهها بين

يديها . فذهب إليها هناك) هل تريدان أن تقولي لي شيئاً ، ياسيديتي؟

الليدي

(بلهجة ملؤها الألم العنيف جداً) كلا، لا شيء، ياسيد فون فالتر، لا شيء إلا أنك وأنا وشخص ثالث أيضاً متجهون إلى الخراب .

فردنند

وشخص ثالث أيضاً؟

الليدي

إننا لن نستطيع أن نكون سعداء مع بعضنا البعض . وعلينا مع ذلك أن نصبح ضحية لتسرع أبيك . لكنني لن أملك قلب إنسان لا يعطيني يده إلا مرغماً .

فردنند

مرغماً ، ياسيديتي؟ يعطي مرغماً؟ ويعطيها مع ذلك؟ تستطيعين أنت أن تطالبي باليد دون القلب؟ أتحرمين فتاة من إنسان هو كل شيء بالنسبة إليها؟ أتحرمين إنساناً من فتاة هي كل شيء بالنسبة إلى هذا الإنسان؟ أنت ياسيديتي، يامن كنت منذ لحظة فقط الإنجليزية الرائعة؟ أتستطيعين ذلك؟

الليدي

لأنه لابد من هذا (بجد وقوة) إن وجداني يا فالتر يتنازل لتلطف معك . وشرقي لا يستطيع بعد . إن زواجنا هو حديث كل البلد . وكل العيون . وكل سهام السخرية موجهة نحوي أنا . إن هذه إهانة لا يمكن محوها ، إذا رفض أحد رعايا الأمير . دافع عن نفسك أمام أبيك . دافع عن نفسك بكل قوة تستطيعها . أما أنا فساثير كل المناجم [تبتعد بسرعة . الرائد يظل صامتا متحجراً . وقفة . ثم يندفع من الباب الرئيسي] .

المنظر الرابع

(غرفة في بيت العازف ملر زوجة ملر، ولويزة يدخلون)

ملر (يندفع في الغرفة) ألم أقل هذا مقدما؟

لويزة (تندفع نحوه بقلق) ماذا، يا أبي؟ ماذا؟

ملر (يجري كمجنون طولا وعرضا): حُلتي الرسمية . .
بسرعة . . لا بد لي أن أخبره . . . وقميص أبيض ذو
أكمام . لقد تصورت هذا كله .

لويزة حنانيك! ماذا؟

الزوجة ماذا هناك؟ أهذا إذن؟

ملر (يرمي شعره الصناعي في الغرفة) بسرعة سأغدو إلى
الحلاق .

ماذا هناك؟ (يثب نحو المرأة) ولحيته التي طالت بمقدار
أصبع؟ ماذا هناك؟ ماذا تريد أن يكون هناك،
يا جيفة؟ الشيطان انطلق، فليسحقك الرعد!

الزوجة أوه! يجب إذن أن يسقط كل شيء على رأسي أنا!

ملر : على رأسك؟ نعم، يا لسان الرعد اللعين! وإلا فعلى رأس كثير غيرك؟ هذا الصباح مع شيطان سيدك الشاب — ألم أقل ذلك في التو؟ إن فورم قد أطلق لسانه بالكلام.

الزوجة : آه! وكيف؟ من أين تستطيع أن تعرف ذلك؟

ملر : من أين أستطيع أن أعرف؟ ها! تحت باب البيت يتجول خادم الوزير، وهو يسأل عن عازف الكمنجة.

لويزة : أنا ميتة.

ملر : وأنت أيضا بعيونك التي تشبه زهرة ميوسوتيس (يضحك بمرارة). المثل صحيح: حينما يبيض لك الشيطان بيضة في البيت، تولد لك بنت جميلة. هذا أمر واضح لعيني الآن.

الزوجة : من أدراك أن الأمر يتعلق بلويزة؟ ربما أوصى بك أحد عند الدوق. ربما يريدك للأوركسترا.

ملر : (يقفز على عصاه) لينزل عليك مطر كبريتي حارق! الأوركسترا! نعم، يا قوادة، حيث تصرخين أنت بالمقام الأعلى، وحيث ظهري الأسود والأزرق يقومان بالكونترباس (يرتمي على كرسي) يا إله السماء!

لويزة : (تجلس وهي شاحبة شحوب الموت) يا أمي! يا أبي! لماذا أنا قلقة فجأة؟

ملر

(يندفع واثبا من فوق كرسيه) لكن ، ليأت الكويت في
متناول يدي! ليأت! سواء في هذه الدنيا أو في الآخرة . إن
لم أسحق روحه وبدنه ، إن لم أكتب على جلده الوصايا
العشر، وسبع صلوات أبانا . . . وكل أسفار موسى
والأنبياء ، بحيث تشاهدين البقع الزرقاء في يوم قيامة
الأموات .

الزوجة

نعم ، احلف واصخب! هذا سيستحضر الآن الشيطان!
ربي وإلهي ، كن في عوننا! ماذا علينا أن نفعل الآن؟ أين
نجد الحيلة؟ ما العمل؟ أيها الأب ملر، تكلم إذن!
(تعدو صارخة خلال الغرفة) .

ملر

أريد أن أذهب إلى الوزير حالا . أريد أن أتكلم أولاً ، وأن
أفصح الأمر . أنت عرفت ذلك قبلي . كان عليك أن
تنبهيني . كان يمكن حينذاك إرشاد البنت . كان ثم
وقت لذلك . لكن لا! كان ثم شيء يراد اصطياده
والتربيت عليه! وأنت وضعت المزيد من الخشب على
النار . ولهذا احذري الآن على جلدك ، جلد القوادة .
اشربي الحساء الذي هيأته . أما أنا فساخذ ابنتي بين
ذراعي وأعبر معها الحدود .

المنظر الخامس

(فردنيند فون فالتر يندفع ، وهو مرتاع مقطوع الأنفاس ، في الغرفة ،
والأشخاص السابقون)

- فردنيند هل جاء أبي إلى هنا؟
- لوزية (تقف بفزع) أبوه! لا حول ولا قوة إلا بالله!
- الزوجة (وقد ضمت يديها) الرئيس؟ لقد قُضي علينا!
- ملر (يضحك بمرارة) الحمد لله! الحمد لله! هانحن أولاء
محظوظون!
- فردنيند (يندفع نحو لوزية ويضمها بقوة بين ذراعيه) أنت لي
حتى لو حالت بيننا الجحيم والسماء!
- لوزية موتي أكيد . استمر . لقد نطقت باسم رهيب : أبوك؟
- فردنيند لا شيء! لا شيء! تم التغلب على المحنة . لقد وجدتكَ
من جديد! وأنت وجدتني من جديد! أوه! دعيني ألتقط
نفسي على صدرك . لقد كانت ساعة رهيبة .
- لوزية أية ساعة؟ إنك تجعلني أموت .
- فردنيند (يتراجع ويتطلع فيها بشكل معبر) الساعة ، يا لوزية ،
التي فيها حجزت بيننا إنسانة غريبة ، والتي فيها شحب
حبي أمام ضميري ، والتي فيها توقفت لوزيتي عن أن
تكون كل شيء في نظر فردنيندها .

لوزية

(ترتمي على كرسيها وتستر وجهها)

فردنيند

(يهرع نحوها، ثم يتوقف صامتا، محدقا فيها، ثم يتركها فجأة، في حالة من الاضطراب الشديد): كلا، أبدا، مستحيل، ياسيدي! أنت تطلبين ماهو فوق الطاقة! إنني لا أستطيع أن أضحي في سبيلك بهذه البراءة. كلا، ورب الكون! لا يمكن أن أحنث في يميني الذي تذكرني به هذه العين* أكثر مما يفعل رعد السماء، ياسيدي، انظر هنا، هنا، أيها الأب الفاسد الطبيعة. هل أذبح هذا الملاك؟ أعلي أن ألقى بالحكيم في هذا الصدر السماوي؟ (يندفع نحوها بحزم) أريد أن أقتادها إلى أمام عرش القاضي الأعلى، وسيقول العلي القدير هل حبي جريمة. (يأخذ بيدها وينهضها من فوق كرسيها) تشجعي يا حبيبتي! لقد انتصرت أنت! إني أعود إليك، من أخطر معركة وأنا منتصر.

لوزية

لا، لا! لا تخف علي شيئا. انطق به، بهذا الحكم الرهيب! إنك ذكرت اسم أبيك، واسم الليدي. إن قشعيرة الموت تمسك بي. يقال إنها ستتزوج. . .

فردنيند

(يندفع جادا إلى قدمي لوزية) بي أنا، يا للتعيسة!

لوزية

(بعد وقفة، وبصوت عذب مهتز، وهدهوء مخيف)ماذا! لماذا أنا خائفة؟ هذا العجوز قال لي ذلك مرارا. لم أشأ أن أصدقك. (وقفة، ثم تلقي بنفسها بين ذراعي ملر وهي تنتحب): أبي، هاهي ذي ابنتك تعود، ساحني يا أبي!

* أي التي في لحظة الإغناء أو الموت لا تبصر بوضوح.

أهذا ذنب ابنتك إذا كان هذا الحلم جميلا جدا، وإذا كانت البقطة مروعة جدا؟

ملر لويزة، لويزة! أوه! يا إلهي، لقد فقدت وعيها، ابنتي، ابنتي المسكينة. اللعنة على المجرر بها! اللعنة على الزوجة التي كانت له قوادة!

الزوجة (ترتمي على لويزة وهي تتن بالشكوى) هل أنا أستحق هذه اللعنة، يا ابنتي؟ ساحك الله أيها البارون! ماذا فعل هذا الحمل حتى تذبحه؟

فردنيند (ينهض واثنان حوها وكله عزيمة) لكنني أريد أن أجتاز هذه المؤامرات، أريد أن أحطم كل أغلال التقاليد. حرا كإنسان ذي قلب أريد أن أختار، أن أدوخ نفوس الحشرات هذه إذا كانت تنظر شزرا، حتى القمة، إلى العمل الهائل الذي صنعه قلبي. (يريد أن يخرج).

لويزة (تقف وهي ترتعد، وتتبعه) ابق! ابق! إلى أين تريد أن تذهب؟ أبي، أمي، إنه يتركنا في لحظة القلق هذه.

الزوجة (تعدو وراءه وتتعلق به) الرئيس سيأتي هنا. سيسيء معاملة ابنتنا وسيسيء معاملتنا نحن. ياسيد فون فالتر، وأنت تتركنا؟

ملر (بغضب) إنه يتركنا! طبعاً! ولم لا؟! ألم تعطه كل شيء؟ (يمسك بإحدى يديه الرائد، وبالأخرى لويزة). صبرا ياسيدي! لا يخرج أحد من بيتي إلا واطناً عليه. انتظر حتى يأتي أبوك، إذا كنت لست وغدا سافلا. واحك إلي

أيها المغرّر الخادع ، كيف تسللت إلى قلبها ، آه ، بحق السماء (يرمي إليه بابتته بعنف ، وغضب شديد) . ينبغي عليك أولاً أن تسحق لي هذه الدودة الشاكية ، التي سربلها حبها لك بالعار والفضيحة .

فردنيند

(يعود أدراجه ، ويتجول في الغرفة ذهاباً وجيئاً ، وهو مستغرق في تأملات عميقة) صحيح أن سلطة الرئيس كبيرة . وحق الأميرة كلمة واسعة . والجريمة نفسها يمكن أن تستتر في طواياها . إنه يستطيع أن يدفع الأمور بعيداً ، بعيداً جداً ! ومع ذلك فإن الحب وحده يمضي إلى آخر الأطراف . تعالي ، بالويزة ! يدك في يدي ! (يأخذ يدها بقوة) هذا حق بمقدار ماهو حق ، إنني أسأل الله ألا يتخل عني عندما ألفظ آخر أنفاسي . إن اللحظة التي ستفصل بين هاتين اليدين ستقطع أيضاً كل رابطة بيني وبين الخليقة .

لويزة

أنا خائفة . حوّل عينيك عني . إن شفّيتك ترتعدان ! وعيناك تدوران بشكل مرّوع .

فردنيند

كلا ، بالويزة ! لا ترتعدي ! ليس الهذيان هو الذي يتكلم بقمي ! إنها الهبة الثمينة التي تهبها السماء والعزيمة في اللحظة الحاسمة ، حين لا يستطيع الصدر أن يتخلص إلا بمجهود لا حد له . إني أحبك يا لويزة . ستكونين لي يا لويزة ، فالآن أنا ذاهب للقاء أبي . (يبتعد فجأة وباندفاع ، فيصطدم بالرئيس) .

المنظر السادس

(الرئيس ومعه حاشية من الخدم، السابقون)

الرئيس (وهو يدخل) هاهو ذا!

(الكل خائفون)

فردنيند (متراجعا بضع خطوات) في بيت البراءة.

الرئيس حيث يتعلم الآن أن يطيع أباه.

فردنيند اقبل أنه في هذه النقطة . . .

الرئيس : (مقاطعا إياه، وموجه الكلام إلى ملر) أنت الوالد؟

ملر : أنا ملر، العازف في فرقة البلدية.

الرئيس (مخاطبا الزوجة) وأنتِ الأم؟

الزوجة نعم، أنا الأم، ويا أسفاه!

فردنيند (مخاطبا ملر) أيها الوالد، ابعد ابنتك، إنها على وشك

الإغواء.

الرئيس لاداعي لهذه العناية! سأقوم أنا بالتريس عليها. (مخاطبا

لويظة): منذ متى عرفت ابن الرئيس؟

لويزة لم أحفل مطلقا بابن الرئيس . إن فرديند فون فالتر يأتي لرؤيتي منذ شهر نوفمبر.

فرديند إنه يعبدها .

الرئيس هل تلقيت تأكيدات؟

فرديند منذ لحظات تلقت تأكيدات صارمة قاطعة أمام وجه الله .

الرئيس (مخاطبا ابنه بغضب) سُتعطى الإشارة حينما يجب عليك أن تعترف بجنونك . (مخاطبا لويزة) إني أنتظر جوابا .

لويزة لقد أقسم لي بحبه .

فرديند وسيتمسك بقسمه .

الرئيس هل يجب عليّ أن أمرك بالسكوت؟ وهل قبلت هذا القسم؟

لويزة (برقة) وأنا بدوري أقسمت له بحبي .

فرديند (بصوت ثابت) انعقدت الرابطة .

الرئيس سآمر بطرد هذا الصدى . (مخاطبا لويزة بخبث): لكن لا شك في أنه في كل مرة قد دفع لك الثمن مقبوضا .

- لويزة (باحتيال) أنا لا أفهم تماماً معنى هذا السؤال .
- الرئيس (بضحكة لاذعة) لا تفهمين؟ إذن أنا أريد أن أقول فقط إن كل مهنة تطعم من يمارسها وأنت أيضاً - كما أرجو - لم تمنحي لطائفك مجانا . أوريها تراضيتهم فيما بينكم على الصفقة؟ ماذا تقولين في هذا؟
- فردنيند : (يندفع وقد خرج عن طوره) يا للهول! ماذا سمعت؟
- لويزة (تخاطب الرائد بنبل وحنق) يا سيد فون فالتر، أنت الآن حر طليق .
- فردنيند يا أي! إن الفضية تقتضي الاحترام، حتى وإن كانت تلبس ثوب الشحاذ .
- الرئيس (يضحك بصوت عال) ادعاء مضحك! هل على الأب أن يحترم مومس ابنه؟!
- لويزة : (تسقط) يا للسماء والأرض!
- فردنيند (يتكلم في نفس الوقت الذي فيه لويزة تتكلم، ومحركا سيفه بحركة متشنجة ضد الرئيس، ثم تاركا السيف يسقط في الحال) يا أي إن لك حياة تقتضيها أنت مني . إن ثمنها دفع . (يعيد السيف إلى قرايه) . إن صك دين واجب البنوة هاهوذا قد مزق إربا إربا .

ملر

(وكان حتى ذلك الوقت قد انتحى جانباً في حنق،
يتقدم في اضطراب شديد؟ وحيناً يضرس بأسنانه
بغضب. وطوراً يرتعد من الخوف؟ : يا صاحب المعالي!
إن الابن هو من صنع الأب. ومع مزيد احترامي أقول إن
من ينعت الابن بنعت المومس، يصفع الأب على وجهه،
وصفعة بصفعة، ذلك هو الثمن عندنا. ومع مزيد
الاحترام.

الزوجة

: اللهم انجدنا. وهاهو ذا العجوز قد انفجر غضباً. كل
العاصفة ستقع على رؤوسنا.

الرئيس

(الذي لم يسمع إلا نصف سماع) وهل القواد يتحرك هو
الآخر؟ ستكلم في هذا، أيها الديوث.

ملر

مع مزيد الاحترام، إن اسمي هو ملر، إذا أردت أن
تسمع نعمة خفيفة (أداء جيد). ولا شأن لي بأمور
العشاق. مادام في البيت زاد، فإننا معشر البرجوازيين
لا نسلم بضاعة* مع مزيد الاحترام.

الزوجة

بحق السماء، أيها الزوج! أنت تقضي على الزوجة
والبنت.

فردنيد

يا أي! أنت تلعب هاهنا دوراً كان عليك فيه على الأقل
أن تعفي منه الشهود.

* يقصد: مادام لدينا ما نقات به، فليس من طبعنا نحن أوساط الناس أن نسلّم فتياتنا للبغياء.

ملر

(يقرب منه أكثر ويزداد شجاعة) بالألماني الفصيح
المفهوم، ومع مزيد من الاحترام، معاليك تتصرف في
البلاد كما تشاء. لكن هذه غرفتي لك خالص ولائي إذا
أنا أتيت إليك ذات يوم بطلب، أما الضيف غير المهذب
فإنني ألقى به خارج الباب - مع مزيد الاحترام.

الرئيس

(وقد امتنع وجهه من الغضب) ماذا؟ ماهذا؟ (يقرب
منه أكثر).

ملر

(يتراجع إلى الوراء بهدوء) هذا هو رأيي فقط عبرت عنه،
مع مزيد الاحترام.

الرئيس

(في شعلة غضب) يا سافل! رأيك الوقح سينطق لك
في السجن. هيا! أحضروا هذا أمام العدالة (بعض
حاشيته يذهبون، والرئيس يجري في الغرفة. وهو
يستشيط غضبا) الأب في السجن، وعلى عود المشنقة
تعلق الأم والبنت الفاجرة! وعلى العدالة أن تستعيد
أذرعها من غضبي. لا بد لي من تعويض رهيب عن هذه
الإهانة. هل يحق لهؤلاء الرعاع أن يدمروا خططي وأن
يوقعوا بين الأب والابن؟! ها! يا للعة! أريد أن أشبع
كراهيتي بتدميركم جميعا، كل العصابة: الأب والأم
والبنت يجب أن يقدموا ضحية لانتقامي المشبوب.

فردنيند

(يتدخل بينهم بهدوء وثبات) كلا! لا تخافوا! أنا موجود
(يخاطب الرئيس بكل خضوع) لا تعجل ، يا أبي! إذا
كنت تحب نفسك فلا تستعمل العنف . إن في قلبي
موضعا لم تسمع فيه أبدا كلمة : «أب» فلا تتقدم حتى
إلى هذا الموضع!

الرئيس

: يا من لا تستحق شيئا! اسكت . لا تزدد غضبي
اشتعالا.

ملر

(يسترده وبعده إغماء) التفتي إلى ابتك ، يازوجتي!
إنني سأعود إلى الدوق . إن الخياط الخاص - الله أوحى
لي بهذه الفكرة - أقول إن الخياط الخاص بالدوق يتعلم
العزف على الناي عنده . لن يخيب رجائي عند الدوق
(يريد الذهاب).

الرئيس

عند الدوق ، هكذا تقول؟ هل نسيت أنني العتبة التي
يجب عليك أن تمر منها أو أن تحطم رقبتك؟ عند الدوق ،
يامغفل؟ - حاول هذا ، حينما تقبع حيا ميتا تحت الأرض
بمقدار طول برج في أعماق السجن ، حيث يغازل الليل
الجحيم ، وتردد الضوضاء والنور - هنالك قعقع
بأغلالك ونح قائلا : لقد أصابني الكثير جدا .

المنظر السابع

(خُدام العدالة، السابقون)

فرديند : (يهرع نحو لوزية التي تسقط بين ذراعيه نصف مية)

لوزية! النجدة! الإنقاذ! لقد استولى عليها الفزع!

ملر (يمسك بعصاه ويضع قبعة على رأسه ويستعد في وضع

الهجوم، الزوجة تجثو على ركبتيها أمام الرئيس).

الرئيس (مخاطبا خدام العدالة مبرزا أمره) اقبضوا عليهم، باسم

الدوق! خذ هذه القحبة، يا ولد! -مغمي عليها أو

واعية- حينما تحاط رقبته بالطوق الحديدي* هنالك

ستتولى الحجارة التي ترجم** بها إفاقتها.

الزوجة : الرحمة، يا صاحب المعالي! الرحمة! الرحمة!

ملر (يشد زوجته إلى أعلى) اركعي أمام الله، يا أيتها القحبة

المهرمة، لا أمام... الأوغاد، لأنني لا بد داخل

السجن.

الرئيس (يعض على شفثيه) ممكن أن تخطيء التقدير، ياسافل.

لا تزال توجد مشائق خالية. (مخاطبا خدام العدالة):

هل يجب على أن أكرر القول؟

* الذي يوضع في رقبة المحكوم عليه بالإعدام.

** كان الشعب يرمي المعلقين على المشقة بالحجارة.

(خَدَّامُ الْعَدَالَةِ يَدْفَعُونَ لَوِيزَةَ)

فردنيند

(يُثَبِّتُ نَحْوَهَا وَيَضَعُ نَفْسَهُ أَمَامَهَا وَهُوَ غَاضِبٌ) مِنْ
يَتَجَسَّرُ؟ - يَسْتَلُّ السِّيفَ مِنْ قَرَابِهِ، وَيَحْمِي نَفْسَهُ
بِالْمَقْبُضِ - فَيَجْرُو عَلَى الْمَسَاسِ بِهَا، مِنْ أَجَرٍ لَيْسَ فَقْطُ
خِدْمَاتِهِ بَلْ وَأَيْضًا حَيَاتِهِ لِلسُّلْطَاتِ. (مُخَاطَبًا الرَّئِيسَ):
صَنْ نَفْسَكَ، وَلَا تَدْفَعْنِي إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا، يَا أَبِي!

الرئيس

(يُخَاطَبُ خِدْمُ الْعَدَالَةِ مَهْدِدًا) إِذَا كَانَ خَبِيرُكُمْ عَزِيزًا
عَلَيْكُمْ، يَا جَبْنَاءُ!

(خِدْمُ الْعَدَالَةِ يُمْسِكُونَ بِلَوِيزَةِ مِنْ جَدِيدٍ)

فردنيند

الْمَوْتُ وَكُلُّ الشَّيَاطِينِ! أَقُولُ: تَرَاوَعُوا! مَرَّةً أُخْرَى.
ارْحَمْ نَفْسَكَ يَا أَبِي، وَلَا تَدْفَعْنِي إِلَى الْأَمْرِ الْأَقْصَى.

الرئيس

(غَاضِبًا يُخَاطَبُ خِدْمُ الْعَدَالَةِ) أَهْذِهِ غَيْرَتُكُمْ عَلَى
الْخِدْمَةِ، يَا أَوْغَادَ؟

(خِدْمُ الْعَدَالَةِ يَشْتَدُونَ فِي الْإِمْسَاكِ بِهَا)

فردنيند

إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ (يَسْتَلُّ سَيْفَهُ وَيَجْرَحُ بَعْضَهُمْ)
فَسَاحِجْنِي أَيْتَهَا الْعَدَالَةُ!

الرئيس

(وَقَدْ امْتَلَأَ غَضَبًا) أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ هَلْ أَنَا أَيْضًا سَاشِدٌ
بِهَذَا السِّيفِ. (يُمْسِكُ بِلَوِيزَةِ نَفْسَهَا وَيَدْفَعُهَا بِعَنْفٍ إِلَى
أَعْلَى ثُمَّ يَسْلِمُهَا إِلَى أَحَدِ خِدْمِ الْعَدَالَةِ).

فردنيند

(يَضْحَكُ بِمَرَارَةٍ) أَبِي، أَبِي! أَنْتَ هَذَا تَجْدِفُ عَلَى اللَّهِ

تجديفا قارصا إذ يجعله لن يعرف جيدا العالم الذي خلقه
ويعمل وزيرا رديئا من خادم كامل الجلال .

الرئيس

(مخاطبا الباقيين) اذهبوا بها .

فردنيند

يا أبي! إنه لابد من تعليقها على العمود، لكن مع
الرائد، ابن الرئيس . فهل لا تزال مصرا على هذا؟

الرئيس

إن السيف على جانبك تعود أن يكون على عود المشنقة .
اذهب! اذهب! أنت تعرف ماذا أريد .

فردنيند

(يدفع خادم عدالة، ويمسك بلويزة بإحدى ذراعيه،
وبالذراع الأخرى يوجه نحوها سيفه) يا أبي قبل أن تلتطخ
شرف زوجتي، فإني أغرس فيها سيفي . فهل لا تزال
مصرا؟

الرئيس

: افعل ذلك، إذا كان حدّ هذا السيف حادا بدرجة
كافية .

فردنيند

(يترك لوييزة ويرفع نحو السماء نظرة مروعة) يا إلهي
العظيم! أنت شاهد . لا توجد وسيلة إنسانية لم
أحاولها . لابد إذن من وسيلة شيطانية . أنت تسوقها إلى
عود المشنقة، أما أنا ففي تلك الأثناء (يصرخ في أذن
الرئيس) فسأروي في القصر الطريقة التي بها يصير المرء
رئيسا للوزراء . [يخرج]

الرئيس

(وكانه وقعت عليه صاعقة) ما هذا؟ يا فردنيند! أطلق
سراحها . (يعدو خلف الرائد) .

الفصل الثالث

المنظر الأول

(صالون عند الرئيس)

الرئيس والسكرتير فورم يدخلان

الرئيس هذه حيلة شيطانية .

فورم هذا هو ماتخوفت منه ، ياسيدي . إن الإكراه يعنّف القلوب المشبوبة ، لكنه لا يهديها إلى الصواب .

الرئيس كنت قوي الثقة بهذه الخطوة . لقد قدرت مايلي : إذا سربلت البنت بالعار ، فيجب عليه ، بوصفه ضابطا ، أن يتخلى عنها .

فورم حسن ! لكن كان لابد من الوصول إلى سربلتها بالعار .

الرئيس ومع ذلك ، فحين أفكر في الأمر بروية ودم بارد ، فإنه لم يكن من الواجب عليّ أن أستسلم . لقد كان ذلك تهديدا فقط ولم يكن ينفذه أبدا .

فورم لا تصدق هذا . بالنسبة إلى الوجد المغتاز كل جنون ممكن . أنت تقول لي إن السيد الرائد كان يهز رأسه دائما

كلما تعلق الأمر بإدارتك . وأنا أعتقد ذلك . إن المبادئ التي أتى بها من الجامعات لم ترض أبدا . إذاً مامعنى هذه الأحلام الخالية عن عظمة النفس والنبيل الشخصي ، في بلاط أكبر حكمة فيه هي أن يجعل المرء من نفسه ، بطريقة بارعة ، عظيماً أو صغيراً ، إنه من الشباب والحماسة بحيث لا يستطيع أن يستلذ السير البطيء المتلوي للمؤامرات ، ولن يستطيع أن يثير طموحه إلا ماهو عظيم وحافل بالمغامرات .

(متضايقا) لكن كيف تستطيع ملاحظتك السيدة الحكيمة جدا أن تصلح قضيتنا؟

الرئيس

إنها تكشف الجرح لصاحب المعالي ، وربما أيضا الوسيلة لتضميده . مثل هذا الخلق -اسمح لي- ماكان ينبغي أبدا الإفضاء بالأسرار إليه ، ولا أن يُجعل عدوا إنه يبغض الوسائل التي ارتقيت أنت بها . ربما أمسك الابن حتى الآن لسان الخيانة . اعطه الفرصة للتخلي بطريقة شرعية عن الدور الأول من كلا الدورين ، أقنعه ، بهجمات متكررة على وجدده ، بأنك ليس عندك حنان الأب ، هنالك تتغلب عليه واجبات الوطني الغيور . نعم ، ليس إلا الخيال الغريب للتضحية ، للعدالة -هذه التضحية الرائعة- هو الذي يمكن أن يكون له في نظره ما يجذبه إلى الإيقاع بأبيه .

فورم

- الرئيس فورم ، فورم ! إنك بهذا تقتادني إلى حافة هاوية رهيبة .
- فورم إني أريد أن أبعدك عنها يا صاحب السيادة . هل في وسعي أن أتكلم بصراحة؟
- الرئيس (وهو يجلس) مثلما يتحدث محكوم عليه مع شريكه في الحكم عليه .
- فورم إذن أن تسمح لي . يلوح لي أن الرئيس يدين بكل شيء لمرونته .
- رجل بلاط فلماذا لا يلجأ الأب إلى نفس الشيء؟ إني أتذكر بأي تلطف ومودة أنت قد دعوت سلفك إلى دورة لعبة ورق من نوع البيكيه*Piques وكيف أنك أغرقت في نبيذ المودة البورجوني نصف الليلة ، ومع ذلك فقد كانت تلك هي الليلة نفسها التي كان على اللغم الكبير أن يلعب وأن يطيح بصاحبك في الهواء : لماذا أريت لابنك عدوك؟ لم يكن من الواجب أن يعرف أنني أعرف غرامياته . كان عليك أن تدمر القصة من جانب الفتاة وأن تحافظ على قلب ابنك . وكان عليك أن تلعب دور القائد الحصيف الذي لا يهاجم العدو في وسط الجنود ، بل يحدث انقساماً في الصفوف .

* لعبة ورق (كوتشينة) فيها اللاعب يجب عليه أن يجمع أكبر عدد من الأوراق التي من نفس النوع ، وبعض الأشكال . وسميت بهذا الاسم Piquet نسبة إلى مخترعها الفرنسي وكانت تلعب بين شخصين اثنين .

الرئيس

كيف كان يجب التصرف إذن؟

فورم

بطريقة في غاية البساطة ، والخطة لم تفسر تماما حتى الآن . لا تهاجم وجدا لن تزيده المقاومة إلا قوة . اترك لي مهمة فقس الدودة التي تقرض هذا الوجد على ناره هو .

الرئيس

إني متشوق إلى معرفة ذلك .

فورم

إما أنني لا أعرف جيدا بارومتر النفس ، وإما أن يكون السيد الرائد مخيفا في الغيرة بقدر ماهو مخيف في الحب . اعمل على جعل الفتاة مشكوكا فيها عنده ، بشكل محتمل أو غير محتمل . إن حبة* من الخميرة تكفي لجعل العجينة كلها في اختار يقضي على كل شيء .

الرئيس

لكن من أين يحصل على هذه الحبة؟

فورم

: تلك هي النقطة الجوهرية . وقبل كل شيء ، يا صاحب السيادة ، قل لي بوضوح بماذا تخاطر إذا طالت مقاومة الرائد؟ وإلى أي حد يملك أن تضع حدا لقصة غرامه مع البرجوازية الصغيرة ، وأن يعقد الزواج مع ليدي ملفورد؟

الرئيس

أستطيع بعد أن تسألني هذا السؤال ، يافورم؟ إن كل نفوذي سيصبح في خطر إذا أخفق الزواج بالليدي ، ورأسي سيكون في خطر إذا أرغمت الرائد .

* وزن من موازين الصيادلة .

فورم

(بحماسة) الآن تفضل بالاستماع إليّ. سنغلب الرائد بالمكنة. في مواجهة الفتاة ستستخدم كل سلطتك. ستملي عليها كتابة بطاقة رقيقة* موجهة إلى شخص ثالث، وسنعمل على أن تقع البطاقة في يد الرائد.

الرئيس

فكرة جنونية! كما لو كان من السهل جعلها تكتب قرار إعدامها!

فورم

الأمر سهل، لو أعطيتي إذنًا بالتصرف المطلق. إنني أعرف هذا القلب الطيب معرفة عميقة. ليس عندها إلا جانبان ممتان يمكن منهما أن نهجم ضميرها، وهما: أبوها، والرائد. والثاني يبقى دائمًا خارج اللعبة، وهذا يجعلنا أكثر حرية في التعامل مع عازف الموسيقى.

الرئيس

ماذا نعمل مثلاً؟

فورم

بحسب ما قلته معاليك عن المنظر الذي جرى في بيته، فإنه لا شيء أسهل من تهديده بقضية تؤدي إلى الإطاحة برأسه. إن الشخص الأثير عند الدوق والمحافظ على الأختام هو قطعاً ظل صاحب الجلالة. فأني إهانة توجه إليه تعد إهانة لصاحب الجلالة. وأنا أريد، على الأقل، أن أولج هذا الحقير المسكين في سم الخياط (ثقب الإبرة) بواسطة هذه الحيلة الشيطانية.

الرئيس

لكن العملية يجب ألا تصير جادة.

* رسالة غرام.

فورم

طبعاً لا. وإنما فقط بمقدار ما تصير معه الأسرة في حرج بالغ. سنقبض إذن على العازف بكل همّة. ولزيادة الإحراج، يمكن أيضاً القبض على الأم. ونتكلم عن تهمة إجرامية، وعن المشقة، وعن السجن المؤبد، ونجعل البطاقة التي نحمل الفتاة على كتابتها هي الشرط في إطلاق سراحهم.

الرئيس

حسن، حسن، أنا فاهم.

فورم

إنها تحب أباهما، حياً أستطيع أن أقول إنه يبلغ درجة الوجد. وفكرة أن حياته، أو حريته على الأقل هي في خطر، وتأنيب الضمير الذي يمكن أن يساورها في هذا الموضوع، واستحالة زواجها من الرائد، وأخيراً تدوين عقلها، وهو ما سأتولى أنا القيام به، كل هذا سيحدث، ولابد من إيقاعها في الفخ.

الرئيس

لكن، هل ابني لن يعرف ذلك في الحال؟ هل لن يزداد بهذا غضباً وانفعالاً؟

فورم

: دعني أرتب هذا كله، يا صاحب السيادة. إن الأب والأم لن يطلق سراحهما قبل أن أستخلص من كل الأسرة قسماً غليظاً بأن يخفوا كل هذه العملية وأن تصادق على خديعتنا.

الرئيس

قسم؟ ما فائدة القسم، يا مغفل؟

فورم

لا شيء بالنسبة إلينا، لكنه كل شيء بالنسبة إلى هذا النوع من الناس . وهكذا ترى بوضوح أنه بهذه الطريقة سيبلغ كلانا غرضه . الفتاة ستفقد حب الرائد وسمعتها من حيث الفضيلة . والأب والأم ستحلو لهجتها، وإذا ما لينت عريكتها بأدلة من هذا القبيل شيئاً فشيئاً، فسينتهي بهما الأمر إلى أن يفدا من باب الشفقة والرحمة ويطلبان أن تسترد الفتاة شرفها بأن أطلب يدها .

الرئيس

(يضحك، وهو يهز رأسه) نعم، أنا أعترف بأنني مغلوب، أيها الوغد . إن ترتيب المكيدة ينطوي على مهارة شيطانية . إن التلميذ فاق المعلم . والآن، علينا أن نعرف إلى من ستوجه البطاقة الغرامية، من هو الشخص الذي سنوقعها فيه؟

فورم

لابد أن يكون شخصاً يكسب كل شيء أو يخسر كل شيء من القرار الذي سيتخذه ابنك .

الرئيس

(بعد لحظة من التفكير) لا أرى إلا مدير البلاط .

فورم

(يهز كتفيه) لو كنت أنا لوييزة ملر، فإن اختياري لم يكن ليقع على هذا الشخص .

الرئيس

ولم لا؟ سيكون هذا غريباً منها: ملابس فاخرة، جو حافل بهاء آلاف الأزهار والمسك، وكلام تافه في كل مناسبة، ويد مملوءة بالنقود الدوقية . أكل هذا لا يجتذب في النهاية عطف برجوازية صغيرة؟ أوه ! يا صاحبي، إن الغيرة ليست حريصة على الشرف إلى هذا الحد . سأرسل في طلب مدير البلاط (يدق الجرس) .

فورم
بينما معاليك سينشغل بهذا وبإصدار قرار باعتقال
العازف، فلإني ذاهب لتحرير البطاقة الغرامية المتفق
عليها.

الرئيس
(وهو يذهب إلى درج مكتبه) وأتني بها حين تفرغ من
تحريرها. فورم يذهب. الرئيس يجلس ليكتب. خادم
يدخل. الرئيس يقف ويعطيه ورقة. يحمل فوراً هذا
القرار بالقبض إلى المحكمة. ورسول آخر يذهب إلى
مدير البلاط ليرجوه الحضور عندي.

الخادم
عربة سيادة المدير وقفت في هذه اللحظة على الباب.

الرئيس
هذا أحسن. لكن عليك أن تعمل باحتياط بحيث
لا تحدث ضجة.

الخادم
: حسن جداً، يا صاحب المعالي. (يخرج)

المنظر الثاني

الرئيس ومدير البلاط

مدير البلاط (وعليه سيما الانشغال) فقط وأنا عابر، يا عزيزي جدا!
كيف حالك؟ كيف الشأن في صحتك؟ في هذا المساء
ستمثّل أوبرا «ديدونا»* هذه الأوبرا العظيمة. وأجل
صواريخ نارية. كل المدينة ستحتفل بالمشاعل. أنت
أيضا ستحضر لمشاهدتها وهي تشتعل؟ ماذا؟

الرئيس عندي في بيتي ما يكفيني من الصواريخ النارية القادرة
على الإطاحة بكل عظمتي في الهواء. لقد آتيت في الوقت
المناسب، يا عزيزي المدير، من أجل أن تنصحنني
وتساعدني بجد في مسألة يمكن أن ترفعنا نحن الاثنين أو
أن تقضي علينا تماما.

مدير البلاط لا تثر الفزع في نفسي، يا عزيزي الطبيب.

الرئيس كما أقول لك: أن ترفعنا نحن الاثنين أو أن تقضي علينا
تماما. أنت تعرف مشروعي الخاص بالرائد وبالليدي.
وأنت تفهم جيدا كيف أن هذا الزواج ضروري من أجل
توكيد حظنا نحن الاثنين. كل شيء يمكن أن ينهار،
يا فون كلب! إن ابني فردينند لا يريد.

* هي أوبرا «ديدونا المتروكة» تأليف نغولا بوملي Jommelli (١٧١٤ - ١٧٧١) وكان رئيس الفرقة
الموسيقية في شتوتغارت (١٧٥٣ - ١٧٦٩)، والنص من تأليف بييترو ميتاستازيو Metastasio
(١٦٩٨ - ١٧٨٢) وتصور ديدونا، ملكة قوطاجة، بعد أن هجرها إينياس، وقد أحرقت قصرها.
ومثلت هذه الأوبرا مرارا في عصر كارل أوغين.

مدير البلاط لا يريد، لا يريد. لكنني أعلنت عن هذا في كل المدينة. وهذا الزواج على كل لسان.

الرئيس أنت تجازف بأن تعد مهذاراً* في نظر كل المدينة. إنه يجب فتاة أخرى.

مدير البلاط أنت تداعب. أهذا مانع؟

الرئيس بالنسبة إلى هذا الرأس العنيد، نعم هذا أكبر مانع وعقبة كأداء.

مدير البلاط أياكون من الجنون بحيث يرفض حظه؟ ماذا؟

الرئيس انتظر، واسمع ما سيجيب به.

مدير البلاط : لكن يا إلهي! بماذا يمكن أن يجيب؟

الرئيس بأنه يريد أن يكشف لكل الناس الجريمة التي بواسطتها نحن ارتقيناً (إلى مناصبنا)، وبأنه يريد أن يكشف عن رسائلنا المزورة، ومخالفاتنا المزورة، وأن يسلم علينا إلى سيف العدالة. هذا هو ما سيجيبك به.

مدير البلاط هل أنت مجنون؟

الرئيس هذا هو ما أجابني به، وهذا ما تصور أنه واجبه. وبكذلك أفلحت في صرفه عن ذلك بواسطة استسلامي العميق له. ما رأيك في هذا؟

* مهذار ومهذارة وهذرة: أي يخلط في منطقته ويتكلم كلاماً غير صحيح.

مدير البلاط

(وعلى وجهه سيماء البلاهة) إني في ذهول .

الرئيس

هذا يمكن أن يجزّ إلى بعيد . لقد علمت من جواسيسي
أن الساقى الكبير فون بوك مكلف بأن يتقدم للزواج
بالليدي .

مدير البلاط

إنك تجعلني أفقد عقلي . من ، تقول؟ تقول : فون بوك؟
ألا تعرف أننا أعداء له ألداء؟ أتعرف لماذا؟

الرئيس

هذه أول مرة أعرف هذا .

مدير البلاط

ياعزيزي ستعلم هذا تمام العلم ، وستتعد من هذا من
أعلى رأسك حتى أخص قدميك . أتتذكر حفلة راقصة
في البلاط ، مضى عليها الآن واحد وعشرون عاما ، أن
تعلم هذا ، ففيها رقصنا أول رقصة إنجليزية ، وفيها
الكونت فون ميرشاوم Meershawm تلقى على معطفه
الدومينو كل الشمع الذي سال من النجفة؟ آه! يا إلهي!
لايمكن أن تكون نسيت هذا؟

الرئيس

ومن لا يذكر هذا؟

مدير البلاط

إن الأميرة أماليا ، في حمية الرقص ، كانت قد أضاعت
ربطة الساق ، وإذا بالجميع في اضطراب ، كما هو مفهوم
طبعاً . فون بوك وأنا كنا لا نزال بعد برتبة وصيف .
فرحنا نفتش في كل القاعة عن ربطة الساق . وأخيرا
شاهدتها ، ولمحها فون بوك الذي وثب مسرعا وانتزعها
من يدي -اصبر عليّ قليلا- وحملها إلى الأميرة ، وهكذا
استلب مني الشكر . ما رأيك في هذا؟

الرئيس

: ياله من وقح!

مدير البلاط

نعم استلب مني الشكر. شعرت حينئذ بتوعك. مثل هذا العمل الخبيث لم يشاهد مثله من قبل. وأخيرا استرددت عافيتي. واقتربت من صاحبة السمو وقلت لها: ياسيدي! إن فون بوك كان من حسن حظه أن يحمل إليك ربطة الساق، لكن أول من شاهد هذه الربطة يستطيع أن يستمتع بذلك في صمت وأن يسكت*

الرئيس

برافو، يامدير البلاط، برافو جدا.

مدير البلاط

«... وأن يسكت». لكنني سأحمل موجدة لفون بوك على فعلته هذه حتى يوم الحساب. ياله من متملق حقير وزاحف! وليس هذا كل شيء. فإننا حين ارتقمنا معا على هذه الربطة من أجل التقاطها، انتزع فون بوك كل الدزور (البودره) في الجانب الأيمن من شعري، وهكذا أفسد عليّ كل حفلة الرقص.

الرئيس

إذن هذا الرجل هو الذي سيتزوج ليدي ملفورد وتكون له المرتبة الأولى في البلاط!

مدير البلاط

لكنك تغرس خنجرا في قلبي. نعم المرتبة الأولى! المرتبة الأولى! ولماذا هذا، وما الضرورة في هذا؟

الرئيس

لأن ابني فردنيند لا يريد، ولأنه لم يتقدم أي شخص آخر.

* شلر يسخر هنا أشد السخرية من تفاهة رجال البلاط في قصور الملوك والدوقات.

مدير البلاط لكن، ألا تعرف وسيلة لإرغام الرائد، حتى لو كانت هذه الوسيلة شاذة ويائسة؟

الرئيس لا أعرف إلا وسيلة واحدة، وتتوقف عليك أنت .

مدير البلاط وتتوقف عليّ أنا؟ ماهي هذه الوسيلة؟

الرئيس هي أن تفسد ما بين الرائد ومحبوبته .

مدير البلاط أفسد بينهما؟ ماذا تعني بهذا؟ وماذا أستطيع أن أفعل؟

الرئيس سيكتسب كل شيء، إذا بثنا فيه الشكوك حول هذه الفتاة .

مدير البلاط الشكوك في أنها تسرقه، أليس كذلك؟

الرئيس كلا، أننى له أن يصدق ذلك؟ بل الشكوك في أنها على علاقة مع شخص آخر.

مدير البلاط وهذا الآخر من هو؟

الرئيس لا بد أن يكون هو أنت، يا بارون .

مدير البلاط إنه أنا؟ أنا؟ هل هي نبيلة؟

الرئيس ولماذا هذا؟ ما هذه الفكرة؟ إنها بنت عازف موسيقى .

مدير البلاط إنها برجوازية؟ هذا لا يمكن أن يتم . كيف؟

الرئيس هذا لا يمكن أن يتم؟ ما هذا الجنون؟ مَنْ من الناس تحت الشمس خطر بباله أن يسأل الوجه الجميل عن نسبه وحسبه؟

مدير البلاط : لكن رجلا ذو شرف مثلي! وسمعتي في البلاط؟

الرئيس
هذه مسألة أخرى . ساحني ، أنا لم أكن بعد أعرف أن سمعتك أن تكون ذا أخلاق لا تثريب عليها هي أهم عندك من أن يكون لك نفوذ ومكانة . لنقطع الكلام إذن عند هذا .

مدير البلاط : كن عاقلا ، يابارون ، أنا لم أقصد هذا .

الرئيس
(بجفاء) لا ، لا! أنت على حق تماما . وأنا ضقت ذرعا بكل هذا .

أترك العمل عند هذا . وسأهنيء فون بوك بكونه سيصبح رئيسا للوزراء . الحياة ليست هذا فقط ! سأقدم استقالتني إلى الدوق .

مدير البلاط : وأنا؟ أنت تتكلم باستخفاف . كما يحلو لك . أنت رجل متعلم ، أما أنا ، فيا إلهي ! ماذا سأكون ، إذا كان صاحب السمو لا يريدني؟

الرئيس : نكتة بالأمس ، و«موضة» السنة الماضية .

مدير البلاط : أستحلفك ، ياعزيزي ، أن تترك مثل هذه الأفكار ، سأفعل كل ما يطلب مني .

الرئيس
هل توافق على أن تعير اسمك من أجل موعد (غرامي) تعطيك إياه هذه البنت ملر بواسطة بطاقة (غرامية تكتبها إليك)؟

- مدير البلاط مؤكد ، أنا أوافق على إعارة اسمي .
- الرئيس وتعمل في أن تقع هذه البطاقة تحت نظر الرائد؟
- مدير البلاط مثلا ، عند الاستعراض ، سأجعلها تسقط دون انتباه ،
عندما أسحب منديلي .
- الرئيس وستلعب دور العاشق في مواجهة الرائد؟
- مدير البلاط موت حياتي! سأغسل رأسه ، وسأعلم هذا السيد
الصغير ألا يكون مولعا هكذا بغرامياتي .
- الرئيس هذا ممتاز جدا . ستكتب البطاقة هذا اليوم . وستمر
مساء لأخذها ولتدبير موقفك معي .
- مدير البلاط بعد أن أكون قد قمت بست عشرة زيارة ذات أهمية
قصوى . ومعذرة إذا كنت أتركك بسرعة هكذا
[يخرج] .
- الرئيس (يدق الجرس) إني أعتمد على براعتك ، يامدير!
- مدير البلاط (وقد عاد أدراكه) آه! يا إلهي! أنت تعرفني .

المنظر الثالث

الرئيس وفورم

فورم : العازف وزوجته أودعا السجن بكل هدوء وبدون
ضوضاء . هل تريد معاليك أن تتصفح البطاقة؟

الرئيس

(بعد أن قرأها) تمام، تمام، ياسكرتيري الغث . إن مدير
القصر قد بلغ الخطأ بجرعة سم حضرت جيدا هكذا،
يمكن الإصابة بأنسب طاعون . اذهب بسرعة ورتب
الشروط مع الأب، ثم اذهب فورا إلى الفتاة . (يخرجان
من بابين متقابلين) .

المنظر الرابع

بيت ملر

لويزة، وفردنيند

لويزة أرجوك، اتركني! إني لم أعد أوّمن بالسعادة. كل آمالي تبخرت.

فردنيند أما آمالي أنا فإنها في أوج ازدهارها. إن أبي غاضب، وأبي سيوجه ضدنا كل مدافعه، وسيرغمني على أن أكون ولدا عاقا. إني لم أعد مسئولا عن واجبي البنوي. والغضب واليأس سينزعان مني السر الأسود لجريمتي. الابن سيسلم الأب إلى أيدي الجلاد. والخطر بالغ أقصاه، ولا بد للخطر أن يبلغ أقصاه كيما يجزؤ حبي على أن يخطو هذه الخطوة الهائلة. اسمعي يا لويزة! إن فكرة كبيرة تتجاوز المقدار مثل وجداني. تهبط روحي. أنت والحب وأنا - هل ثم شيء آخر تحت قبة السماء؟ هل تعرفين شيئا آخر غير ذلك؟

لويزة : توقف، لا تكمل، إني أرتعد مما ستقوله.

فردنيند : هل لنا أن نطلب من العالم شيئا؟ لماذا نستجدي منه رضاه؟ لماذا نفكر في مكان فيه نخسر كل شيء

ولا نكسب شيئاً؟ هل عينك ستكونان أقل سحرا حين
تلمعان على شواطئ نهر الراين، أو بحر البلطيق؟ إن
وطني هو في الأماكن التي فيها لويضة تحبني، وأثر
خطواتك على رمل صحراء موحشة هو أهم عندي من
معابد بلدي . سننسى ترف المدن . وأينما سنكون،
يا لويضة، ستكون هناك شمس نشاهد إشراقها وغروبها،
وهذا المنظر سيتجلى أعظم من محاولات الفن الباطلة .
نحن لم نعد نمجد الله في المعابد، وإنما الليل ينشر
حوالينا رعيه الديني، والقمر بتغيراته سيدعونا إلى
التوبة، والنجوم من عليائها التقية ستضم دعواتها إلى
دعواتنا . إن ابتسامة من حبيتي لويضة تكفي لقرن
كامل، وحلم الحياة سيتتهي قبل أن أستنفد دمعة واحدة
من دموعها .

أليست لديك واجبات أخرى غير حبي؟

لويضة

(وهو يحتضنها بين ذراعيه) إن أقدس شيء هو راحتك
أنت .

فردنيند

(بلهجة جادة) إذن اسكت، واتركني . إن لي أباً ليس
لديه مال غير ابنته الوحيدة؟ وغدا سيبلغ من العمر سن
الستين، وهو متأكد من انتقام الرئيس .

لويضة

(مقاطعا إيهاها بشدة) إنه سيصبحنا . لا اعتراضات
بعد، يا حبيتي . سأحول ماهو ثمين لدي إلى ذهب،

فردنيند

وسأستولي على بعض المبالغ من مال أبي، أوليس من
المسموح به تجريد اللصوص من أموالهم؟ أليست كنوزه
هي من ثمن دم الوطن؟ بعد منتصف الليل بساعة
ستحضر هنا عربة، وسترمين بنفسك فيها وسنهرب!

لوزية

ولعنة أبيك ستطاردنا؟ لعنة - ألا تفكر في هذا - لعنة
لا ينطق بها حتى القاتل نفسه دون أن تُلبى، لعنة ينفذها
انتقام السماء، حتى لو كانت آخر صيحة للص وهو على
عجلة التعذيب، لعنة تلتصق بنا، في هروبنا، كشبح
لا يرحم، وتهددنا من بحر إلى آخر. لا، يا حبيبي! إذا
كانت الجريمة هي وحدها التي تستطيع أن تحفظك لي،
فلا يزال عندي القوة الكافية لاحتمال فقدانك.

فردنيند

: (لا يتحرك، ويتلثم بوجه كئيب) صحيح؟

لوزية

فقدانك! أوه! هذه فكرة مروعة ترويعا، لا حد له،
مخيفة إلى درجة أن تنفذ وتقتل نفسا خالدة، وتطبع
الشحوب على خد السرور المتجسد. أن أفقدك
يا فردنيند، لكن ماذا أقول؟ إن المرء لا يفقد إلا ما
يملك، وقلبك ينتسب إلى مرتبته. إن ادعائي كان
تجديفا، وأتخلى عنه وأنا أقشعر.

فردنيند

: (منقبض الوجه، وهو يعرض على شفته) هل تتخلين
عني.

لوزية

: كلا! انظر إليّ، يا عزيزي فون فالتر! لا تحرق الأرم بمرارة
هكذا! تعال! دعني الآن أنعش بشجاعتني شجاعتك

المتخاذلة . دعني أكن بطة هذه الأزمة ، دعني أعد إلى
الأب ابنه الذي يفرّ منه . دعني أتخلّ عن رابطة تعكر
العلاقات الاجتماعية وتنتهك القوانين الثابتة للنظام
العام . إني أنا الجانية الأثمة . إن قلبي تولع بأماناتي
المتهورة المجنونة . وشقائي هو عقابي ، لكن دع لي على
الأقل اليوم الوهم العذب بأن هذه تضحية مرة . هل
تحسدني على هذه المتعة ؟

(في ذهوله وغضبه أمسك بكمنجة وحاول العزف
عليها . وفجأة انتزع أوتارها ، وحطم الآلة على الأرض ،
وغادر المكان وهو يضحك ضحكة صاخبة)

فرديند

فون فالتر! يا لرب السماء! ماذا تفعل؟ تشجع! هذه
اللحظة تحتاج إلى الثبات . إنها لحظة الانفصال! إن
لديك قلبا ، يا عزيزي فالتر! وأنا أعرفه . وحبك مشبوب
كالحياة ، ولا حدود له كالعالم الفسيح . هبه لفتاة نبيلة ،
أجدر مني ، ولن تحسد على ذلك أسعد فتيات جنسها
(وهي تخلق عبراتها) . أما أنا فلن تراني عوضا! على الفتاة
المعزورة المخدوعة أن تستهلك حزنها في الدموع ، وهي
قابعة بين جدران متوحدة وهذه الدموع لن يحفل بها
أحد . إن مستقبلي خاو وميت . ومع ذلك فليني
سأستروح أحيانا بعد أزهار الماضي اليابسة . (تبسط إليه
يدا مرتعشة وهي مشيخة بوجهها) وداعا ياسيد فون
فالتر.

لويزة

فردنيند (يرتعث ويضيق من ذهوله) سأهرب، يا لويظة. أحق أنك لن تأتي معي؟

لويظة : (تجلس في زاوية الغرفة وتستر وجهها بيديها) إن واجبي يأمرني بالبقاء ومعاناة الآلام.

فردنيند أنتِ تخدعيني، يا أفعى! إن دافعا آخر هو الذي يجعلك تبقين هاهنا.

لويظة (بلهجة ملؤها بالغ الألم) تمسك بهذا الشك، فلعله أن يجعلك أقل شقاء؟

فردنيند تضعين الواجب البارد في مقابل الحب المشيوب، وتريدين أن تبهريني بهذا القدر التافه؟ إن عاشقا آخر هو الذي يجعلك تبقين هاهنا، والويل لك إن صدق ظني هذا! (يخرج بسرعة ولهفة)

المنظر الخامس

لويـزة (وحدها)

(تبقى وقتاً طويلاً دون أن تتكلم أو تتحرك على كرسيها، ثم تقف وتتقدم، وتتطلع حواليتها بفزع)

لويـزة أين يمكن أن يكون أبواي؟ إن أبي قد وعد بالعودة بعد دقائق قليلة، لكنه غائب منذ خمس ساعات رهيبة. هل حدث له شيء؟ ماذا أستشعر؟ لماذا يصعب عليّ التنفس؟ (في هذه اللحظة يدخل فورم في الغرفة، ويتوقف في الزاوية دون أن تلمحه لويـزة). هذا ليس بالحقيقي، إنها مجرد أوهام مروعة لقلب مضطرب. إن النفس حين تسكر من اليأس، فإن عيوننا تتصور كل شيء شبحاً.

المنظر السادس

(لويـزة والسـكرتير فورم)

- فورم (مقتربا منها) صباح الخير، يا آنسة!
- لويـزة يا الله! من الذي يتكلم هاهنا؟ (تتلفت، تلحظ فورم وتراجع مرتاعة) آه! يا للهول! يا للهول! إن توقعي الأليم قد تحول إلى واقع مروع أكبر ترويع! (مخاطبة فورم، بنظرة مليئة بالاحتقار): لعلك تبحث عن الرئيس؟ إنه لم يعد هاهنا.
- فورم إني أبحث عنك أنتِ يا آنسة.
- فورم أنا مندهشة من كونك لم تذهب لتبحث عني في ميدان السوق؟
- فورم :- لماذا في ميدان السوق؟
- لويـزة لنزع خطيبتك من عود المشقة.
- فورم يا آنسة ملر، إن لديك ظنونا ظالمة.
- لويـزة (تريد أن تحيب، لكنها تتوقف ثم تستأنف الكلام) هل تريد شيئا؟

- فورم لقد جئت مبعوثا من ناحية أبيك .
- لويزة (وهي مرتاعة) من ناحية أبي؟ وأين أبي؟
- فورم في وضع سيء .
- لويزة باسم السماء! تكلم . إن لديّ هواجس محزنة . أين أبي؟
- فورم إنه في السجن ، مادمت تريد أن تعرفي .
- لويزة (ترفع عينيها نحو السماء) وهذا أيضا! وهذا أيضا لماذا هو في السجن؟
- فورم بأمر من الدوق .
- لويزة من الدوق؟
- فورم بسبب جريمة إهانة صاحب الجلالة التي ارتكبتها ضد شخص ممثله . . .
- لويزة : كيف! كيف! يا إلهي يا قوي!
- فورم فإن الدوق قرر أن يعاقبه عقابا شديدا جدا .
- لويزة هذا هو ما كان ينقصني ، من غير شك ، إن قلبي كان لديه أيضا — ماعدا الرائد — شيء عزيز . لم يكن من الممكن أن أعفى من هذا! جريمة إهانة صاحب الجلالة! آه! أيتها العناية السماوية! ثبتني ، ثبتني إيماني المترنح! وفردينند؟

فورم

سيختار بين ليدي ملفورد وبين لعنة أبيه الذي يحرمه من الميراث .

لويزة

ياله من اختيار مخيف! ومع ذلك، مع ذلك هو أسعد مني، إنه ليس له أب يفقده. صحيح أن كون أن ليس له أب هو شقاء جهنمي، أبي مرتكب جريمة إهانة صاحب الجلالة، وجيبي إما ملعون ومحروم من الميراث أو زوج لليدي. حقا هذا رائع. إن السفالة الكاملة هي أيضا كمال مثل سائر الكمالات. كمال؟ كلا، لا يزال ينقص شيء آخر. وأين أمي؟

فورم

في دار الشغل .

لويزة

(وهي تضحك ضحكة اليأس) الآن طفح الكيل، واكتمل كل شيء، اكتمل كل شيء! إنني حرة، قد تخلصت من كل واجب، من كل دمة، من كل سرور. لم أعد في حاجة إلى أي شيء (بعد صمت مروع) ربما كان عندك أخبار أخرى تقولها لي؟ تكلم دائما. . . إني أستطيع سماع كل شيء الآن.

فورم

أنتِ تعلمين كل ماحدث .

لويزة

لكني لا أعلم ماذا سيحدث أيضا. (تسكت، وتتطلع فيه من رأسه إلى قدميه) يالك من رجل مسكين! إنك تقوم بوظيفة بائسة، ومن المستحيل عليك أن تسعد وترقى. إن صنع بائسين أمر مخيف، لكن إعلان البؤس

لهم أمر أشد ترويعا : أن تأتي تشدد لهم نشيد الجوقة ،
وتقف هناك بينما قلبهم الدامي يعاني وقد انغرس فيه
سهم الضرورة الصلب ، وبينما المسيحي التقي يشك في
إلهه . ليحفظني الله من أن أكون يوما في مكانك ، حتى
لو كانت كل دمعة تراها تسقط يدفع لك فيها طن من
الذهب . وماذا يمكن أن يحدث أيضا؟

لا أدري .

فورم

أنت لا تريد أن تعرف ذلك . إن الكلام يتقهقر أمام
الرسالة الكريمة التي كلفت أنت بها ، لكن من خلال
هذا الصمت الرهيب يترأى لي في عينيك شبح . ماذا
بقي بعد؟ أنت قلت إن الدوق يريد أن يقسو جدا في
العقاب . ماذا تعني بقولك : يقسو جدا؟

لا تطلبي مني أكثر من هذا .

فورم

: اسمع ، يارجل : لقد كنت في مدرسة الجلاد ، فكيف
قدرت ببراعة أن تدع عمود الحديد يسقط ببطء على
الأعضاء التي تتحطم ، وأن تتلاعب كأن تمسك بالضربة
القاضية معلقة فوق القلب النابض؟ أي مصير يهدد
أبي؟ إن الموت يبدو أن ابتسامتك تعلن عنه؟ لكن لا بد
أن ما تخفيه في نفسك هو أمر مروع؟ تكلم ، دعني أتلقي
على الفور كل العبء الذي لا بد أنه سيسحقني سحقا .
أي مصير يهدد أبي؟

لويزة

- فورم قضية جنائية .
- لويزة ماهي القضية الجنائية؟ إنني فتاة ساذجة جاهلة ،
ولا أفهم كلماتكم اللاتينية الرهيبة . ماذا تعني بالقضية
الجنائية؟
- فورم قضية فيها إما الحياة وإما الموت .
- لويزة (بثبات) أشكر لك . (تهرع إلى الغرفة المجاورة) .
- فورم إلى أين ، هي ذاهبة؟ ماذا تفعل هذه المجنونة! إنها ليست
ذاهبة! سأعدو وراءها ، إنني مسئول عن حياتها . (يريد
اللاحاق بها) .
- لويزة (تعود ، وقد وضعت طرحة على كتفها) : اعذرني
ياسيدي السكرتير . لا بد لي من أن أغلق الباب ورائي .
- فورم وإلى أين أنت ذاهبة هكذا بسرعة؟
- لويزة : إلى الدوق . (تريد الخروج) .
- فورم أين؟ وكيف؟ (يمسك بها وهو خائف جدا) .
- لويزة أنا ذاهبة إلى الدوق ، ألم تفهمني؟ إلى الدوق الذي
سينطق بقرار الحياة أو الموت على أبي . كلا ، إنه لا يريد ،
إنه سيدع غيره ينطق ، لأن بعض الأوغاد يريدون ذلك ،
عند هذا الدوق الذي لن يشترك في كل هذه القضية
المتعلقة بإهانة صاحب الجلالة . إلا بمقدار ما يضع
توقيعه بوصفه الأمير .

فورم : (يضحك بصوت عال) إلى الدوق؟

لوزية

أعلم أنك تستطيع أن تضحك على هذا. لن أجد أقل رحمة. يا إله الرحمة! لن أجد إلا الاحتقار، الاحتقار لرفراقي. لقد قيل لي إن العظماء على هذه الأرض لا يعرفون ماهو الشقاء، ولا يريدون أن يعرفوه، ولكني سأقول له ماهو معنى الشقاء. سأرسم له بكل سكرات الموت ماهو معنى الشقاء. سأصرخ فيه صرخات تسحق عظامه حتى النخاع كي يفهم معنى الشقاء. وحينها يقف شعره على رأسه من هول هذه الصورة سأتوقف صائحة في أذنيه إنه في ساعة الموت تبدأ رثات آلهة الأرض في النزاع أيضا، وأنه في يوم الحساب سيحاسب الملوك والشحاذون بنفس الميزان. (تريد أن تخرج).

فورم

(بتعاطف غدار) اذهبي، اذهبي، لا تملكين أن تفعلي شيئا أكثر حكمة من هذا: إني أنصحك أن تذهبي، وأنا أتعهد لك بأن الدوق سيحسن استقبالك.

لوزية

(تتوقف فجأة) ماذا تقول؟ أنت تنصحنني بذلك؟ (تراجع فجأة) ها! ماذا أفعل إذن؟ لابد أنه أمر مخيف لأن هذا الرجل يدعو إليه. من أين تعلم أن الدوق سيستجيب لرغبتني؟

فورم

لأنه لن يفعل ذلك مجانا.

لوزية

ليس مجانا؟ أي سعر يجب دفعه في مقابل عمل إنساني؟

- صاحبة الطلب الجميلة هي ثمن كاف .
 لوزية
 (تقف كأنها تحجرت ، ثم تصيح بصوت متكسر) يا إلهي
 العادل!
- وَمَنْ أَجَلَ سَلاَمَةِ الْآبِ لَنْ تَجْدِي - بِحَسَبِ مَا أَرْجُو - أَنْ
 فورم
 هذه الضريبة اللطيفة مبالغ فيها .
- (تعدو وتروح ، وهي خارجة عن طورها) نعم ، نعم ! هذا
 لوزية
 صحيح . إن عظماءك متحصنون ضد الحقيقة برذائلهم
 هم ، كما لو كانوا محميين بسيف الملائكة الكرويين .
 كان الله القدير في عونك يا أبي ! إن ابتك تستطيع أن
 تموت ، ولكنها لا تستطيع أن ترتكب خطيئة من
 أجلك .
- هذا خبر يمكن أن يدهشه ، هذا الرجل المسكين المهجور
 فورم
 «لوزيتي» هكذا قال لي «قد صرعتني ولوزيتي ستغذي» .
 وهأنذا أسارع ، يا آنسة ، كي أحمل إليه جوابك .
 (يتظاهر بالرحيل) .
- (تعدو خلفه وتمسك به) ابق ! ابق ! صبرا ! كم هذا
 لوزية
 الشيطان نشيط متى ما تعلق الأمر بإيقاع الناس في
 اليأس ! أنا صرعته . ويجب عليّ أن أنقذه . تكلم !
 انصح ! ماذا أستطيع ! ماذا يجب عليّ أن أفعل ؟
- لا توجد إلا وسيلة واحدة .
 فورم

- لويزة وما هذه الوسيلة الوحيدة؟
- فورم وأبوك يريد أيضا . . .
- لويزة أبي أيضا؟ ماهذه الوسيلة؟
- فورم هذا سهل عليك .
- لويزة لا أعرف شيئا أصعب من العار.
- فورم إذا أردت أن تخلصي الرائد .
- لويزة من حبه ، أتسخر مني ؟ آتاك لحريتي ما أرغمت عليه؟
- فورم ليس هذا ما أفكر فيه ، يا آنستي العزيزة . لابد أن ينسحب الرائد من تلقاء نفسه وبمحض إرادته .
- لويزة لن يفعل ذلك .
- فورم هكذا يبدو لك الأمر لكن هل تعتقدين أنه كان سيبلغاً إليك ، إن لم تكن لديك ، أنتِ وحدك ، الوسيلة لجعله يفعل ذلك؟
- لويزة هل أقدر أن أرغمه على أن يكرهني؟
- فورم سنحاول . اجلسي!
- لويزة (مندهشة جدا) أيها الرجل ماذا تدبر؟
- فورم اجلسي! اكتبي! هذا قلم ، وورق ، وحبر.

لويـزة (تجلس ، وهي في غاية الاضطراب) ماذا يجب عليّ أن أكتب؟ وإلى من يجب عليّ أن أكتب؟

فورم إلى جلاد أبيك .

لويـزة : آه! أنت خير في تعذيب النفوس . (تمسك بالقلم) .

فورم (يملي عليها) «سيدي الفاضل . . .

لويـزة (تكتب بيد مرتعشة)

فورم «مرت ثلاثة أيام لا تحتمل . . . مرت . . . دون أن نلتقي» .

لويـزة (تتردد وتضع القلم) إلى من تتوجه هذه الرسالة؟

فورم إلى جلاد أبيك .

لويـزة يا إلهي!

فورم «حمل الرائد المسئولية ، نعم الرائد الذي يراقبني بعيون أرجوس*»

لويـزة : (تقف بوثة) هذه سفالة لم يشاهد مثلها من قبل! إلى من تتوجه هذه الرسالة؟

فورم : إلى جلاد أبيك .

* Argus : في الأساطير اليونانية : مارـد كان له مائة عين ، ويضرب به المثل على المراقب أو الجلوس الساهر باستمرار والذي يصعب خداعه .

لوزية

(تلوي يديها من اليأس) لا! لا! لا! هذا طغيان .
يا إلهي! عاقب الإنسان بطريقة إنسانية إذا أغضبك .
لكن لماذا تضعني بين هذين الأمرين المخيفين؟ لماذا
تؤرجحني بين الموت والعار؟ لماذا تسلم قلبي إلى عضات
هذه الأفعى اللعينة؟ افعل ما شئت ، فإني لن أكتب هذا
أبدا .

فورم

(وقد أخذ قبعته) كما تشائين ، يا آنستي ، كما تريد
أنت تماما .

لوزية

كما أريد - أنت تقول هذا؟ كما أريد؟ آه! أيها المتوحش!
أنت تعلقه بائسا فوق هوة الجحيم ، مطالبا إياه بشيء
معين ، وبعد هذا تسأله هل هذا يتوقف على إرادة! آه
أنت تعلم كل العلم أن قلبنا مرتبط بعواطف طبيعية
كأنها سلاسل لا يمكن التخلص منها . . . والآن ، أنا
لا أكثر لك . أمل علي ما شئت ، لم أعد أفكر ، إني
أستسلم لمكايد الجحيم . [تعود للجلوس]

فورم

« . . الذي يراقبني بعيون أرجوس . . . » هل كتبت؟

لوزية

استمر ، استمر .

فورم

: «بالأمس زارنا الرئيس . كان ذلك شيئا مضحكا مشاهدة
هذا الرائد الطيب يتشنج للدفاع عن شرفي» .

لوزية

: هذا حسن حسن! رائع! استمر .

فورم

«قررت أن أكون مغفلا حتى لا أنفجر في الضحك» .

- لويـزة يا للسـماء!
- فورم «لكن هذه الألوان من الاستخفاء والتكر بدأت تبطرنى ذرعى، نعم تبطرنى ذرعى . . . آه لو استطعت فقط أن أتخلص!»
- لويـزة (تتوقف، وتنهض، وتخطو بضع خطوات، مخفضة رأسها وعيناها مسمرتين في الأرض، ثم تعود للجلوس، وتستمر في الكتابة) «أن أتخلص . . .»
- فورم «غدا سيكون في نوبة العمل . . . ترصد اللحظة التي يتركني فيها، وتعال إلى المكان الذي تعرفه . . . هل كتبت: «الذي تعرفه»؟
- لويـزة كتبت كل شيء .
- فورم « . . . إلى المكان الذي تعرفه لتلقى . . . عزيزتك . . . لويـزة» .
- لويـزة لا ينقص إلا العنوان .
- فورم «إلى السيد مدير البلاط فون كلب» .
- لويـزة يا للعناية الإلهية! هذا اسم غريب على أذني بمقدار ما هذه السطور السافلة غريبة على قلبي! (تقف، وتحقق طويلا بعينها في الرسالة، وأخيرا تعطيه للسكرتير، وتقول بصوت منهوك شبه ميت): خذ، ياسيدي، هذه سمعتي الطيبة - إنه فرديند! - إنها كل سعادة حياتي أسلمها الآن بين يديك . لم يبق لي شيء .

فورم

كلا! لا تيأسي . إن عندي شفقة مخصصة عليك . . .
ربما! . . . من يدري؟ . . . ربما أستطيع أن أتجاوز عن
بعض الأمور . حقاً! وحق السماء! إنني أحمل شفقة مخصصة
عليك .

لويزة

(ملقية عليه نظرة نافذة) لا تنه كلامك ياسيدي ، فأنت
على وشك أن ترجو لنفسك شيئاً مخيفاً .

فورم

(يمسك بيدها ويريد أن يقبلها) أليكون ذلك الشيء هو
هذه اليد الجميلة؟ أهذا شيء مخيف ، يا آنستي؟ .

لويزة

(بكبرياء) نعم ، لأنني سأخنقك حينئذ في ليلة الزفاف ،
وسأجلس بعد ذلك على عجلة التعذيب وأنا في غاية
الاستمتاع . (تريد أن تخرج ، لكنها سرعان ما تعود):
هل انتهينا ياسيدي ، أستطيع الحمامة أن تطير؟

فورم

بقي شيء تافه بسيط ، يا آنستي يجب عليك أن تأتي
لتقسمي على الخبز المقدس بأنك تقرين بأنك كتبت هذه
الرسالة بمحض إرادتك .

لويزة

: يا إلهي! يا إلهي! وعليك أنت أن تحتّم بالختم على عمل
الجحيم!

(فورم يقتادها)

الفصل الرابع

المنظر الأول

صالون عند الرئيس

(فردنيند فون فالتر، وفي يده رسالة مفتوحة، يندفع في الصالون . خادِم
يدخل من باب آخر)

فردنيند هل لم يأت مدير البلاط إلى هنا؟

الخادِم ياسيدي الرائد، إن السيد الرئيس يطلبك .

فردنيند إلى الشيطان! أنا أسأل هل مدير البلاط لم يأت إلى هنا .

الخادِم إن صاحب المعالي موجود في أعلى ، جالسا إلى منضدة
فرعون* .

فردنيند إلى الجحيم! يجب على صاحب المعالي أن ينزل إلى هنا .

* منضدة تلعب عليها لعبة ورق تسمى «فرعون» ، وقد جاءها هذا الاسم من كون إحدى أوراق اللعب رسم عليها صورة فرعون مصري .

المنظر الثاني

فردنيند (وحده)

(يتصفح الرسالة، وهو لا يتحرك من الدهشة حيناً، وحيناً آخر يتجول في الصالون بغضب)

فردنيند

هذا غير ممكن، غير ممكن! هذه الصورة السماوية لا يمكن أن تستر في داخلها قلباً جهنمياً هكذا. ومع ذلك، مع ذلك، لو نزلت كل الملائكة لضمان براءتها، ولو أقرت السماء والأرض وكل المخلوقات وخالقها كي يكونوا ضماناً لبراءتها فإن هذا هو خطها! خيانة لا مثيل لها، فطبيعة لم يشاهد الجنس البشري لها مثيلاً. أمن أجل هذا إذن قاومت بعناد شديد خطتي في الهرب، أمن أجل هذا! يا إلهي! الآن أفيق، الآن يفسر كل شيء. من أجل هذا إذن تخلت بكل بساطة عن دعوى حبي! وهكذا، وهكذا خدعتني تحت هذا القناع السامي! (يتجول في الصالون بخطوات واسعة واضطراب، ثم يتوقف مفكراً) أن تنفذ بعمق في قلبي! وتتجاوب مع كل عاطفة من عواطف الجموح، ومع كل انطباعاتي المستترة الخجول، مع كل اضطراب من اضطرابات المشبوبة، وأن تدرك كل ذبذبة منسجمة في نفسي بما فيها من لطافة لا يبلغ مداها التعبير، أن تتكهن بما في نفسي عند كل دمعة، أن تتبعني

حتى الذروة الوعرة لوجدني ، وتصاحبني على حافة كل
هاوية . . . يا إلهي ! يا إلهي ! وكل هذا لم يكن إلا تمويهاً ،
تمويهاً ! أوه ! لو كان في استطاعة الكذب أن يصبغ نفسه
بصبغة ثابتة هكذا ، فكيف حدث أنه لم يستطع أي
شيطان بعد أن ينفذ - غدرا - في ملكوت السموات ؟
حينما أخبرتها بالأخطار التي تهدد حبناء ، بأي مظهر مقنع
شجبت هذه الغادرة ! وبأية كرامة رائعة قوضت
الإهانات الوقحة التي تفوه بها أبي ! وفي هذه اللحظة
شعرت هذه المرأة بأنها مذنبه ؟ كيف ؟ ألم تعان آخر محنة
للحقيقة ؟ هذه المناققة ألم يُعم عليها ؟ ماذا ستكون لغتك
من الآن فصاعداً ، يا شاعر القلب ، مادامت ذوات الدل
تسقط دون وعي ؟ أنى لك أن تبرري نفسك ، أيتها
البراءة المخلصة ، مادامت المومسات تعرف هي أيضاً
كيف تسقط دون وعي ؟ إنها تعلم كيف أنها استولت على
نفسي ، وقد شاهدت كل قلبي . وعلى نار القبلات
الأولى ، تجلت نفسي في عيني وفي حمرة جيني . وهي لم
تشعر بشيء ! ربما هي لم تشعر إلا بانتصار فنّها* وفي
هذياني السعيد اعتقدت أنني فيها أملك السماء نفسها ،
وشهواتي الشديدة العرامة سكنت ، ولم يخطر ببالي غير
الخلود وهي . يا إلهي ! وهي لم تستشعر شيئاً ! لم تستشعر
إلا نجاح مكائدها ، وسلطان مفاتها . الموت والانتقام !
لا شيء ، إلا أنني خُدعت !

* فنّها في التمويه والخداع .

المنظر الثالث

(مدير البلاط وفردنيند)

مدير البلاط : (يدخل الغرفة بخطى بطيئة) أنت أبديت رغبتك،
ياعزيزي جدا . . .

فردنيند : (وهو يمشي على حده) كسر رقبة شخص عجيب .
(بصوت عال) يا مدير البلاط ، لابد أن هذه الرسالة
سقطت من جييك أثناء الاستعراض . (بضحكة مرة)
ولحسن الحظ أنني أنا الذي عثرت عليها .

مدير البلاط : أنت؟

فردنيند : عن طريق صدفة مضحكة . رتب هذا على العليّ
القدير .

مدير البلاط : أنت ترى كم أنا مرتاع من هذا، يابارون .

فردنيند : اقرأ! اقرأ! (مبتعدا عنه) إذا لم أكن صالحا للعب دور
العاشق ، فربما أكون أصلح للعب دور القواد . (بينما
مدير البلاط يقرأ، يقترب فردنيند من الجدار ويتنزع منه
مسدسين) .

مدير البلاط : (يلقي بالرسالة على المنضدة ويهم للابتعاد) يا للعة!

فردنيند (يشده من ذراعاه) جدا، ياعزيزي المدير! إن الخبر يبدو لي سارا . أريد أجرا على العثور على الرسالة (يريه المسدسين) .

مدير البلاط (يتراجع مذهولا) ستكون متفعلا، ياعزيزي جدا .

فردنيند (بصوت قوي مخيف) أكثر مما يجب من أجل إرسال وغد مثلك إلى العالم الآخر (يرغمه على أخذ مسدس، وفي نفس الوقت يسحب منديله) خذ! خذ هذا المنديل! لقد حصلت عليه من الجميلة!

مدير البلاط أن أمسك بطرف هذا المنديل! هل أنت مجنون؟ فيم تفكر؟

فردنيند خذ طرف هذا المنديل، أقول لك، ياجبان! كم هو يرتعد، هذا الجبان! عليك أن تحمد الله، ياجبان، إذ لأول مرة يدخل شيء في مخك . (مدير البلاط يريد الهرب) . مهلا! سيحدث ما قلت لك . (يمسك به ويذهب لإغلاق الباب) .

مدير البلاط في هذا الصالون، يابارون؟

فردنيند وهل يستحق الأمر أن نقوم معا بنزهة على المتاريس؟ إن الأمر يستحق أن يحدث المزيد من الضجة، هذه هي المرة الأولى التي يتاح لك فيها أن تحدث ضجة بين الناس . صوّب!

مدير البلاط

(وهو يمسح جبينه) أتريد إذن أن تخاطر بحياة ثمينة كهذه؟ أنت شاب بنىء بآمال جميلة!

فردنيد

صوب ، أقول لك ، ليس عندي ما أفعله في هذا العالم .

مدير البلاط

أنا لا أقول هذا ، يا عزيزي جدا .

فردنيد

أنت ، أيها الرجل العجيب! أنت! وماذا لديك لتفعله؟ أن تكون طرطورا حيث لا يوجد أحد من الناس؟ أن تجعل نفسك سبع مرات كبيرا أو صغيرا في دقيقة واحدة ، مثل الفراشة المعلقة بدبوس ، أن تسجل ملابس سيدك ، أن تكون مثيرا للبهجة في نفسه؟ هذا حسن . أريد أن آخذك معي كدابة عجيبة ، ستكون هناك كنسناس علامة ، سترقص على نشيد المحكوم عليهم بالإعدام ، سيحملونك ويعبرون بك ، بكل آداب البلاط ، وستشيع الفرح في اليأس الأبدي .

مدير البلاط

: كل ما تريده ، يا سيدي ، وكما تريد ، لكن لا مسدسات!

فردنيد

هاهو ذا ، ابن الناس! أليس عارا في اليوم السادس من الخلق؟ يبدو كان مزيفا قد زيف خلق العلي القدير! لكن من المؤلم ، بل المؤلم جدا أن هذه الأوقية من المخ قد وضعت في هذه الجمجمة البائسة ، هذه الأوقية من المخ كانت كافية لرفع نسناس إلى مرتبة إنسان ، لكن بدلا من ذلك ، لا تفيد إلا أن تكون سبة للعقل . أمعه قد تقاسمت قلبها؟ آه! هذا فظيع! هذا لا يغتفر . شخص عجيب جُبل لأن يكره في الرذيلة لا لأن يجر إليها .

مدير البلاط

الحمد لله! بدأ يتعقل .

فردنيند

أريد أن أتركه يعيش . إن التسامح الذي يبقي على الدودة ينبغي أن يفيدَه أيضا . سيلقاه الناس به وسيهزون أكتافهم ، وربما سيعجبون بتدبير العناية الإلهية ، الحكيم الذي يجد وسيلة لإطعام مخلوقات في السماء ، وفي القاذورات ، ويهيء مأدبة للغربان ذوات المشانق ، ولرجال البلاط في نفايات الملوك . وأخيرا سيدهش الناس من براعة الخالق الرائعة الذي وضع في العالم الأخلاقي (المعنوي) أفاعي وعقارب لإسالة السم . (يعود غضبه) لكن لا يحق للحشرة الزاحفة أن تتعلق بزهرتي العزيزة (يمسك بالمدير ويهزه بعنف) ، وإلا لسحقته ألف مرة .

مدير البلاط

(على حدة ، وهو يتنفس بصعوبة) : آه! يا إلهي! كم أتمنى أن أكون بعيدا عن هنا ، حتى لو كان ذلك في بيستر بالقرب من باريس ، لكن ليس هاهنا خصوصا .

فردنيند

يا حقير! أنت قد دنست طهارتها ، يا حقير! أنت تملكها ، بينما أنا عبدتها (بغضب شديد) أنت ارتكبت الفسق هناك حيث استشعرت أنا أنني إله! (يسكت ، ثم يستأنف الكلام بصوت مروع) . الأحسن لك أيها الحقير أن تلجأ إلى الجحيم ، أولى من أن ألقاك في السماء مع غضبي . إلى أي حد وصلت معها؟ أجب .

مدير البلاط

دعني قليلا ، وسأقول لك كل شيء .

فردنيند

حتى الغزل لا بد أنه معها ألد مع الوجد السماوي مع

غيرها . هل قدرت على الفساد؟ هل قدرت على الخط
من مكانة روحها؟ هل قدرت على أن تضحي بالفضيلة
لمنع تجلب العار؟ (يخاطب المدير وهو يضع المسدس على
صدره) إلى أي حد وصلت معها؟ أجب ، وإلا فأنت
مقتول .

مدير البلاط لا شيء ، لا شيء أبدا . دقيقة صبر واحدة . إنهم
يخدعونك .

فردنيند وتحروء على أن تذكرني بذلك ، أيها السافل ! إلى أي حد
وصلت؟ أنت مقتول إذا لم تجب .

مدير البلاط يا إلهي ! يا إلهي ! سأقول لك . استمع إليّ فقط . فيما
الأب ، الأب نفسه * . . .

فردنيند (في هياج) هل باع لك ابنته؟ وإلى أي حد وصلت معها
أجب ، وإلا قتلتك .

مدير البلاط أنت مجنون . أنت لا تصغي إليّ . إنني لم أرها أبدا ، وأنا
لا أعرفها ، وليست عندي أقل معرفة بها .

فردنيند (يتراجع ، مذهولا) أنت لم ترها أبدا؟ أنت لا تعرفها؟
أنت قضيت على هذه الفتاة البائسة ، وأنت تتنكر لها
ثلاث مرات في الدقيقة . اذهب أيها البائس العجيب
(يدفعه بمقبض المسدس ، ويطرده من الصالون . إن
البارود لم يخترع لمثل ذلك .

* يقصد والد لوييزة .

المنظر الرابع

فرديند

(بعد صمت طويل في خلاله اتخذت ملامحه تعبيراً خفيفاً) قُضي عليّ، نعم، أيتها البائسة! نعم، قُضي عليّ، وعليك أنت أيضاً. نعم، يا إلهي العظيم! إذا كنت قد قضي عليّ، فقد قضي عليك أنت أيضاً. يا حاكم الكون! لا تسألني عن هذا. هذه الفتاة هي لي أنا. من أجلها تركت كل كونك، تخلّيت عن سائر خليقتك البديعة. اتركها لي، يا حاكم الكون. . ملايين النفوس تنزع إليك، نظرة رحمة منك إلى هذا الجانب. اترك لي هذه (الفتاة) وحدها، يا حاكم الكون! (يضم يديه بشكل متشنج) أيها الخالق! أنت غني، وقدير، هل تحسدني على نفس واحدة، قد صارت أبأس المخلوقات؟ هذه الفتاة لي أنا، كنت في الماضي بمثابة إله في نظرها، معبودها، أما الآن فإنني ملاكها الشرير (تتحجر نظرتها) أبدية تمضي معها على عجلة المحكوم عليهم بالإعدام، عيوني مغروسة في عيونها. شعري واقف أمام شعرها، زفرائنا الخاصة ممزوجة في زفرة واحدة، وأنا أكرر عليها ملاحظاتك، ومكرراً إيمانها! يا إلهي! سيكون اقترانا مروعاً، لكنه أبدي. (يهم بالخروج فيلتقي بالرئيس)

المنظر الخامس

(الرئيس وفرديند)

فرديند

(يتراجع) آه! أبي!

الرئيس

نحن نلتقي في وقت مناسب جدا، يا بني! لدي شيء
سار جدا أريد أن أخبرك به، يا بني العزيز، وهو
سيدهشك قطعاً. هل نجلس؟

فرديند

(بعد أن حدّق في وجهه بقوة) أبي! (يقترّب منه،
ويمسك يده بانفعال كبير) أبي! (يقبل يده، ويرتمي على
قدميه) أوه يا أبي!

الرئيس

ماذا بك يا بني؟ إن يدك مشتعلة، أنت ترتعد؟

فرديند

(بحساسية مشبوبة وندفعة) اغفر لي عقدي يا أبي! أنا
آثم، لم أفر بإحساسك، لقد كنت عطوفاً عطفاً أبويًا
عليّ! أوه! كنت حكيماً حكمة نبوية. والآن الأمر متأخر
جداً. المغفرة! المغفرة! بركتك، يا أبي.

الرئيس

(متظاهراً بسماء البساطة) انهض، ابني. احذر، إنك
تكلمني بالغاز.

فردنيند هذه الفتاة ملر، يا أبي! آه! أنت تعرف الناس جيدا! لقد كانت غضبتك عادلة جدا، ونبيلة جدا، وأبوية جدا، ورحيمة جدا! إن حميتك كوالد لم تخطيء إلا في الطريقة. هذه الفتاة ملر. . .

الرئيس لا توجه إلي أي لوم، يا بني، إني ألعن قسوتي، وقد جئت أطلب منك الصفح عن قسوتي.

فردنيند الصفح عن قسوتك؟ اللعنة علي أنا! لقد كان لومك هو الحكمة، وقسوتك كانت طيبة سماوية. . . هذه الفتاة ملر، يا أبي. . .

الرئيس إنها فتاة نبيلة خليقة بالمحبة! وأنا أسحب شكوكي المجازفة، إنها كسبت احتراممي.

فردنيند (وهو في غاية الاضطراب) ماذا! وأنت أيضا؟ أنت أيضا يا أبي أليست، يا أبي، مخلوقة بريئة؟ أليس من الطبيعي أن يحبها المرء؟

الرئيس بل قل إن عدم حبها سيكون جريمة.

فردنيند هذا عجيب، رائع أنت يامن تقرأ جيدا في القلوب، أنت يامن كنت تنظر إليها بعيون الكراهية! ياله من نفاق لا نظير له! هذه الفتاة ملر، يا أبي. . .

الرئيس

إنها جديرة بأن تكون ابنتي، ففضيلتها تقوم مقام نسبها
وأجدادها، وجمالها يقوم مقام الثراء. إن مبادئي تسلم
لحبك. لتكن لك!

فرديند

(مندفعا خارج الصالون في يأس) كان هذا ينقصني
أيضا! وداعا، يا أبي!

الرئيس

(يتبعه) توقف، توقف! إلى أين تذهب؟
(يخرج)

مكتبة محمد الأريكة
www.books4all.net

المنظر السادس

صالون فاخر عند الليدي

الليدي وصوفي تدخلان

الليدي هل رأيتهما إذن؟ هل ستأتي؟

صوفي حالا. إنها تلبس ثيابها وستأتي حالا.

الليدي لا تقولي لي شيئا عنها، اسكتي. إنني أرتعش مثل مجرمة

من رؤية هذه الفتاة السقيمة، التي قلبها في انسجام
بأنس مع قلبي. وكيف تلقت هذه الدعوة؟

صوفي ظهر عليها الاضطراب أولا، ثم صارت تفكر، لقد

تطلعت إلي بعيون واسعة، وسكتت. وكنت على وشك
الاستعداد لقبول اعتذارها، حينما أجابتنى -وبنظرة
نفذت في كياني- «إن سيدتك تأمرني اليوم بما كنت
سأؤوسل إليه غدا».

الليدي (وهي قلقة جدا) دعيني، يا صوفي. اعذريني: إذا

كانت هي امرأة عاتية، فيجب أن أخجل، وإذا كانت
أكثر منك، فأني يائسة.

صوفي

لكن، ياسيدي! ليس هذا هو الاستعداد النفسي
لاستقبال منافسة لك: تذكرني من أنت. استنجدي
بميلادك، بمكانتك، بسلطتك. لا بد لكبرياء القلب
من أن تسمو بالفخامة التعساء لاحترامك.

الليدي

(بغير انتباه) بماذا تهدف الحمقاء؟

صوفي

(بخبث) أو ربما كان من قبيل الصدفة أن الماسات
الشمينة جدا ترف عليك اليوم؟ ومن قبيل الصدفة أنك
تلبسين أفخر الملابس، وأن الخدم والحشم يزدحمون في
غرفة انتظارك وأن الفتاة البرجوازية ستستقبل في الصالون
الأميري لقصرك.

الليدي

(تغدو وتروح وهي مليئة بالمرارة) عليها اللعنة! لا يمكن
احتماها! أن يكون للنساء مثل نظرات الضيع هذه! لكن
ما أعمق انحطاطي إذا كان لمثل هذه المخلوقة أن تسبر
غوري!

خادم

(يدخل) الأنسة ملر.

الليدي

(تخاطب صوفي) اذهبي أنت! ابعدي! (بلهجة
التهديد، لما رأت صوفي مترددة) اذهبي! أمرك بهذا!
تخرج صوفي. (الليدي تتمشى في القاعة) حسن! حسن
جدا، أنني صرت في حالة احتياج. إنني كما أود أن
أكون. (مخاطبة الخادم) تستطيع الأنسة أن تدخل.

(الخادم يذهب. تلقي بنفسها على الأريكة، وتتخذ
مظهرها يغلب عليه عدم الاكتراث).

المنظر السابع

(لويزة ملر تدخل على استحياء وتبقى واقفة على مسافة واسعة من الليدي ، الليدي تدير لها ظهرها وتتأملها وقتا طويلا في المرآة المواجهة لها .
بعد برهة :)

لويزة ياسيدي الفاضلة ، إني في انتظار أوامرك .

الليدي (تلتفت نحو لويزة وتحييها برأسها فقط ، وتعاملها ببرود وتحفظ) آه ! أنت هاهنا ؟ لا شك أن الأنسة هي . . .
آه ! بماذا يسمونك ؟

لويزة (بنوع من الانفعال) أبي اسمه ملر وعصمتك أرسلت في طلب ابنته .

الليدي صحيح ! صحيح ! أنا أتذكر ابنة عازف الكمنجة المسكينة ، التي جرى الكلام حولها مؤخرا . (بعد لحظة ، تخاطب نفسها) شائقة جدا ، ولكنها ليست جميلة ، (بصوت عال تخاطب لويزة) : اقتربي مني ، ياطفتلي ! (من جديد تخاطب نفسها) : عيون تمرست في الدموع . كم أحب هذه العيون ! (بصوت عال من جديد) : اقتربي ، اقتربي جدا ، أيتها الطفلة الطيبة . هل تخافين مني ؟

لويـزة (بكبرياء وبلهجة قاطعة) كلا، ياسيدي. إني أحتقر
حكم الجمهور*

الليدي (تخاطب نفسها) انظري إن هذا الخلق الجموح جاءها
منه** . (بصوت عال) لقد أوصوني بك، يا آنسة. لا بد
أنك تعلمت شيئاً وتعرفين أيضاً كيف تتصرفين. والآن
أريد أن أصدق ذلك. ولهذا أنا لا أكذب كل العالم في
دفاعه الحار عنك.

لويـزة لكنني لا أعرف أحدا - ياسيدي - يهتم بأن يبحث لي
عن مولاة حامية .

الليدي (متضايقه) يهتم بالبحث عن مولاة أو حامية.

لويـزة هذا أمر فوق مستوأي، ياسيدي الفاضلة.

الليدي إن خبثاً أكبر من هذه التربية الصريحة يمكن افتراضه
فيك. إن اسمك هو لويـزة؟ ولكن، كم عمرك إن جاز
لي أن أسأل هذا السؤال؟

لويـزة ست عشرة سنة كاملة.

الليدي (تقف فجأة) الآن نطقـت بالكلمة! ست عشرة سنة!
النبضة الأولى لهذا الوجد! النعمة الفضية المكرسة الأولى
على بيانو لم يمسه أحد من قبل! اجلسي، يا آنسة، إني
أريد الإحسان إليك. وهو أيضاً يحدث لأول مرة.
ما أعجب أشعة الفجر! (بتلطف كبير وممسكة بيدها)

* الحكم الموسوم بالرهبة من الليدي ذات النفوذ الكبير.
** أي من عشيقها فردنيد.

اتفقنا على أن أصنع سعادتك يا عزيزتي . لا شيء ،
لا شيء إلا الأحلام العذبة المبكرة الطائفة . (تربّت على
خد لوزية) خادمتي صوفي ستتزوج . وعليك أن تحتلي
مكانها . ست عشرة سنة ! هذا لا يمكن أن يدوم .

لوزية (تقبل يدها شكرا لها) أشكر لك هذا الفضل ،
ياسيدي ، كما لو كان عليّ أن أقبله .

الليدي (وقد عادت إلى الغضب والضيق) المرء يشاهد سيدة
كبيرة ! ومع ذلك فإن الفتيات اللواتي من طبقتك* يشعرن
أنهن سعيدات إذا وجدن أسرا من السادة (يعملن
عندها) إلى ماذا تطمحين إذن ، يا فتاتي الثمينة**؟ هل
هذه الأصابع أرق من أن تشتغل؟ وهل وجهك اللطيف
هو الذي يجعلك هكذا أبية؟

لوزية يا سيدتي الفاضلة ، لست أنا التي صنعت وجهي ولا أنا
التي صنعت أصلي .

الليدي أو ربما تعتقدين أن هذا ربما ينتهي إلى نهاية؟ أيتها
المخلوقة المسكينة؟ من وضع ذلك في رأسك - أيا من
كان هو وأيا ما أراد به - قد سخر منكما . إن هذه الحدود
لم تُطلّ بالذهب بواسطة النار*** إن ما تبيحه لك المرأة
على أنه سبيكة من الذهب الخالص الدائم ماهو إلا رغوة
من الذهب الرقيق الزائل الذي يبقى في يد العاشق لك
مدة تطول أو تقصر فماذا نفعل إذن بعد ذلك؟

* أي البرجوازية .

** بلهجة فيها تهكم .

*** أي لا تبقى هكذا نضرة وقتا طويلا .

لويزة

نرثي للعاشق الذي اشترى ماسة ، لأنها بدت له أنها مصنوعة من الذهب* .

الليدي

(دون أن تهتم بهذا) إن فتاة في مثل عمرك لها مرأتان في وقت واحد : مرأة حقيقية ، ومرأة أخرى هي من يعجب بها . والمرونة المائلة للمرأة التابعة تصحح الصراحة الحسنة . للمرأة الأولى . إحداهما تبرز علامة قبيحة من أثر الجديري ، أما الأخرى فتقول : كلا ، بل هي فقرة لطافة . وأنتن أيتها الفتيات الطيبات : أنتن لا تصدقن من المرأة الأولى إلا ما تقوله لكن المرأة الثانية ، وأنتن تقفرن من الواحدة إلى الأخرى ، إلى أن تنتهي شهادتهما بأن تمتزجا في عيونكن . لماذا تتطلعين في وجهي هكذا ، فأنت مدهوشة !

لويزة

اسمحي لي ، ياسيدي الفاضلة كنت مشغولة بتأمل هذا الياقوت اللامع الرائع الذي يجب أن يخفى عنه أن صاحبه تخطو بقسوة ضد الغرور .

الليدي

(وقد احمرت خجلا) لا تتعدي عن الموضوع ، ياماكرة ! إذا لم تكن الآمال المؤسسة على شخصك هي التي تحتجرك ، فأأي باعث في العالم يمكن أن يمنعك من اختيار وضع هو الوحيد الذي فيه يمكنك أن تكفي نفسك مع الدنيا ومع السلوك الحسن ، الذي فيه وحده تستطيعين التخلص من أحكامك السابقة البرجوازية ؟

* تعني : لأنه راعى الإطار الذهبي ، ولم يراع الحجر الكريم النفيس (الماس) ، أو بعبارة أبسط : لأنه عشق المظهر الخارجي الجميل ، لا الجوهر الحقيقي .

لوزية

وكذلك أيضا من البراءة البرجوازية، ياسيدي .

الليدي

هذا اعتراض هزيل ! إن أفجر الخبثاء لا يتجاسر على أن يقترح علميا اقتراحا شائنا إلا إذا نحن شجعناه على ذلك . اظهري نفسك على جليتها وكما هي ، واتسمي بالشرف والكرامة ، وأنا أضمن فضيلتك فوق كل المحن .

لوزية

اسمحي لي ، ياسيدي ، أن أشك في هذا . إن قصور بعض السيدات غالبا ما تكون ملاجئ لأفحش اللذات ، من ذا الذي سيصدق في ابنة عازف مسكين وجود فضيلة فيها من البطولة ما يجعلها تلقي بنفسها في وسط الطاعون وتحفظ فيها بالفزع من العدوى ؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يتصور أن ليدي ملفورد تغذي دائما دودة قارضة لضميرها ، وأنها تنفق الذهب من أجل أن تحصل لنفسها على ميزة في كل لحظة ! أنا صريحة ، ياسيدي ! هل سيكون مظهرا مرضيا عنك حينما تسافرين من أجل بعض ألوان اللهو ؟ وهل تستطيعين احتماله عند عودتك ؟ أوه ! إن الأفضل جدا هو أن تفصل بيننا بلاد واسعة وأن تجري البحار فيها بيننا . كوني متبصرة بالعواقب ، ياسيدي ، فساعات التأمل ، ولحظات الحلال يمكن أن تفاجئك . وأفاعي الندم يمكن أن تحاصر قلبك ، وحينئذ أي عذاب تصلين حين تقرئين في ملامح خادمك هذا الجو الهادي ، الذي هو جزء البراءة وطهارة القلب ؟ (تراجع قليلا) . مرة أخرى ، ياسيدي ، أرجو أن تسامحيني .

(في اضطراب شديد، ماشية هنا وهناك) لا يمكن احتمال أن تتكلمي هكذا، ولا يمكن احتمال أن تكوني على حق. (تقترب من لوييزة، وتحقق فيها بشدة) يا ابنتي، لن تفلحي في خداعي، إن آراء بسيطة كهذه لا يعبر عنها بكل هذه الحرارة: إن وراء هذه الأقوال القاسية يستتر اهتمام قوي، يجعلك تنظرين إلى خدمتي بفزع، ويسري في لغتك، وهذا الاهتمام (مهددة)، أنا سأكتشفه.

(بصراحة ونبيل) وحين تكتشفيه، وحين تهيجين الدودة المقهورة بندم مزور، ألم يعطها الخالق حكمة لتدافع بها عن نفسها ضد الإهانة! إني لا أخشى انتقامك، ياسيدي. إن المحكوم عليه بالإعدام حين يوضع على المشنقة، يتسم لخراب العالم وشقائي قد وصل إلى حد أن وقاحة لهجتي لا تستطيع أن تزيده. (بعد صمت وبلهجة جادة). أنت تريد أن تتزعيني من تراب أصلي: وأنا لا أريد تحليل هذه النعمة المنهمة، سأسأل فقط عن السبب الذي حمل سيدتي على اعتقاد أنني من الجنون بحيث إني أخجل من أصلي، وماذا خول لها أن تصبح العناية التي تعمل على إصلاح شئوني، قبل أن أعرف هل أردت أن أتلقى النعمة من يديها؟ لقد مزقت كل مؤهلاتي الخالدة للحظوة بالنعيم في هذه الدنيا، ولقد غفرت للقدر تحيزه ضدي، فلماذا إذن أفكر في شئون النعيم في الدنيا؟ إذا كان الإله هو نفسه قد حجب

أشعته عن عيون المخلوقات حتى لا يفزع أسمى الملائكة من ظلمته ، فلماذا يريد الناس إذن أن يكونوا رحماء على هذا النحو الوحشي؟ وكيف تأتي ، ياسيدي ، أنه في وسط رفاهيتك الصاخبة أنت تتسولين الإعجاب والحسد للبائس؟ آه! لا تحسدني على من يستطيع وحده أن يوفق بيني وبين قسوة قدري ، وافهمي أن الحشرة سعيدة في داخل قطرة الندى كما لو أنها كانت في ملكوت السماء ، فلتعش مائة فرحة إلى أن يأتي أحد ويحدثها عن الأوقيانوس العظيم الذي فيه تمخر الأساطيل والقياطس . لكن أأنت تريدين أن تريني سعيدة؟ (بعد لحظة صمت ، تقترب من الليدي وتسألها فجأة :) هل أنت سعيدة ، ياسيدي (الليدي وهي في غاية الدهشة تبعد بسرعة ، لوزة تتبعها ، وتضع يدها على قلبها :) هل ينعم هذا القلب بمسرات لماعة قبل مركزك؟ وإذا كان لنا الآن أن نتبادل قلوبنا ، ومصيرنا ، وإذا أنا توجهت إلى ضميرك ، براءة الطفل وإذا سألتك كأم : فهل تنصحيني بهذه المبادلة؟

الليدي

(في غاية الانفعال ، تلقي بنفسها على الأريكة) هذا أمر في غاية الغرابة! لا يمكن تصوره! كلا ، يا ابنتي ، كلا! هذه العظمة أنت لم تأت بها إلى الدنيا ، وهي أكثر حداثة من أن تأتي من أهلك . لا تكذبي ، إن معلما آخر هو الذي ينطق بلسانك .

لويـزة

(محدقة فيها برقة) إني مندهشة، يا سيدتي، من أن فكرة هذا المعلم لم تخطر ببالك إلا الآن، حينما وجدت مركزا لي .

الليدي

: (تقفز بثوبه واحدة) هذا لا يمكن احتماله . نعم، مادمت لا أستطيع أن أخفي عنك شيئا، أنا أعرفه، أعرف كل شيء، أنا أعرف عنه أكثر مما أود أن أعرف (تتوقف فجأة، ثم تقول بحدة تتزايد حتى التوهان) لكن تجاسري أيتها البائسة، تجاسري من الآن فصاعدا على أن تحبيه، وتجاسري على أن تكوني محبوبة من جانبه . ماذا أقول؟ تجاسري على أن تفكري فيه أو أن تكوني خاطرا من خواطره . إني قوية، رهيبه، هذا حق بقدر ما أن الله موجود . لقد قضي عليك .

لويـزة

(بحزم) بلا معين، يا سيدتي، متي ما أرغمته على وجوب أن يحبك أنت .

الليدي

أنا أفهمك . إنه لن يحبني ! إني أريد أن أتغلب على هذا الحب الشائن، وأن أسحق حبك أنت . سأقيم بينهما جبالا . سأنفذ إلى داخل جنتكما، واسمي سيضع نفسه بين قبلاتكما كأنه شبح يهدد مجرمين، وجمالك الشاب الزاهر سيدبل ويصير بين ذراعيه كأنه مومياء جافة . إني لا أستطيع أن أكون سعيدة معه، لكنك أنت أيضا لن تكوني سعيدة معه . اعلمي هذا جيدا، أيتها الشقية ! إن تدمير السعادة هو أيضا ضرب من السعادة .

لوزية

سعادة قد انتزعت منك من قبل ، ياسيدي . لا تهيني قلبك أنت . أنت غير قادرة على تنفيذ التهديدات التي نطق بها ضدي ، أنت غير قادرة أبدا على أن تعذبي مخلوقة لم تفعل ضدك شيئا في حياتها غير أن تشعر بما شعرت أنت به . لكنني أحب فيك هذه الغضبة .

الليدي

(بعد أن هدأت ثائرتها قليلا) أين أنا؟ ماذا قلت؟ عماذا أفصحت؟ لمن كشفت عن نفسي؟ يا لوزية! أيتها الروح النبيلة ، الكبيرة ، الإلهية! اغفري لمجنونة . لن أنتزع شعرة واحدة من فوق رأسك ، يا ابنتي . تمنني ، اطلبي ، أريد أن أحملك بين ذراعي ، أن أكون صديقتك ، أن أكون قلبك . أنت مسكينة . انظري (تنتزع بعض ماساتها) : أريد أن أبيع هذه الحلي ، أريد أن أبيع خيولي ، وعرباتي ، وفساتيني ، وليكن لك كل شيء ، لكن تخلي عنه*

لوزية

(تراجع مندهشة) هل هي تسخر من يآسي ، أو هي حقا لم تشارك في أية فظاعة وحشية؟ وهكذا أستطيع أن أظهر بمظهر البطلة ، وأن يكون لي شرف التضحية ، الآن وقد جردت هكذا! (تبقى لحظة في تفكير ، ثم تقترب من الليدي ، وتمسك يدها وتأملها بسماء معبرة) خذيه** إذن ياسيدي إني أتنازل لك بحرية عن رجل قد انتزعته من قلبي الدامي بكماشات الجحيم . ربما لا تعرفين

* الإشارة هي دائما إلى فرديند .

** الضمير يعود إلى فرديند .

ذلك، ياسيدي، لكنك سرقت السماء من عاشقين،
وفصلت بين قلبين ربط الله بينهما، لقد سحقت مخلوقة
أحبته مثلك أنت، وأودعت فيه سرورها مثلك أنت،
وقدرته مثلك أنت. لن تستطيع بعد أن تملكه.
ياسيدي، إن التشنج الشديد للدودة التي ديس عليها
باحترام ترتفع إلى مسامع العلي القدير، وهو لا يمكن أن
يكون غير مكترث بتدمير النفوس التي سواها بيده. الآن
هو لك أنت، الآن، ياسيدي، خذيه، واجري بين
ذراعيه، اقتاده إلى المذبح، لكن لا تنسي أنه عند
القبلة سينقض بينكما شبح متحركة. سيكون الله رحيمًا،
ولا ملاذ لي غيره.

(تخرج باندفاع)

المنظر الثامن

الليدي وحدها

الليدي

(تبقى مرتجفة خارجة عن طورها ، عيناها محدقتان في الباب الذي خرجت منه لويضة ملر ، وأخيرا تستيقظ من ذهولها) ما هذا؟ ماذا حدث؟ ماذا قالت المسكينة؟ يا للساء! إنها لا تزال تدوي في أذني هذه الكلمات الرهيبة التي تمزق القلوب : « خذيه! » ماذا أيتها البائسة؟ هبة سكرات موت ، الوصية الرهيبة . . ليأسك؟ يا إلهي! يا إلهي! هل سقطت أنا إلى هذا العمق؟ هل سقطت حقا من عرش كبريائي إلى درجة أنني صرت أنتظر بشهوة أن تلقي بي شحاذة بائسة في آخر سكرات الموت؟ « خذيه » بأية نبرة قالت هذه الكلمة لي! وبأية نظرة! آه يا إميلي! أمن أجل هذا اجتزت حدود جنسك؟ أيليق هذا بانتائك إلى الاسم الفخم للإنجليزية العظيمة ، ومن أجل أن ينهار الصرح الفخم لمجدك أمام الفضيلة السامية لبرجوازية صغيرة بدون تربية؟ كلا ، أيتها البائسة المتكبرة! يمكن إخجال إميلي ملفورد ، لكن لا يمكن تحقيرها . وأنا أيضا عندي القدرة على التخلي والعزوف . (تعدو وتروح بخطوات جلييلة) اختفي الآن ، أيتها المرأة الرقيقة المتألمة! اختفي أيتها الرؤى الحلوة ، أحلام الحب

الذهبية . . ولتكن عظمة النفس هي الآن مرشدي .
هذان العاشقان قضي عليهما ، أو ينبغي علي ملفورد أن
تتخلي عن ادعاءاتها وأن تنطفئ في قلب الدوق . (بعد
وقفة ، بحرارة تقول :) تم الأمر ، ازيجت العقبة المروعة !
كل الروابط بيني وبين الدوق قد قطعت هذا الحب
العرم ، قد انتزع من قلبي . إنني ألقى بنفسي بين
ذراعيك ، أيتها الفضيلة ! تقبلها . هذه البنت التائبة :
إميليا ! آه ! كم أشعر بالراحة ! كم أشعر فجأة بأنني
خفيفة مرفوعة ! عظيمة مثل شمس تسقط من
السموات ، أريد اليوم أن أهبط من ذروة سعادتي .
وكنمت عظمتي مع حبي ، وليصحني قلبي وحده إلى
منفائي (تذهب ، بعزم ، إلى منضدة للكتابة) . لابد أن
يحدث هذا في هذه اللحظة عينها ، فورا ، قبل أن يحدد
سحر هذا الشاب المعبود النضال الدامي في قلبي .

(تجلس وتشرع في الكتابة)

المنظر التاسع

(الليدي، خادم، صوفي، وبعد ذلك مدير البلاط، وأخيرا خدم)

خادم : سيادة المدير فون كلب موجود في غرفة الانتظار، وهو يحمل رسالة من الدوق.

الليدي : (وهي منهمكة في الكتابة) العروسة الدمية الأميرية ستترنح! حقا! إن الفكرة* مضحكة فعلا أن تشتت جمجمة صاحب السيادة على هذا النحو. إن رجال الحاشية سيدورون في دوقياته، والبلاد كلها ستصير في غليان.

الخادم وصوفي مدير البلاط، ياسيدي!

الليدي (تتلفت حولها) مَنْ؟ ماذا؟ هذا أحسن! إن هذا النوع من المخلوقات خلق لحمل الزكائب** في هذه الدنيا. إنه يفيدني الآن، فمرحبا به.

(الخادم يذهب)

صوفي (تقترب وهي في قلق) لولا خوفي، ياسيدي. لكان من التجاسر الوقح***.

* وهي أن عليها أن تتخلي عن الأمير.

** أي أنه مثل الحمار.

*** أن أسألك ماذا تنوين.

(الليدي تستمر في الكتابة بحمية) . إن الأنسة ملر اندفعت خارج طورها، خلال قاعة الانتظار. أنت محمومة . أنت تتكلمين مع نفسك (الليدي تستمر دائما في الكتابة) إني أرتعش ماذا عسى أن يكون قد حدث؟

مدير البلاط يدخل ، ينحني آلاف الانحناءات خلف ظهر الليدي، ولما كانت لم تنتبه إليه، فإنه يقترب، ويقف خلف كرسيها، ويحاول الإمساك بطرف ثوبها ويطبع فيه قبلة، ثم يقول بصوت خائف: صاحب السمو. . .

الليدي

(ترش رملا على الورق وتتصفح ما كتبت) سيتهمني بأشبع ألوان نكران الجميل . كنت مهجورة، وهو انزعني من البؤس . من البؤس! يا لها من صفقة خسيصة! مزق حسابك، أيها المغرر! إن عاري الأبدى سيدفع ثمن ذلك.

مدير البلاط

(بعدها دار حول الليدي عبثا) تبدو سيدتي ساهية بعض السهو. ينبغي علي أن أتجاسر (بصوت عال جدا)، صاحب السمو، يا سيدتي، أرسلني كي أسألك هل في هذا المساء سيكون هناك فوكسهول* أو كوميديا ألمانية.

الليدي

(تقف وهي تضحك) أيها كان، يا عزيزي! واحمل هذه

* Vauxhall: حفلة ترفيهية في الحديقة، وتجري في المساء. والاسم جاء من اسم قرية بنواحي لندن كان فيها يجري هذا النوع من الحفلات في حدائق في المدة من سنة ١٦٦٠ واستمرت حتى سنة ١٨٣٥. وفي ألمانيا كان هذا اللفظ يدل على حفلات راقصة، وكانت هذه شائعة.

الرسالة إلى سيدك الدوق ليتخذ منه حلوى (مخاطبة صوفي) وأنت يا صوفي، مري بتجهيز العربة، وليتجمع كل رجالي في هذا الصالون.

صوفي (تخرج وهي في غاية الفزع) يا للسماء! ما معنى هذا كله؟ إلى ماذا سيؤول كل هذا؟

مدير البلاط وهل أنت مهتاجة، ياسيديتي؟

الليدي هيا، يا مدير البلاط، هاهو ذا مكان قد خلا. هذه فرصة جيدة للقوادين! (مدير البلاط يلقي نظرة قلقة على الرسالة). أقرأها، أقرأها! أود ألا يبقى مضمونها محصوراً بين أربع عيون.

مدير البلاط (يقرأ، وفي هذه الأثناء رجال الليدي يدخلون ويصطفون في زاوية من الصالون). . . «يا صاحب السمو! إن عقداً قد فسخته أنت بكل سهولة لا يمكن بعد أن يربطني. إن سعادة بلادك كانت الشرط لحبي. وقد استمر الخطأ ثلاث سنوات. لقد سقط الرباط عن عيني. إني أكره علائم النعمة التي روتها دموع رعيتك. هذا الحب، الذي لم يعد في طاقتي أن أشعر به نحوك، اشمَل به وطنك البائس، وتعلم من أميرة إنجليزية التعاطف مع بلايا شعب ألماني. بعد ساعة سأكون قد اجتزت الحدود.»

حنة نورفولك*

* توقع هنا باسمها الحقيقي، وليس باسمها المستعار وهو: إميليلا ملفورد.

الخدم : (يكررون بصوت خافت ، مع دهشة) اجتزت الحدود؟

مدير البلاط (مرتاعا ، يضع الرسالة على المنضدة) اللهم احفظنا ،
ياسيدي العزيزة! إن حامل الرسالة وكاتبها يمكن أن
يخطرا بغرقهما!

الليدي هذا يقلقك ، أيها الرجل الممتاز! يُخشى أنك أنت
وأمثالك سيختنقون ، لمجرد رواية ما فعله شخص آخر .
من رأيي أن توضع الرسالة في فطيرة ، حتى يجدها سموه
على صحنه .

مدير البلاط يا للسماء! أي تهور! هل فكرت جيدا فيما ستقعين فيه من
محنة ، ياسيدي؟

الليدي (تلفت إلى رجالها وتقول لهم بانفعال شديد) أنتم
مذهولون ، يا أصحابي الطيبين ، أنتم تنتظرون بقلق
مفتاح هذا اللغز: لقد خدمتموني بحماسة وأمانة ،
ونشدتم المكافأة من عيوني أو من كيس نقودي ،
وطاعتكم كانت عن عاطفة: ورضاي كان مصدر فخار
لكم ، إن ذكرى إخلاصكم ستقرن -ويا للأسف-
بفكرة انحطاطي . إن المصير قد جعل من أيام هنائكم
أبأس أيامي . (تغورق عيناها بالدموع) . أنا أترككم ،
يا أولادي . إن ليدي ملفورد قد انتهت ، وحنه نورفولك
أفقر من أن تستطيع تسديد ديونها . وكاتب حساباتي
سيوزع بينكم صندوقي . إن هذا القصر ملك للدوق .

وأفقر فرد بينكم سيخرج من هنا أغنى من سيدته (تمد
إليهم يدها، والجميع يقبلون يدها بانفعال). أنا
أفهمكم يا أصحابي الطيبين. وداعا! وداعا إلى الأبد!
(تحنق زفرتها). إني أسمع صوت العربة (تتخلص وتريد
الخروج، مدير البلاط يضع نفسه أمامها) أيها المسكين،
ألا تزال هاهنا.

مدير البلاط (وكان طوال هذا الوقت يحدّق في الرسالة وعليه سيماء
الانهار) وهل يجب عليّ أن أضع هذه الرسالة في اليد
السامية لصاحب السمو.

الليدي أيها الرجل المسكين! نعم، في يده السامية، وستقول
لأذنيه الساميتين إنني لما كنت لا أستطيع الذهاب ماشية
بقدمين عاريتين للحج إلى كنيسة نوتردام دي لورت*،
فإنني سأشتغل بالأجر اليومي من أجل أن أغسل عارا،
كوني كنت أتحكم فيه. (تخرج، الآخرون يتفرقون، والكل
في تأثر بالغ).

* كانت لورت مقصدا للحج، وتقع بالقرب من مدينة أنكونا. وكان الحج إليها للتكفير عن خطيئة
كبيرة، ويتم بالسير على أقدام عارية.

الفصل الخامس

المنظر الأول

غرفة عازف الموسيقى . الوقت ليل

لويزة وملر

(لويزة جالسة في ركن مظلم من الغرفة، لا تنطق ولا تتحرك، ورأسها مستند إلى يدها . بعد صمت طويل . يدخل ملر ومعه مصباح ثقيل، ويتطلع بقلق في كل نواحي الغرفة دون أن يلمح لويزة، يضع المصباح بعد ذلك والقبعة على منضدة)

ملر
إنها ليست هاهنا أيضا، ليست هاهنا! لقد تجولت في كل الشوارع، وذهبت إلى كل المعارف، وسألت عند كل الأبواب . لم يشاهد أحد ابنتي المسكينة في أي مكان .

(بعد لحظة صمت) صبرا أيها الأب المسكين! انتظر حتى صباح الغد . ربما وجدوا حينئذ كنزك الوحيد طافيا قرب الساحل . يا إلهي! يا إلهي! هل تعلق قلبي بهذه البنت أكثر مما تريد؟ إن العقاب يبدو قاسيا، قاسيا جدا .
يا أيها الأب القدير .

(يرتمي يائسا على كرسي)

لويزة (دون أن تتحرك من مكانها) أحسنت، أيها الشيخ
المسكين! تعود في الوقت الحالي على أن تفقد ما هو
أكثر.

ملر (يقفز نحوها) أنتِ هاهنا، يابنتي . أنتِ هنا؟ لكن
لماذا تجلسين وحدك بدون نور؟

لويزة لست وحدي، حينما يكون كل شيء حولي مظلمًا، فإنني
أستقبل أحسن زواري .

ملر كان الله في عونك! الدودة القارضة للضمير هي وحدها
التي تسهر على طيور الليل، وليس إلا الخطيئة وروح
الشر هما اللتان تهربان من النور.

لويزة إن الأبدية أيضا، يا أبي، تتحدث إلى الأرواح في
الوحدة .

ملر يا ابنتي، يا ابنتي! ما هذه الأقوال؟

لويزة (تقف وتتقدم نحوه) إنني خضت معركة قاسية، كما
تعرف، يا أبي . والله وهبني القوة، وقد انتهت المعركة
يا أبي! من المعتاد أن يوصف جنسي بأنه الجنس الضعيف
الهنس، لكن لا تصدق هذا . إن عنكبوتة تجعلنا نرتعد،
لكننا نضغط برقة بين أذرعنا على الشبح الأسود للتدمير.
نبا سار يا أبي، إن ابنتك لويزة مسرورة .

ملر اسمعي، يا ابنتي! أريد أن أسمعك تنتحين، فهذا
يرضيني أكثر.

لويزة

كم سأخذه*، يا أبي! كم سأخذه الطاغية! إن الحب
أبرع من الفساد، وأكثر منه جسارة. إنه لا يعلم هذا،
هذا الرجل ذو الحبل المنحوس. أوه! إنهم بارعون جدا
حين يتعلق الأمر بالرأس (العقل)، لكن متى ما يتعلق
الأمر بالقلب فإن الأشرار يصيرون أغبياء. لقد ظن أنه
بقسم، قد قهر خداعه! إن القسم، يا أبي، يربط
الأحياء، لكن السلاسل الحديدية التي للوعد المقدس
تحطمت بالموت. فردنيد سيعرف لويزته؟ هل تفضل
بحمل هذه الرسالة، يا أبي؟ هل تفضل عليّ بهذا؟

ملر

إلى مَنْ، يا ابنتي؟

لويزة

سؤال غريب! إن اللامتناهي وقلبي ليس بينهما مكان
كاف لاحتواء فكرة أخرى غيره هو. وإلى من عساني أن
أكتب إن لم يكن إليه هو؟

ملر

(بقلق) اسمعي، يا لويزة: سأفتح هذه الرسالة.

لويزة

كما تريد، يا أبي، لكنك لن تعرف منها شيئا، أن هذه
الأسطر ليست مكونة إلا من حروف ميتة، إنها ليست
حية إلا في عين الحب.

ملر

(وهو يقرأ) «أنت خُنت، يا فردنيد. إن خديعة لا نظير
لها قد حطمت الرابطة التي تربط بين قلبينا، إن قسما
رهيبا قد عقد لساني، وأبوك له جواسيس في كل مكان.
ومع ذلك، فإن كنت شجاعا، يا حبيبي، فإني أعرف

* أو: سأخونه. . . سأخون الطاغية.

مكانا لم يعد يقيدني فيه أي قسم ، ولا ينفذ إليه أي جاسوس» .

(ملر يتوقف ويتطلع في ابنته وهو حزين)

لماذا تتطلع في هكذا؟ اقرأ كل شيء ، يا أبي .

لويزة

«لكن إذا كانت لديك الشجاعة للانخراط في طريق مظلم ، لا يضيء لك فيه إلا لويزتكَ ، وفيه تكون حبا خالصا ، تاركا وراءك كل آمالك ، وكل رغباتك الصاخبة ، ولا يكون فيه شيء ضروري عندك إلا قلبك ، إذا أردت ذلك ، فاسلك في الطريق حينها تدق ساعة كنيسة الكرمليات منتصف الليل . لكن إذا كانت هذه الفكرة تفزعك ، فإن الوصف بـ «قوي» لا تناسب جنسك ، لأن فتاة قد أذلتك» (ملر يدع الرسالة تسقط من يده ، وينظر أمامه طويلا بعين ثابتة متألمة ، وأخيرا يلتفت إليها ، ويقول بصوت متقطع) : وهذا المكان ، يا ابنتي ؟

ملر

ألا تعرفه يا أبي أصحيح حقا أنك لا تعرفه ، هذا أمر غريب ، إن هذا المكان مرسوم بوضوح كاف للعشور عليه . إن فرديند سيكثر عليه .

لويزة

وا أسفاه! تكلمي بوضوح .

ملر

لا أستطيع أن أسميه باسم سار . لا تفزع ، إن أطلقت عليه اسما كريها . هذا المكان . . . آه ! لماذا ليس الحب هو الذي اختار اسمه ؛ إذن لكان قد سماه باسم أجمل .

لويزة

هذا المكان، يا أبي العزيز. . . دعني أتم. . . هذا المكان هو القبر.

(ينهار فوق كرسي) يا إلهي!

ملر

(تذهب إليه وتسندة) لا، يا أبي، إنه الخوف فقط هو الذي يرتبط بهذه الكلمة. تعلم كيف تزيع هذا الانطباع، هنالك ترى أنه فراش الزواج، حيث ينشر الفجر غلائله الرهيبة، وينشر الربيع باقاته العطرة، الخاطئء وحده، في ساعة النزع الأخير هو الذي استطاع أن يسمى الموت: هيكلًا عظيمًا. إن الموت طفل لطيف عذب، ذو لون وردي، مثلما يرسم إله الحب، لكنه أقل خداعا وخيانة. إنه جنى رقيق وخدوم، يقدم إلى النفس المتعبة يد المعونة ابتغاء صعود درجات الزمان، ويفتح لها باب المجد الأبدي، ويمحيها بمودة، ثم يختفي.

لويزة

فيم تفكرين يا ابنتي؟ هل تريدين أن تنتحري؟

ملر

لا تسمي هذا هكذا يا أبي. هل ترك مجتمع لا ينظر إلي فيه بنظرة حسنة، والقفز إلى مكان لا أستطيع الإفلات منه، هل هذا خطيئة؟

لويزة

يا ابنتي، ليس هناك ما هو أشد ترويعا من الانتحار. إنه الأمر الوحيد الذي لا يستطيع الإنسان أن يتوب عنه، إذ فيه يقترن الموت بالجريمة.

ملر

هذا مخيف! لكن هذا لن يتم بسرعة. سألقي بنفسي في النهر، يا أبي، وأثناء سقوطي سأدعو رحمة الله العليّ القدير.

لويزة

ملر

أنت على هذا النحو تريد أن تتوي عن السرقة حالما
تضعين ناتج السرقة في مكان أمين . يا ابنتي ، يا ابنتي !
احذري من السخرية بالله ، وأنت في أشد الحاجة إلى
إحسانه . أوه ! لقد ذهبت بعيدا جدا ! لقد توقفت عن
الصلاة ، والرحيم سحب يده عنك .

لويزة

هل الحب إذن جريمة ، يا أبي؟

ملر

: لو كنت تحبين الله ، فإن حبك لن يذهب أبدا إلى حد
ارتكاب جريمة . أنت حنيتني إلى أسفل جدا ، يا ابنتي
الوحيدة ! إلى أسفل ، إلى أسفل جدا ، ربما حتى إلى
أعماق القبر بيد أني لا أريد أن أرهق قلبك أكثر من هذا .
يا ابنتي ! لقد تكلمت منذ قليل ، وقد ظننت أنني كنت
وحدي . لكنك سمعتني ، ولماذا يجب علي أن أخفي
عليك الأمر بعد؟ لقد كنت معبودتي . اسمعي ،
يا لويزة ، إذا كان لا يزال في قلبك مكان لعواطف أب .
لقد كنت بالنسبة إلي كل شيء . والآن ليس مالك هو
الذي تبديده ، بل أنا أيضا سأخسر كل شيء . أنت
ترين أن شعري بدأ في التلون بالبياض . إنه يعلن لي شيئا
فشيئا قرب ذلك الوقت الذي فيه نقطف ، نحن الآباء ،
رأس المال الذي استثمارناه في قلوب أبنائنا . أتريد أن
تحرمني منه ، يا لويزة؟ أتريد أن تفرّج حامله معك
من هنا كل الثروة وأموال أبيك؟

لويزة

(تقبّل يده وهي في أشد الانفعال والتأثر) كلا، يا أبي! إني أخرج من هذه الدنيا حاملة ديننا هائلا نحوك، وسأدفعه مضاعفا في الأبدية .

ملر

احذري أن تخطئي الحساب، يا ابنتي! (بلهجة ملؤها الجذ والصرامة): هل سنلتقي في هذا المكان الآخر؟ انظري كم أنت تشحّين! إن ابنتي لويزة تفهم هي نفسها أنني لن أستطيع أن أصل إليها في ذلك العالم الآخر، لأنني لن ألقى بنفسي فيه عاجلا مثلها. (لويزة تلقي بنفسها بين ذراعيه، وقد استولت عليها القشعريرة - يضمها بحرارة إلى صدره، ويستمر بصوت ضارح:)
أوه! يا ابنتي يا ابنتي! ابنته سقطت، وربما قضى عليها! زني في قلبك كلمات أليك المليئة بالجد. إني لا أستطيع السهر عليك. في استطاعتي أن أنتزع منك السكاكين، لكنك تستطيعين أن تقتلي نفسك بإبرة التريكو. وفي وسعي أن أحرسك من السم، لكنك تستطيعين أن تخنقي نفسك بعقد من اللؤلؤ يا لويزة، يا لويزة! لا أملك إلا أن أحذرك. أو تريد أن تخاطري برؤية وهمك الغدار يهرب بعيدا، في هذه النقطة الرهيبة التي تربط الزمان بالأبدية، أتريد أن تخاطري بنفسك أمام عرش من يعلم كل شيء بواسطة هذه الأكذوبة. «من أجلك أتيت هاهنا» بينما عينك الأثمتان تبحثان عن معبودهما الفاني؟ وإذا كذب هذا الإله الهش الموجود في مخك، إبان لحظة القلق، ثقتك الفاسقة، والتوى عند أقدام حاكمك، وأرسل آمالك المخدوعة إلى الرحمة

الأبدية التي لا يكاد هذا البائس أن يجتذبها لخلاص نفسه . فماذا سيكون حينئذ؟ (بتعبير أقوى وصوت أعلى ، ماذا سيكون ، أيتها الشقية (يمسك بها بقوة أكبر ، ويتطلع فيها لبعض الوقت بعين ثابتة نفاذة ، ثم يتركها فجأة) إنني لم أعد مسئولاً عن هذه الروح ، يا إلهي يا أحكم الحاكمين! افعل ما شئت . قدّمي تضحية سيقبلها جنك الشرير بصيحات الفرح وتجعل جنك الطيب يرتد فزعاً . اذهبي! ارحلي! احلي على كاهلك كل خطاياك ، دون أن تنسي هذه وهي آخرها وأبشعها جميعاً ، وإذا كان الحمل لا يزال خفيفاً فلتزده لعنتي ثقلاً . هاهي ذي سكين ، فشتي قلبك بها (يتنهد ويريد أن يقفز إلى الخارج) وقلب أبيك!

لويزة (تندفع وراءه) توقف أبي! توقف! إن الحنان قاهر أشد وحشية من غضب الطغاة ،! ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟ لا أستطيع . ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟

ملر إذا كانت قبلات صاحبك الرائد أشد حرارة من دموع أبيك ، فموتي!

لويزة (بعد معركة قاسية مع نفسها ، تقول بحزم) أبي! هذه يدي! أريد ، يا إلهي ، يا إلهي ، ماذا أفعل؟ ماذا أريد؟ أبي ، إني أقسم ، ويلي! الويل! أنا مجرمة . إلى أية ناحية التفت! أبي ، ليكن! فردنيند يا اللد يرى من عليائه؟ إني أقضي هكذا على آخر ذكراه [تمزق الرسالة] .

ملر

(يرتمي على عنقها وهو سكران من الفرح) هكذا هو
يا ابنتي! ارفعي عينيك! أنت، تحرمين نفسك من عاشق،
لكنك تردين السعادة إلى أبيك (يعانقها ضاحكا باكيا في
نفس الوقت). طفلتي، طفلتي التي لم أستخفها
بحياتي! الله يعلم كيف أن رجلا هو لا شيء مثلي أنا
قد استطاع أن يكون له مثل هذا الملك! يا لوزي،
يا جنتي، يا إلهي! إني لا أفهم كثيرا في الحب، لكني
أعلم أن الكف عن الحب عذاب. أوه! هذا أمر لا أزال
أفهمه.

لوزية

لكن نترك هذه البلاد، يا أبي! نترك هذه المدينة التي فيها
تسخر صواحيبي مني، وفيها ضاعنت سمعتي الشريفة
إلى الأبد. لنهرب بعيدا، بعيدا جدا عن هذا المكان حيث
كثير من بقايا السعادة المفقودة يتحدث إلى قلبي. أوه!
بعيدا عن هنا، متى كان ذلك ممكنا.

ملر

حينما تريدان، يا ابنتي. إن خبز الله رحيم ينبت في كل
مكان، وسيجعلني أجد آذانا صاغية إلى كمنجتي.
نعم! حينما نفقد كل شيء، سألحن على القيثارة قصة
مأساتك، وسأتغنى بشكاة البنت التي مزقت قلبها
ابتغاء إرضاء أبيها. ستسول من باب إلى باب، بهذه
القصيدة، وستكون الصدقة عذبة من يد أولئك الذين
سيكون لدى سماعها.

المنظر الثاني

فردنيند، وملر، ولويزة

لويزة (تلمحه أولاً، وتلقي بنفسها على رقبة ملر وهي تصيح صيحة عالية) يا إلهي! هاهو ذا! لقد ضعت.

ملر أين؟ من؟

لويزة (تشير إلى الرائد بيدها، وقد أشاحت بوجهها، وتلتصق بأبيها أكثر فأكثر) هو! هو بنفسه! ما عليك إلا أن تلتفت بعينيك، يا أبي. إنه هنا كي يقتلني!

ملر (يلمحه ويتراجع بشدة) ماذا؟ أنت هنا، يابارون!

فردنيند (يقرب ببطء، ويتوقف أمام لويزة، ويحدق فيها بنظرة فاحصة. بعد لحظة) يا صرخة الضمير المضطرب! إني أشكر لك. إن اعترافك مخيف، لكنه حاسم، وهو ينجيني من كثير من ألوان العذاب. . . مساء الخير، ياملر!

ملر لكن، بحق السماء ماذا تريد، يابارون؟ ماذا ساقك إلى هنا! ولماذا تفاجئنا على هذا النحو؟

فردنيند: لقد عرفت زمانا كانت تعد فيه كل دقائق اليوم، وفيه

كانت الحماسة لرؤيتي تجعل السير البطيء لعقارب
الساعة يسرع، وحيث كان فيه يترصد النبض المعلن عن
وصولي، فكيف تأتّى الآن أن زيارتي تدهشكما؟

ملر

اخرج يا بارون، اخرج، إن كان قد بقي في قلبك شرارة
من الإنسانية، وإن كنت لا تريد أن تذبح تلك التي
تدعي أنك تحبها. اهرب، لاثمك لحظة واحدة هنا.
إن البركة قد هربت من بيتي منذ اللحظة التي وضعت
قدمك فيه لقد جلبت الشقاء إلى بيتي بينما كان الرضا
يسود فيه من قبل. ألسنت راضيا بعد؟ أتريد إذن أن تمزق
الجراح، التي جلبها سوء الحظ من جراء معرفتك إلى
قلب ابنتي الوحيدة؟

فردنيند

أيها الأب الممتاز، إني قدمت الآن لأقدم خبرا طيبا إلى
ابنتك.

ملر

: آمال جديدة، ويأس جديد. اهرب، يا رسول الشقاء،
وجهك يسىء إلى بضاعتك.

فردنيند

أخيرا أشاهد أمام عيني نهاية أمانيّ. إن ليدي ملفورد،
أبشع عقبة أمام حبنا، قد هربت الآن من هذه البلاد،
وأبي يوافق على اختياري، والقدر توقف عن
اضطهادي، وطوال أسعد ترعانا. لقد أتيت لتنفيذ
وعدي واقتياد عروستي إلى المذبح*.

* أي للزفاف في الكنيسة.

ملر أسمعته، يا ابنتي، أسمعته وهو يلعب لعبة الآمال المخدوعة؟ آه! حقا يا بارون! ليس جميلا أن يرى المغرر يأتي أيضا ليتسلى بجريمته.

فردنيند أظن أنني أمزح؟ كلا، وشرفي! كلامي صادق، مثل حب لويزة، سأنفذ ما تعهدت به بكل صدق مثلما تنفذ هي ما أقسمت به. إني لا أرى أسرا أكبر قداسة من هذا. ألا تزال تشك؟ إني لا أرى بعد الحمرة تلون خدي زوجتي الفاتنة: هذا أمر غريب. يبدو أن الكذب هو العملة المستعملة هنا، وأن الصدق لا ينفق هنا. أنت لا تتق بكلامي! ربما تصدق هذه الشهادة المكتوبة! (يلقي إلى لويزة بالرسالة الموجهة إلى مدير البلاط، لويزة تفتحها ويغمى عليها).

ملر (دون أن يلتفت إلى لويزة) مامعنى هذا، يا بارون؟ إني لا أفهمك.

فردنيند (مشيرا إلى لويزة) هذه فهمت أحسن.

ملر (يسقط بالقرب من لويزة) يا إلهي! ابنتي!

فردنيند شاحبة مثل الموت! الآن ابتك تسرني، لم أرها من قبل جميلة هكذا، هذه البنت التقية الشريفة، إن نفخة يوم الحساب، التي ستذرو دهان كل الأكاذيب، قد بددت هذا التمويه للفضيلة المصطنعة التي كان من شأنها أن تخدع حتى ملائكة النور. إنه وجهها بكل جماله، إنه وجهها الحقيقي، أريد أن أغمره بالقبلات. (يتقدم نحوها)

ملر

اذهب، اذهب! أيها الفتى، لا تهاجم قلب أب، إني لم
أستطع حمايتها من ملاطفاتك، لكنني سأحییها من
إهاناتك.

فردنند

ماذا تريد، أيها الشيخ العجوز؟ إني لا شأن لي معك .
لا تحشر نفسك في لعبة الدورفها خاسر. ربما تعرف منها
ما لم أعتقد أنه؟ هل أقرضت حكمة سنواتك الستين إلى
المغامرات الغرامية لابتك، وهل دنست هذا الشعر
الأبيض المحترم بأن قمت بمهنة القواد؟ إذا لم يكن هذا
هو ما حدث، أيها العجوز البائس، فارقده هناك،
ومت، فلا يزال هناك وقت وفي وسعك بعد أن تنام وأن
تحلم حلما لذيذا، وأنت تقول: لقد كنت أبا سعيدا .
وبعد ذلك بلحظة، سيكون عليك أن تنبذ الأفعى*
السامة في وطنها الجهنمي، وسيكون عليك أن تلعن
الهدية التي تلقيتها ومن صنعها، وستنزل إلى القبر وأنت
تجدف على الألوهية. (مخاطبا لويضة) تكلمي، أيتها
الشقية، هل كتبت هذه الرسالة؟

ملر

(مخاطبا لويضة) بحق السماء يا ابنتي! لا تنسي،
لا تنسي . .

لويضة

أوه! هذه الرسالة، يا أبي! . . .

* يقصد لويضة.

فردنيند

آه! لو كانت سقطت في أيد شريرة! . . . شكرا للصدفة، إنها فعلت أحسن من أكثر العقول حكمة، وصنعت أحسن مما تصنع حكمة أبرع البارعين. الصدفة، أقول؟ آه، إذا كانت العناية الإلهية هناك حين يسقط طائر، فلماذا لا تكون هي التي كشفت عن روح الجحيم؟ هل تجيبين؟ من كتب هذه الرسالة؟

ملر

(مخاطب لوييزة بلهجة ضارعة) كوني ثابتة، يا ابنتي، قولي فقط: نعم، وينتهي كل شيء.

فردنيند

هذا مضحك، مضحك جدا! الأب هو الآخر كان مخدوعا، الكل مخدوعون! وانظر إلى سياء هذه الفاسقة: فمها نفسه يأبى أن يطيعها لتتفوه بهذه الكذبة الأخيرة اقسامي بإهلك، اقسامي بالحقيقة الأبدية: هل كتبت هذه الرسالة؟

لوييزة

(بعد معركة أليمة مع نفسها، كانت نظرات أبيها تسندها فيها، تحيب بثبات وتؤكد) نعم أنا التي كتبتها.

فردنيند

(يظل متجمدا من الفزع): لوييزة! كلا، أحلف بنفسي، أنت تكذبين. أو لاتعترف بالبراءة، وهي على منصة المشنقة بالجريمة التي لم ترتكبها؟ لقد طالبتك بكثير من العنف، أليس كذلك يا لوييزة؟ إنك لم تعترفي إلا بسبب عنفي؟

لوييزة

إني اعترفت بما هو حق.

فردنيند

كلا، أقول لك، كلا، كلا، أنتِ لم تكتبيها هذا ليس خطك . وحتى لو كان خطك، فهل تزييف الخطوط أسهل من إفساد القلوب؟ قولي لي الحقيقة؟ أولا تفعلي ذلك . ما عليك إلا أن تقولي نعم، وسأضيع أنا . كذبة، يا لويزة، كذبة! أوه! لو تخيلت الآن كذبة، وقلبتها بهذه السيئ الملائكية، الصريحة، ولو أقنعت فقط أذني وعيني، حتى لو اضطررت إلى خداع هذا القلب على أبشع نحو. أوه! يا لويزة! لتخرج حينئذ على صوتك ، إني موافق على هذا، كل حقيقة من الخليفة، وليخضع الحق الصحيح رأسها الشامخ لانحناءات رجال البلاط المملقين (بصوت حيّ مرتجف) هل كتبت هذه الرسالة؟

لويزة

قسما بالله واسم الله الرهيب، إله الحق : نعم!

فردنيند

(بعد وقفة ، وبتعبير ينم عن أشد التألم) يا امرأة! يا امرأة! هذا الوجه الذي أمامي الآن يضيف إلى فتنته سعادة الفردوس، وحتى في ملكوت الجحيم لن يجد له مشتريا . أتعلمين ماذا كنت بالنسبة إليّ، يا لويزة؟ هذا مستحيل، كلا، أنتِ لا تعلمين أنك كنت كل شيء بالنسبة إليّ «كل شيء» ماهذه إلا كلمة، كلمة بائسة، لكن الأبدية يصعب عليها أن تحتويها، إنها تشتمل في داخلها على عوالم! «كل شيء»! وكان في استطاعتك أن تنعمي بها على هذا النحو الإجرامي؟ أوه! هذا رهيب .

لويزة : هذا هو إقرارى ، ياسيد فون فالتر، وأنا قد أدنت نفسي
بنفسي . فاذهب إذن ، واترك بيتا كنت فيه بائسا هكذا .

فردنيند هذا حسن، هذا حسن، أنا هادئ تماماً! هادئ! ألا
توصف بهذا الوصف البلاد التي أبادها الطاعون؟ أنا
هادئ . (بعد لحظة من التفكير) رجاء آخر، يا لويزة!
رجاء هو الأخير! إن رأسي مشتعل من الحمى، أنا في
حاجة إلى الانتعاش، هل تفضلين عليّ بكوب من
عصير الليمون؟

(لويزة تخرج)

مكتبة
www.books4all.net

المنظر الثالث

فردنيند وملر

(كلاهما يتجول في الغرفة . وأخيرا يتوقف ملر، وبعد أن يتطلع في الرائد بحزن، يخاطبه فيقول :)

ملر ياعزيزي البارون! إذا كان هذا يخفف من حزنك فإني أقول لك إنني أرثي لك من أعماق فؤادي .

فردنيند هذا حسن، ياملر. (يخطو بضع خطوات) يصعب عليّ أن أتذكر كيف أتيت عندك . بأية مناسبة كان ذلك؟

ملر بأية مناسبة، ياسيدي الرائد؟ أنت قد أردت تلقي بعض دروس في العزف على الفلوت . ألا تتذكر ذلك؟

فردنيند (فجأة) ورأيت ابنتك (ثم لحظة صمت) . إنك لم تنفذ وعدك، يا صديقي، وكان عليك أن تمنحني السكون في ساعات الوحدة وأنت خدعتني، أنت بعت لي عقارب (يلاحظ تأثر ملر) . كلا، لا تنزعج، أيها الشيخ العجوز، (يعانقه) أنت لم ترتكب ذنبا .

ملر (ماسحا عينيه) هذا أمر يعلمه الله العليم بكل شيء .

فردنيند

(متجولا في الغرفة وهو مستغرق في تأملات كئيبة) كم هي غريبة ، وكم هي غير قابلة للتصور الكيفية التي بها يتصرف فينا! وبحبال دقيقة غير ملاحظة كثيرا ما تتعلق أثقال رهيبة . هل عرف الإنسان أنه لابد له أن يأكل الموت مع هذه التفاحة* هل عرف ذلك؟ (يتحول بعنف أكبر رائحا غاديا ، ثم يمسك بيد ملر بحركة قوية أيها الرجل! إني أدفع لك عن القليل من الدروس في عزف الفلوت شيئا غاليا جدا ، وأنت لا تكسب مع ذلك شيئا ، بل بالعكس أنت تخسر ، وربما تخسر كل شيء (يذهب متضايقا منه) عزف على الفلوت منحوس ، كان من الواجب ألا يخطر ببالي .

ملر

يحاول أن يخفي (اضطرابه) إن عصير الليمون قد تأخر كثيرا . أرى أن أتجلى الأمر ، إذا لم تسيء فهم ذلك . . .

فردنيند

لا داعي للاستعجال ، يا عزيزي ملر (يتمتم لنفسه) خصوصا بالنسبة إلى الأب . ابق هنا . ماذا كان علي أن أسأل عنه؟ نعم ، هل لوييزة هي ابنتك الوحيدة؟ أليس لك أبناء آخرون؟

ملر

(بحرارة) ليس لدي غيرها . ولا أتمنى أن يكون لي غيرها .

* إشارة إلى ما ورد في سفر «التكوين» عن أكل آدم من ثمرة التفاح في الجنة مما أدى إلى هبوطه إلى الأرض ، وما تبع ذلك للإنسان من شقاء ، و«الحبال الدقيقة» هي هنا دروس العزف على الفلوت ، و«الأثقال الرهيبة» هي النتائج الرهيبة التي ترتبت على تعرفه على بيت ملر .

إن الفتاة كافية لأن تملأ قلب أبيها - إن كل أموال السائلة
قد استثمرتها في حب ابنتي .

(يهتز بعنف) ها ! الأفضل أن يذهب ملر الطيب لمعرفة
ماذا جرى بالنسبة إلى الشراب (عصير الليمون) !
(ملر يذهب)

فردنيند

المنظر الرابع

(فردنيند وحده)

ابنته الوحيدة! أتحس بهذا، أيها القاتل! الوحيدة، أيها القاتل؟ أسمعت كلمة: الوحيدة؟ وهذا الرجل ليس له في الكون الفسيح الذي خلقه الله، ليس له إلا آلهة الموسيقى وهذه البنت الوحيدة أتريد أن تسلبها إياه؟ تسلبها؟ تسلب آخر دائق عند شحاذا؟ تريد أن تلقي عند قدمي الأعرج بعكازته المكسورة؟ كيف؟ وهل لديّ الجراءة على فعل هذا؟ وإذا هرع، وهو متلهف ليحسب على وجه ابنته كل مجموع مسراته، وحين يدخل يشاهد هذه الزهرة مجندلة عند قدميه، ذابلة، ميتة، مسحوقة عن طيب خاطر، أمله الأخير، الوحيد، الذي لا نظير له... آه! وإذا كان هناك، أمامها، والطبيعة كلها ليس فيها بالنسبة إليه نسمة حياة، ونظرتة المتجمدة تتجول عبثا في الفضاء الواسع الخالي من السكان، وهو ينشد الله ولا يستطيع أن يعثر عليه، ويعوذ إليه في غير طائل وهو يائس! يا الله! يا الله! لكن أبي أيضا ليس له غير هذا الابن الوحيد! هذا الابن الوحيد، ولكن ليست هذه الدرة الوحيدة (بعد وقفة) ومع ذلك، فماذا يفقد إذن؟ الفتاة الوحيدة التي لم تكن أقدم عواطف الحب عندها غير الأعيب، هل تستطيع أن تجعل والدها سعيدا؟ كلا، إنها لا تستطيع ذلك! بل أنا أستحق الشكر إذا سحقت الأفعى قبل أن تجرح أباه أيضا.

المنظر الخامس

ملر (وقد عاد) وفردنيند

ملر سيحضر لك الشراب حالا، يابارون. إن البنت المسكينة جالسة هناك في الخارج وتبكي بكاء يؤدي إلى الموت. إنها ستعطيك دموعا لتشربها مع عصير الليمون.

فردنيند وسيكون حسنا ألا يكون هناك إلا الدموع. مادمننا قد تكلمنا عن الموسيقى، يا ملر (مخرجا كيس نقوده) فإني لا أزال مدينا لك.

ملر كيف؟ ماذا! لا، يابارون. من تظنني إذن؟ اعتبرها وصلتني. لا تهني هذه الإهانة، إن شاء الله لن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي نلتقي فيها.

فردنيند من يدري؟ خذ، لا أحد يعلم من سيموت ومن سيعيا.

ملر : (ضاحكا) أوه!! ما هذا، يا بارون، إنه مخاطرة يمكن أن أقع فيها معك، فيما أظن.

فردنيند هذه مخاطرة دائما. أولم تشاهد شبابا يموتون، شبابا وشابات وأطفالا هم أمل آبائهم الذين بنوا على هذا الوهم آمالا عريضة؟ إن ما لا يستطيع السن أو الحزن أن يفعله، قد يحدث مرارا أن ضربة صاعقة قد تفعله. وابنتك لويزة ليست هي الأخرى خالدة.

ملر

لقد وهبني الله إياها .

فردنيند

اسمع . أقول لك إنها ليست خالدة . إنك تحب هذه البنت مثلما تحب إنسان عينيك ، وقلبك وروحك متعلقان بهذه البنت وحدها . تبصر الأمور ، يا ملر ، إن المقامر اليائس هو وحده الذي يضع كل رهانه على ضربة واحدة من ضربات النرد . ويعد متهورا التاجر الذي يحمل كل ما يملك على سفينة واحدة . استمع إليّ ، وفكر في هذا التحذير . لكن ، لماذا لا تأخذ نقودك؟

ملر

: كيف ، ياسيدي؟ كل هذا الكيس الملائن؟ فيم يفكر البارون؟

فردنيند

في تسديد ديوني . (يرمي بكيس النقود على المنضدة ، فتسقط منه قطع من الذهب) هيا ، إني لا أستطيع أن أحتفظ بهذا المبلغ الزهيد بين يدي .

ملر

(مندهشا) كيف ، يا إلهي ! ليس هذا صوت فضة (يقرب من المنضدة ويصبح مرتاعا) كيف؟ باسم كل السماء ! يا بارون ! يا بارون ! ماذا جرى لك؟ ماذا تفعل يا بارون؟ هذا هو ما أسميه سهوا ! (يشد يديه بقوة) لكنني أرى أمامي اللهم إلا إن كنت مسحورا ، أو ليلعني الله ! إني ألمس ذهباً أصفر حقيقياً ، ذهب الله الطيب . كلا ، يا شيطان ، أنت لن توقعني في هذه المصيدة .

فردنيند

هل شربت خمرًا معتقة أو خمرًا جيدة ، يا ملر؟

ملر (بلهجة خشنة) الرعد والعاصفة! لكن انظر، إنه ذهب!

فردنيند ثم ماذا؟

ملر باسم الشيطان أهذا لك . . . أرجوك باسم يسوع المسيح المقدس . . . إنه ذهب!

فردنيند هذا أمر مدهش حقا!

ملر (بعد لحظة من الصمت، يذهب إليه ويقول بشعور من الإحساس الجريح) يا سيدي، أنا رجل بسيط ومستقيم . اللهم إلا إذا كنت تريد أن تكلفني بمهمة سافلة، لأن مقدارا من النقود مثل هذا لا يمكن المرء أن يكسبه - علم الله - بطرق شريفة .

فردنيند (متأثرا) كن مطمئنا تماما، يا عزيزي ملر. إنك كسبت هذه النقود منذ زمان طويل، وليحفظني الله من أن أريد أن أشتري منك ضميرك الطيب بهذه النقود .

ملر (واثبا في الهواء، وكأنه نصف مجنون) لي أنا، لي أنا! برضا تام من الله الطيب، لي أنا! (يهرع نحو الباب ويصيح): يا زوجتي! يا ابنتي! النصر! اهرعوا! (يعود) لكن يا لجود السماء! كيف صرت فجأة مالكا لكل هذه الثروة المخيفة؟ كيف كسبتها؟ كيف أستحقها؟ ها؟

فردنيند

ليس بدروس الموسيقى ، يا ملر ! إني بهذه النقود إنما أدفع لك . . . (يتوقف وهو يرتعد) إني أدفع لك . . . (بعد وقفة ، يقول بحزن عميق) ثمن الحلم البائس لابنتك طوال ثلاثة أشهر.

ملر

(يمسك يده ويضغط عليها بقوة) يا سيدي؟ لو كنت مجرد برجوازي . . . (باحتراس) ولم تكن ابنتي قد أحبتك ، لكنت قادرا على أن أذبحها وهي ابنتي . (يعود إلى النقود ، ثم يقول وهو حائر) لكن هكذا يكون لي كل شيء ، ولا يكون لك شيء ، وعليّ الآن أن أتقيأ وأرد كل كنزي؟ ماذا؟

فردنيند

لا تدع هذا يضايقك ، يا صاحبي ! إني راحل ، وفي البلاد التي أقدر الإقامة بها ، هذه القطع غير متداولة .

ملر

(الذي في هذه الأثناء لم يصرف عينه عن هذه النقود ، يقول وهو في غاية الابتهاج) هي إذن باقية لي أنا؟ هي باقية لي؟ لكنني حزين لرحيلك . انتظر قليلا حتى ترى الحال التي سأكون عليها من الآن فصاعدا ، وكيف أن حدودي ستمتلئ صحة وحيوية ! (يلبس قبعته ويقفز خلال الغرفة) ودروسي في الموسيقى سأقوم بتأديتها في السوق ، وسأدخن تبغ الثلاثة ملوك ، نمره ٥ ، وليأخذني الشيطان إذا جلست بعد في صالة الكوميديا في الأماكن التي ثمنها اثنا عشر مليا (يريد أن يخرج) .

فردنيند

ابق ، اسكت ، وخذ نقودك . (بلهجة معبرة) اسكت هذا المساء فقط ، وأشع السرور في نفسي بآلا تعطي من الآن فصاعدا دروسا في الموسيقى .

ملر

(بنشوة أكبر، وفي نشوته يمسك بفردنيند من ثيابه) آه،
ياسيدي! وابنتي (يترك ثيابه) إن النقود لا تصنع
الإنسان... قطعاً... سواء لديّ أأكلت بطاطس أم
أكلت الفجل فإنني حين أتعشى لا أشعر بالجوع. وهذا
الثوب سيظل دائماً حسناً، طالما لم يشاهد لحمي من
ثقوب كمي، والأسمال حسنة بالنسبة إليّ، أما ابنتي،
فلأجلها تأتي هذه البركة*، فكل ما أراه في عينيها أنها
تريده، لا بد أن آتيها به في الحال.

فردنيند

(يقاطعه فجأة) كفى كفى!

ملر

(وقد ازداد حماسه أكثر فأكثر) وستتعلم اللغة الفرنسية
بعمق، وسترقص رقصة «المنويت»، وستغني غناءً جيداً
بحيث تتحدث عنها الصحف، وستلبس قبعة مثلاً
تلبس بنات المستشار، و«كي دي باري»**، كما يسمى،
وسيتكلم الناس عن بنت عازف الموسيقى في دائرة قطرها
«أربعة فراسخ» بهذه النواحي.

فردنيند

(يمسك يده بتعبير مخيف) كفى، كفى! بحق السماء،
اسكت! اسكت اليوم فقط، هذا هو عرفان الجميل
الوحيد الذي أطلبك به.

* النقود.

* Que de Paris: تحشية تشبه الكرينولين. توضع في ظهر الثوب لتعطيه انتفاخاً، كان هو البدع
الساائد آنذاك.

المنظر السادس

لويزة (تدخل حاملة عصير الليمون) ملر، فردنيند

لويزة (وعيناها محمّرتان من الدموع، وبصوت مرتجف تقول)
إن لم يكن عصير الليمون قويا بدرجة كافية، فأخبرني .

فردنيند (يأخذ الكوب من الصحن، ويجلس ثم يلتفت فجأة إلى
ملر) آه! كدت أن أنسى! هل أتجاسر على أن أطلب
منك أمرا، يا عزيزي ملر؟

أتريد أن تسدي إليّ خدمة بسيطة؟

ملر ألف خدمة، وليس واحدة فقط . ماذا تريد؟

فردنيند إنهم سيبتظروني لتناول الطعام، ولكني ويا لسوء الحظ
حزين المزاج إلى درجة أن من المستحيل عليّ أن أظهر بين
الجماعة، هل تفضل وتذهب إلى أبي وتخبره باعتذاري؟

لويزة (مرتاعة، تقاطعه بشدة) في استطاعتي القيام بهذا
المشوار.

ملر أأقول هذا للرئيس نفسه؟

فردنيند ليس له هو نفسه . بل تكلف بهذه المهمة أحد الرجال الذين في قاعة الانتظار . وهامي ذي ساعتني لتدلّل على أنك جئت من طرفي . وسأكون هنا حتى تعود . وأنتظر الجواب .

لويزة (بقلق) ألا أستطيع أنا أن أقوم بهذه المهمة كلها؟

فردنيند (مخاطبا ملر الذي يهم بالذهاب) انتظر، هناك شيء آخر . هذه رسالة تخص أبي ، وقد وصلتني هذا المساء في مطروف ، وربما كانت تتعلق بمسألة عاجلة . وستقوم بهذه المهمة في نفس الوقت .

ملر هذا حسن ، يا بارون .

لويزة (تمسكه وتحتجزه بقلق) لكنني أستطيع أن أقل هذا كله ، يا أبي .

ملر أنت وحدك ، والليل مظلم ، يا ابنتي . (يخرج) .

فردنيند أضيئي لأبيك ، يا لويزة . (بينما هي تصحب أباهما حاملة النور) يقترب من المنضدة ، ويضع سما في عصير الليمون ، نعم ، لابد أن تموت . . . لابد . . . القوى العليا تشير إلى بانتفاضات الرأس ، ناطقة بالكلمة الرهيبة : «نعم» ، وانتقام السماء يصادق على الحكم ، إن ملاكها الطيب قد تخلّى عنها .

المنظر السابع

فرديند ولويزة

(تعود لوييزة ببطء حاملة المصباح، وتضعه على المنضدة، وتجلس في مواجهة الرائد، وعيناها خفيضتان نحو الأرض، وبين الحين والحين تلقي إليه نظرة مسترقة مرتاعة. أما فرديند فيجلس في الجانب المواجه، ويحدق بثبات أمامه. صمت طويل عميق يعلن عن هذا المنظر)

لوييزة
هل تريد، يا سيد فون فالتر، أن تصاحبني في العزف على البيانو؟ (تفتح البيانو. فرديند لا يجيب بشيء، صمت): أنت مدين لي بدور في الشطرنج، أتريد أن تلعب دورا، يا سيد فون فالتر؟ (صمت من جديد).
يا سيد فون فالتر، كيس النقود الذي وعدت بأن أطرزه لك قد بدأت العمل فيه، ألا تريد أن تشاهد الرسم؟
(صمت آخر) آه! كم أنا بائسة!

فرديند (دون أن يغير موقفه) هذا يمكن أن يكون حقيقيا.

لوييزة
ليس الذنب ذنبي، يا سيد فون فالتر، إذا كانت حجتي الآن تضايقك.

فرديند
(على حدة، وبابتسامة مُرّة) ماذا تستطيعين أن تفعل لتحفظي الشديد!

لويـزة

لقد اعتقدت أنه ليس لدينا الآن ما نقوله، الواحد للآخر. لقد انتابني الجزع حينما أرسلت أي في مهمة إلى الخارج. يا سيد فون فالتر، لقد توقعت جيدا أن هذه اللحظة لن تكون محتملة فيما بيننا. . إذا سمحت، سأذهب للإتيان ببعض معارفي.

فردنـيند

أوه! نعم، افعل هذا. وأنا أيضا سأذهب للإتيان ببعض معارفي.

لويـزة

(تتطلع فيه بسياء متحرجة) يا سيد فون فالتر!

فردنـيند

(بلهجة ساخرة) بشرفي، هذه أحسن فكرة يمكن العمل بها في مثل هذه المناسبة. فيها نحيل إلى تسلية هذا اللقاء المنفرد الملل، ونتقم لأنفسنا من شجون الحب ببعض الملاحظات.

لويـزة

أنت طيب المزاج، يا سيد فون فالتر.

فردنـيند

نعم، تماما، إلى درجة أنني أجعل الأطفال يجرون ورائي في الشوارع! لا! الحقيقة، يا لويـزة، هي أنني أقتدي بالقدرة التي صنعتها أنت، ستكونين معلمتي. المجانين وحدهم هم الذين يتمسكون بالحب الأبدي. إن الرتوب الدائم ينقر، والتغيير هو وحده ملح اللذة. هاك رأيي، يا لويـزة! سنجري من قصة إلى قصة، وسنمضي من مأزق إلى مأزق: أنت من جانب، وأنا من جانب آخر، وربما سأسترد راحتي في مكان سيء، راحتي المدمرة.

وربما نلتقي معا في حفلة ترفيهية فيما بعد، في مفاجأة
لذيذة جدا، وقد رد كل واحد منا إلى الآخر بعد عشرين
مغامرة، وهنالك سيتعرف هذان الهيكلان العظميان
كلاهما الآخر، كما في خاتمة مسرحية كوميدية، مع شعور
بالألفة لا يستطيع أي ابن لهذا الجنس الفاسد أن ينكره،
وسنكتشف أنه يمكن أن يقوم بين الغنيان والعار انسجام
لم يستطيع الحب الحنون أن يصل إليه .

يا أيها الشاب! يا أيها الشاب! ها أنت بائس، أو تريد
أيضا أن تكون مستحقا لهذا البؤس؟

لويزة

(غاضبا، يقول من بين أسنانه) أنا بائس؟ من قال
لك هذا؟ أنت انحططت إلى درجة تكفي لتجعلك
لا تشعرين، فأنتي لك أن تحكمي على شعور الآخرين؟
أنا بائس، تقولين أنت؟ آه! هذه الكلمة يمكن أن توظف
غضبي، حتى لو كنت في قبوري . لا بد أنني بائس : إنها
تعرف ذلك، موت وإدانة، إنها تعرف ذلك، ولكنها مع
ذلك خانتني! ألا ترين، يا غادرة؟ لقد كانت هذه
فرصتك الوحيدة للصفح عنك . هذا الاعتراف هو الذي
ينطق بالحكم عليك . حتى الآن كان في وسعي أن أعزو
هذه الخطيئة إلى جهلك، لقد كان في وسعي حينئذ أن
تفleti تقريبا من انتقامي، بواسطة الاحتقار . . (فجأة
يمسك بالكوب) لم يكن ذلك إذن نزقا، لم يكن حماقة،
لقد كنت إذن روحا من أرواح الجحيم . . . (يشرب) إن
عصير الليمون هذا ماسخ مثل روحك « تذوقيه» .

فردنيند

لويزة يا للسماء! لم يكن بغير سبب كوني قد خشيت من هذا المنظر.

فردنيند (بلهجة قاطعة أمرة) تذوقيه!

(لويزة تأخذ الكوب آسفة وتشرب . فردنيند يشيح بوجهه حين ترفع هي الكوب إلى شفتيها ، يشحب لونه ، وينسحب فجأة إلى ركن الغرفة) .

لويزة عصير الليمون جيد .

فردنيند (دون أن يلتفت ، وهو يرتجف) هنيئا!

لويزة (بعد أن وضعت الكوب على المنضدة) آه! لو عرفت ، يا فالتز ، كم أنت تهين قلبي!

فردنيند ماذا؟

لويزة سيأتي زمان ، يا فالتز . . .

فردنيند (عائدا إلى مقدمة المسرح) لم يعد لنا شأن بالزمان ، هكذا يلوح لي .

لويزة في مساء هذا اليوم يمكن أن يكون ثقيلا على قلبك .

فردنيند يبدأ في المشي بخطوات واسعة ويصير أكثر قلقا ، يرمي بعيدا بإيشاربه وسيفه) : وداعا يا خدمة الأمراء! (*)

لويزة يا إلهي! ماذا بك؟

* إنه برميه للإيشارب والسيف يعلن استقالته من خدمة الدوق ، بوصفه ضابطا في جيشه . ودان الإيشارب يربط على الذراع كعلامة على الضباط الذين في خدمة الدوق .

فرد نیند

إني ألتهب وأختنق . أريد أن أستريح .

لويزة

اشرب! اشرب! هذا الشراب سينعشك.

فردنیست

نعم، بدون شك. إن للمومس قلبا طيبا. لكنهن جميعا
سواء.

لوزية

(ترمي بنفسها بين ذراعيه ، وفيها تعبير عن الحب) أهكذا تخاطب (حسبك) لوزية ، يا فردنند؟

فردیند

(يدفعها عنه) اذهبي! اذهبي! سحقاً لهذه النظرات
الحنونة! إني أترنج. تعالي في رعبك المخيف، أيتها
الأفعى! افقزي أمامي، يا زاحفة! أدير رأس عقدك
المروعة! صوّبي حلقاتك نحو السماء؟ متوحشة كما
تجلبت لهاوية الجحيم، لكني لا أريد أن أرى الملاك.
لا ملاك الآن. فات الأوان، لا بد لي أن أسحقك مثل
أفعى، وإلا سقطت في هاوية اليأس. رحماك!

لويزة

أوه! أوصلنا إلى هذا الحد!

فرہ فریاد

(متطلعا فيها عن عرض) هذا العمل الجميل الذي نحته
نحات سماوي! من ذا يستطيع أن يصدق هذا؟ من يجب
عليه أن يصدق هذا؟

(يمسك يدها ويرفعها نحو السماء) لا أريد أن أستدعيك إلى محكمتي، يا إلهي! لكن لماذا تضع سُمك في إناء جميل كهذا؟ هل يمكن الرذيلة أن تنمو وترعرع في جو جميل مثل هذا؟ أوه! هذا غريب.

لويزة

أنا أسمع هذا وأنا مضطرة إلى السكوت!

فردنيند

وهذا الصوت الحلو الموسيقي! أنى للأوتار المكسورة أن تصدر عنها نغمات جميلة كهذه؟ (يتأملها بعين سكرى من الحب) كل شيء فيها جميل، حسن التناسب، كامل كما لا إلهيا! لا شيء فيها ليس علامة على تفضيل الخالق لها! بحق السماء! لكن هذا الكون الفسيح لم ينشأ إلا من أجل أن يستطيب العلي القدير تكوين هذا العمل الرائع العظيم! وكأن الله لم يخطيء إلا بالنسبة إلى الروح؟ هل من الممكن أن يكون وحش فظيع قد دخل في هذا الجسم الخالي من كل عيب؟ (يتبعد عنها فجأة) أو هل رأى أن ملاكا قد تولّد تحت إزميله، وبسرعة شديدة صحح خطأه، بأن أعطاها قلبا أشد سوءا؟

لويزة

أوه! ياله من عناد آثم! بدلا من أن يعترف بأنه مخطيء في إصدار حكم متسرع متهور، يفضل أن يتناول على السماء.

فردنيند

: (يرتمي على جيدها وهو يبكي بكاء مُرا) مرة أخرى يا لويزة! مرة أخرى، كما في يوم أول قبلة، حينما تمتمت باسم فردنيند وجاء على شفتيك المشبوبتين أول نطق بالضمير أنت* أوه! لقد لاح أن تلك اللحظة احتوت على بؤرة مسرات لا نهاية لها ولا يبلغ مداها التعبير مثلاما

* في صيغة المفرد المخاطب، وهو ما يحدث حين ترتفع التكاليف بين الخبيب والحبيبة.

يحتوي البرعم على الزهرة! إن الأبدية كانت ماثلة
هناك أمام عيوننا كيوم جميل في شهر أيار، إن قرونا
ذهبية قد مرت آنذاك أمام روحينا، كجوقة من
العرائس الشابات. حينئذ كنت سعيدا بين السعداء!
أوه! يا لوزية، يا لوزية! لماذا فعلت هذا معي؟

ابك، ابك يا فالتر! إن الملك سيكون أعدل نحوي من
غضبك.

لوزية

أنتِ مخطئة هذه ليست دموع ألم. إنها ليست ذلك الندى
الشهواني الذي يسيل كبلسم على جراح القلب ويحرك
العجلات المتحررة للنفس الحساسة. إنها قطرات باردة
تساقط الواحدة بعد الأخرى. إنها الوداع الرهيب الأبدي
لقلبي (بجدّ مروع تاركا يده تسقط على رأس لوزية). إنها
دموع أسفحها على روحك، يا لوزية! على الألوهية التي
جاء إحسانها اللامتناهي وسقط هنا وسلب منه عن
طيب خاطر أجمل أعماله. أوه! يلوح لي أنه يجب على كل
الخلقة أن تلبس ثوب الحداد وتصاب بالذهول من هذا
المثل المعطى بينها. إنه لأمر عادي أن يسقط الناس، وأن
تفقد فراديس، لكن حينها يطغى الطاعون بين الملائكة،
فلا بد من إعلان الحداد في كل الطبيعة.

فردنيند

لا تدفعني إلى النهاية، يا فالتر! عندي من قوة النفس
بمقدار ما عندك، ينبغي أن تكون المحنة ذات طابع
إنساني. يا فالتر، كلمة أخرى وبعد ذلك فلنفترق. إن

لوزية

مصيرا مروعاً قد ألقى بالتشويش في لغة القلوب . لو
سُـمِـح لي بفتح فمي يا فالتر، لاستطعت أن أقول لك
أشياء . إن هذا في وسعي ، لكن القدر القاسي المحتوم قد
عقد لساني كما قيد حبي ، ولا بد لي أن أحتمل ، أن
تعاملني كما لو كنت أحسن المخلوقات .

كيف حالك ، . يا لويـزة؟

فرديند

لماذا هذا السؤال؟

لويـزة

لأنني سأحزن لحالك لو أن عليك أن ترحلي من هنا وعلى
ضميرك أكذوبة .

فرديند

أستحلفك يا فالتر. . .

لويـزة

(تظهر عليه علامات اضطراب عنيف) لا، لا! هذا
الانتقام سيكون ذا شيطانية زانية! لا! اللهم احفظني
من هذا، لا أريد أن أسوق الانتقام حتى العالم الآخر. .
يا لويـزة، هل أحببت مدير البلاط؟ لن تخرجي من هذه
الغرفة .

فرديند

اسأل ما بدا لك : أنني لن أجيب بعد . (تجلس)

لويـزة

(بلهجة أكثر جدية) فكري في روحك الخالدة يا لويـزة!
هل أحببت مدير البلاط؟ لن تخرجي من هذه الغرفة .

فرديند

لن أجيب .

لويـزة

فردنيند (في حال من الاضطراب الرهيب، يرتقي على قدميها)
يا لوزية! هل أحببت مدير البلاط؟ قبل أن ينطفئ هذا
النور، ستمثلين أمام الله!

لوزية (تقف واثبة وهي في غاية الخوف) يا يسوع! ماهذا؟ إنني
أشعر بأني في حالة سيئة جدا (تسقط إلى الورا على
كرسيها)

فردنيند لقد حدث؟ أوه! النساء! يا هن من لغز أبدي! إن
أعصابهن الرقيقة تقاوم، دون أن تتحطم، جرائم تنخر
في الإنسانية حتى جذورها، ومع ذلك فإن حبة من
الزرنخ تجند هن.

لوزية سم! سم! ياربي، يا إلهي!

فردنيند هذا ما أخشاه. إن عصير الليمونك قد تتوبل في الجحيم.
إنه نخب أنت شربتيه في صحة الموت.

لوزية الموت! الموت! يا إلهي، رحمتك اللا متناهية! سم في
عصير الليمون وموت! أوه! ارحم روحي يا إله
الرحمة!

فردنيند : تلك هي النقطة الرئيسية. وأنا أسأله أيضا نفس
الرحمة.

لوزية ثم أمي، وأبي... يا منجي العالم! أبي المسكين، لقد
قُضي عليه! ألا سبيل للنجاة؟، حياتي الشابة...
ولا أمل في النجاة؟ وهل يجب الرحيل في هذه السن؟

فردنيند : لا أمل في النجاة ، لأبد من الرحيل . لكن كوني مطمئنة .
سنسلك نفس السبيل معا .

لويزة وأنت أيضا ، يا فردنيند! السم ، يا فردنيند! منك أنت!
يا إلهي ، سامحه ، يا إله الخير ، اغفر له هذه الخطيئة .

فردنيند فكري في حسابك أنت . أخشى أن يكون في حالة
سيئة .

لويزة فردنيند ، فردنيند! أوه! الآن لا أستطيع السكوت .
الموت . . . الموت يبدد الأقسام* فردنيند! ليس في
السماء وعلى الأرض من هو أبأس منك . إني أموت بريئة
يا فردنيند!

فردنيند (مرتاعا) ماذا تقول؟ ليس من العادة أن يحمل المرء
أكذوبة لهذه الرحلة!

لويزة إني لا أكذب ، إني لا أكذب . إني لم أكذب في حياتي إلا
كذبة واحدة! آه! أية قشعريرة باردة تسري في عروقي!
حينما كتبت تلك الرسالة إلى مدير البلاط . . .

فردنيند : آه! هذه الرسالة! الحمد لله! إني أستعيد كل ثباتي .

لويزة (بثقل لسانها ، وتأخذ أصابعها في الاهتزاز بعنف) هذه
الرسالة . . . استعد لسماع كلمة رهيبة . إن يدي كتبت
ما كان يستنكره قلبي . . . إن أباك هو الذي أملاها .

* جمع قَسَم ، أي حلف أو يمين .

فردنيند (بلا حراك كأنه تمثال ، يبقى مغروسا في الأرض ، وبعد صمت طويل كصمت الموت ، يسقط فجأة كما لو كانت نزلت عليه صاعقة) .

لويزة أوه! الغلطة الفادحة! يا فردنيند! لقد أرغموني ساعني إن لوبزتك كانت تفضل الموت ، لكن أبي . . . والخطر . . . لقد أتقنوا المؤامرة .

فردنيند (ينهض غاضبا) الحمد لله! إنني لا أحس بعد بالسم .
(يستل سيفه بعنف) .

لويزة (تخور أكثر فأكثر) يا للهول! ماذا تريد أن تفعل؟ إنه أبوك . . .

فردنيند (وعلى وجهه سيما أشد الغضب) قاتل ووالد قاتل! لا بد أن يأتي معنا ، كيلا يمارس حاكم العالم غضبه إلا على الجاني (يريد أن يخرج)

لويزة إن مخلصي* قد غفر وهو يموت . عفا (الله) عنك وعنه (تموت)

فردنيند (يتلفت بسرعة ، فيلمح الحركة الأخيرة في نزعها الأخير ، ويسقط وقد أبهظه الألم بالقرب من المتوفية) توقفي! توقفي! لا تغلتي مني يا ملاك السماء! (يمسك يدها ثم

* السيد المسيح الذي قال وهو على الصليب: «يا أبي! اغفر لي فإنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (إنجيل لوقا ٢٣ : ٣٤) .

يدعها تسقط بسرعة) باردة، باردة، ورطبة! لقد طارت روحها! (ينهض واثبا) يا إله لوزيتي! اللطف! اللطف بأبغض القاتلين! كان هذا دعاءها الأخير! كم هي فاتنة وجميلة، حتى في الموت! إن ملاك الموت، وقد رثى لها، قد مر بهدوء على هذه الحدود المحبوبة. هذه العذوبة لم تكن قناعا، لقد قاومت الموت نفسه (بعد وقفة) لكن كيف؟

لماذا لم أشعر أنا بشيء؟ هل أرادت قوة شبابي أن تنقذني؟
تعب لا فائدة منه! ليس هذا رأيي.

(يمسك بالكوب)

المنظر الثامن

فردنيند، الرئيس، فورم، والخدم (وقد تدافعوا جميعا إلى الغرفة وهم مملوون فزعا، وبعد ذلك) ملر وناس من عامة الشعب، وضباط عدالة (يتجمعون في الزاوية)

الرئيس (وفي يده الرسالة) يا بني، ماهذا؟ لا أريد أن أصدق . . .

فردنيند (يرمي بالكوب عند قدميه) كما ترى، أنا قاتل!

الرئيس (يتراجع وهو يترنح؛ الكل في غاية الذهول، صمت رهيب) يا بني! لماذا فعلت هذا؟

فردنيند : (دون أن ينظر إليه) نعم! لا شك في هذا. لقد كان من الواجب عليّ أن أستمع إلى رجل الدولة، كيما أعلم هل هذه الضربة تتوافق مع لعبته؟ وإني أعترف بأن هذه كانت حيلة بارعة رائعة لقطع الرابطة التي تربط قلوبنا عن طريق الغيرة. والحساب كان صنعة معلم. لكن، من الأسف أن الحب وهو غاضب لم يستجب بسهولة لخيوطك كما تستجيب دمية الخشب*.

الرئيس (يجيل نظراته المرتاعة في كل الحاضرين) أليس هنا أحد يبكي على والد لا يمكن تعزيته؟

* تشبيه بلعبة العرائس (الماريونيت).

ملر (صارخا وراء خشبة المسرح) دعوني أدخل ، إن كنتم
تحبون الله ! دعوني أدخل !

فردنيند هذه الفتاة قديسة ! لغيري أن يدافع عنها . (يفتح الباب
للمر الذي يندفع في الغرفة هو الناس ورجال العدالة) .

ملر (وهو في أشد حالات الجزع) يا بنتي ، يا بنتي ! سُمّ ،
يصرخون أنه حدث تناول سم هنا . يابنتي ، أين أنت ؟

فردنيند (يقتاده إلى مابين الرئيس وجثة لويضة) إني بريء . اشكروا
لهذا .

ملر (يسقط بالقرب من الجثة) آه ! يايسوع !

فردنيند سأقول كلمات قليلة ، يا أبي . لقد بدأت الكلمات
تكتسب ثمنا عندي . إن الحياة قد سُلِّيت مني على نحو
شرير ، سلبت بواسطتك أنت ! كيف سأمثل أمام الله ؟
إني أرتعد من هذا . ومع ذلك فإني لم أكن أبدا شريرا ،
ومهما يكن حكم الأبدية عليّ فأرجو ألا تسقط عليك
أنت . لكنني ارتكبت جريمة قتل (بصوت قوي مخيف)
جريمة قتل لن تطالب من أجلها أن أمثل أمام قاضي
العالم ! إني أُلقي عليك أنت المسئولية عن الشطر الأكبر
والأبشع فيها ، كيف تبريء نفسك منها ، هذا ما عليك
أن تقوم به . (يقتاده نحو جثة لويضة) تعال ، أيها
المتوحش ، تعال واستمتع بالثمرة المروعة لبراعتك . إن
سكرات الموت قد كتبت اسمك على هذا الجبين ،

والملائكة الموكلون بالتعذيب سيعرفون جيدا . أن يقرؤوه .
وإن شبعا على صورتها سيأتي حين تنام ويسحب ستائر
سريرك ويريك يدها المتجمدة . وشبح على صورتها
سيقف أمام روحك حينما تموت وينبذ من السماء آخر
دعواتك ، وشبح على صورتها سيقف على قبرك حين تقوم
منه ، وسيكون بالقرب من الله حين يحاسبك .

(يغمى عليه والخدم يسندونه)

(بتأثر بالغ ، يرفع يديه نحو السماء) يا قاضي العالم ،
لا تسألني أنا عن هذه الأرواح ، بل اسأل هذا الرجل
(يشير إلى فورم)

الرئيس

(مقاطعا) أنا؟

فورم

نعم أنت ، أيها الملعون ، أنت أيها الشيطان ! أنت الذي
أعطيتني نصائح الأفعى ، أنت المسئول . وأنا أغسل يدي
منها .

الرئيس

أنا؟ (يأخذ في الضحك ضحكا خفيفا) هذا مضحك ،
مضحك حقا ! الآن عرفت كيف أن الشياطين تشهد
بعرفانها للجميل ؟ أنا؟ أيها السافل الأحمق ، هل هو
ابني؟ هل كنت معلّمه ، أعليّ أنا تقع المسؤولية ! من هذه
الفكرة أحس بأن نخاع عظامي يتجمد ، أنا المسئول عن
هذا؟ ليكن ، أريد أن أهلك ، ولكن وأنت معي . هيا !
هيا ! ليناادي المنادي في كل الشوارع بحدوث جريمة

فورم

قتل، وليوقظ القضاة. يارجال العدالة، قيدوني بالسلاسل، واقتادوني إليهم، سأكشف لهم عن أسرار إذا سمعوها وقفت شعورهم على رءوسهم.

(يحجزه) لن تفعل هذا يا فورم؟

الرئيس

(مربتا على كتفه) سأفعل هذا يا صاحبي، سأفعله. صحيح أن هذا جنون، لكن الذنب ذنبك أنت، إذا كنت الآن أتصرف تصرف إنسان مجنون سنذهب إلى المشنقة وذراعانا متعانقتان، وإلى الجحيم وذراعانا متعانقتان، هذا سيسليني، أيها الوغد، أن يحكم عليّ بالإعدام معك. (يقتادونه)

فورم

(الذي كان طوال هذا الوقت حانيا رأسه على جثة لويزة وهو مستغرق في ألم صامت، ينهض فجأة ويرمي بكيس النقود عند قدمي الرائد) يا من دسست السم، خذ ذهبك اللعين. أردت أن تشتري مني دم ابنتي؟ (يندفع خارج الغرفة).

ملر

(بصوت يعالج سكرات الموت) إنه يائس، اتبعوه واعطوه هذا الذهب. هذا دين رهيب! يا لويزة! يا لويزة! أنا آت. وداعا، دعوني أمت بالقرب من هذا المذبح.

فردنيند

(وهو يخرج من الغرفة مذهولا) يا بني، فردنيند، ألا تلقي بنظرة على والد مصعوق؟

الرئيس

(يوضع فردنيند بالقرب من لويزة)

فردنيند

هذه النظرة الأخيرة هي من حق الله الرحيم .

الرئيس

(يسقط على قدميه وعليه سياء ألم بالغ) الخالق
والمخلوقات كلهم يتخلون عني ! ألا أحصل على نظرة
لعزائي الأخير؟ (فردنيند يمد إليه يدا في النزاع الأخير.
الرئيس ينهض واقفا . لقد غفر لي ! (مخاطبا الآخرين :)
والآن أنا مسجونكم .

(يخرج مصحوبا برجال العدالة)

«النهاية»

مكتبة سواد الأريكة
www.books4all.net

لا مزاج في الحب

تأليف: ألفريد دي موسيه

ترجمة وتقديم: نور الدين خضور

مراجعة: د. جلال حافظ

العنوان الأصلي للمسرحية

On ne badine pas avec l'amour

By

Alfred Musset

تقديم*

فن صالوني : المثل المسرحي

نشأته في القرن السابع عشر

تفسر الحياة الاجتماعية الزاهية ، في نهاية فترة حكم الملك الفرنسي ، لويس الثالث عشر ، ولادة المثل المسرحي الذي لم يكن ، في الأصل ، سوى تسلية من تسليات متتديات الطبقة الراقية ، على شكل مسرحية قصيرة مرتجلة ، وهي في الغالب ملهاة بطبيعة الحال تمثل في الصالون نفسه ، وتقوم حبكتها البسيطة عامة على قول مأثور . وهناك سببان ساهما في نجاح هذا اللون الخفيف . فمن جهة ، كانت الكوميديا ذات حظوة عند رجال الصالونات من علية القوم . ومن جهة أخرى ، فإن الأمثال السائرة والحكم كانت رائجة جداً ، وتقترن موزعتها بموضة ألعاب المجتمع من أحجيات وألغاز ، حيث يفترض بالمرء أن يكتشف (الكلمة) . وهنا تستمر الحزورة (الفزورة) غالباً فصلاً ، والكلمة مثل سائر . بيد أن الأهمية التي أخذها البلاط إبان فترة حكم لويس الرابع عشر ، وروعة التسليات الملكية قد أضرت بعض الشيء بالحياة الاجتماعية الباريسية بحيث لم تعد الألعاب تنظم ، ولا الأمثال تمثل على وجه الخصوص إلا في الريف .

* عن المقدمة المصاحبة للنص الأصلي (طبعة بورداس)

تطوره في القرن الثامن عشر

على الرغم من أن الملهة كانت تمثل على بعض المسارح الخاصة في مطلع القرن الثامن عشر، فإن المثل المسرحي يبدو لنا قد فقد بعضاً من مكانته . إلا أن المسارح الخاصة أخذت في التكاثر في النصف الثاني من ذلك القرن حتى الثورة الفرنسية . إنها لم تعد مقصورة على القضاة وأرباب المال فحسب ، بل أصبحت ملكاً مشاعاً للأدباء والبرجوازية الكبيرة والصغيرة ، حتى صار لكل واحد منهم مسرحه الصغير .

من أشهر كاتبي الأمثال المسرحية ، في هذه الفترة كارمونتيل . وقد لاقت أمثاله ، رغم هزيل أحداثها وتافه لغتها رواجا كبيرا حث العديد على تقليده ، نذكر منهم في روسيا الإمبراطورة كاترين التي ألقت بعض الأمثال . لكن المثل المسرحي أخذ يفقد أصالته كمسرحية قصيرة تمثل في الصالونات إذ أدرج في قائمة مسارح الجادات ، لما كانت في أوج شهرتها . وبينما هو يتخلى عن طابعه الارتجالي الخفيف والسريع ، قامت الثورة الفرنسية فأوقفت تطوره .

في القرن التاسع عشر قبل موسيه

بين عامي ١٨٢٠ و ١٨٣٠ تشيع أمثال تيودور لوكلاك ، وهو رجل فطن اجتماعي ، على حد قول سانت بوف الذي أبرز في مقالة كتبها لإحدى الصحف الجوانب الهامة للمؤلف ، وهي أولاً اتساع إطار المثل المسرحي ، وثانياً الهدف النقدي إذ يشن الكاتب حرباً جذلة ، ساخرة ، لاذعة على المرائين ، والدجالين ، والواعظين . هل يمكن أن يطمح المثل إلى أبعد من ذلك ؟ نعم ، في نظر ألفريد دي فيني . إلا أنه ما لبث أن أدرك خطأه حين عرض مثله

المسرحي «مجرد خوف» في دار الأوبرا، فالجمهور لم يفهم النقد الفلسفي الذي تنطوي عليه المسرحية، ولا القضية الاجتماعية التي تطرحها، عل كل حال، تثبت لنا هذه المحاولة رواج المثل المسرحي في تلك الحقبة. وقد استخدم موسيه عبارة المثل للمرة الأولى عام ١٨٣٤، عندما نشر «لا مزاح في الحب» في مجلة «العالمان». وهو بهذا كما تقول ماجوري شو إنما يساير الموضة، فهذه الكلمة تعني للقارئ مسرحية قصيرة، خفيفة، مسلية، سهلة الفهم، حيث إن المغزى الأخلاقي يتجلى بوضوح في المثل.

موسيه

إن المثل المسرحي، كما كان يراه كارمونتيل أو لوكلارك، لم يتحقق عند موسيه إلا بعد مسرحية «لورانزاتشيو». أما بالنسبة إلى «لا مزاح في الحب» فلا يسعنا إلا أن نقبل برأي ماجوري شو: «لا شيء هاهنا يذكرنا بمثل كارمونتيل ولوكلارك. فثمة العديد من الشخصيات، وهناك مواقف يصعب تمثيلها على مسرح مرتجل، وتغيرات في الديكور يقدر المرء أن يتصورها بسهولة عند القراءة، لكنها قد تحتاج إلى إخراج أكثر تنوعاً من ركن صالون. إضافة إلى كل هذه الاعتبارات التقنية، هناك، في الواقع، ذلك الجو لعالم خيالي... ثم إن النهاية المأساوية المعبر عنها ببضع كلمات... تفصل المسرحية نهائياً عن المثل».

في الواقع، وحتى دون أن نختار «لا يجب التكهن بشيء» حيث وجد المثل المسرحي، بلا ريب رائحته إذ تحول إلى ملهاة حقيقية، يكفي كي نبدي رأينا في أصالة وتفوق موسيه، أن نقرأ نص مثل قصير يقترب باقتضابه ذاته وبساطة إخراجيه، من المفهوم الأول لهذا الفن الخفيف، وهو

«يجب أن يكون الباب إما مفتوحاً أو مغلقاً». هذا المثل يمكن أن يمثله هواة في الصالون نفسه، ولقد مُثِّل هكذا مرات عديدة: شخصان قرب النار. . . . مكاشفة بالحب. . . طلب زواج يتأخر أوانه. . . . وباب يفتح أو يغلق حسب الظروف. إن فصل موسيه هذا ينبض بروح شاعر، وهنا يكمن الخلاف بينه وبين كارمونتيل، ولوكلارك.

من هو موسيه؟

الابن الضال للرومانسيين

ولد ألفريد دي موسيه في باريس عام ١٨١٠، وكان لا يزال على مقاعد الدراسة حين بدأ يكتب الشعر. وإن كان قد باشر دراسة الحقوق، والطب، والموسيقى، والرسم، فلم يلبث أن تخلّى عنها لأن الأدب وحده كان يثير اهتمامه. حتى إذا كان عام ١٨٢٨ انضم إلى الندوة الرومانسية، فنشأت علاقة صداقة بينه وبين الشاعر فينيي والناقد سانت بوف، وقد أعجب ببراعة فيكتور هوغو، وسرعان ما أصبح بفضل فيض موهبته الابن العبقرى للرومانسيين. بيد أن مؤلفه «حكايات من إسبانيا وإيطاليا» (١٨٣٠) يكشف عن فتازية* مفرطة ساخرة، مما أثار قلق أصدقائه. ففي الواقع أن هذا الإعجاب بالفن الكلاسيكي، وهذه السخرية من شطط الرومانسيين اللذين نشاهدتهما في قصائده (١٨٣٠-١٨٣٢) يضعانه على هامش المدرسة الجديدة.

في عام ١٨٣٢ توفي والده وقد كان لذلك وقع أليم في نفسه، هذا إلى أنه أصبح مضطراً لتحصيل رزقه، فنشر «مشهد في مقعد» الذي يضم، بالإضافة

* فتازية : وهي مستعملة في العامية وتعني هنا «خيلة مبدعة متحررة من كل القيود».

إلى «نامونا» ، دراما «الكأس والشفقتان» ، وملهاة «ما تحلم به الفتيات» . وكلها مسرحيات نشرت ولم تمثل ، فالحقيقة أن موسيه منذ فشل مسرحيته «ليل البندقية» . (١٨٣٠) أصبح يكتب من أجل القراءة وليس من أجل المسرح . وقد نشرت له مجلة «العالمان» عام ١٨٣٣ ، «آندريه دلسارتو» و «نزوات ماريان» ، وفي عام ١٨٣٤ نشر «فتنازيو» ، و«لامزاح في الحب» ، و«لورانزا تشيو» وهي إحدى روائع الدراما .

شاعر الآلام العظيمة

كان موسيه قد حقق لتوه نجاحاً باهراً عقب نشره لقصيدته «رولا» حين أغرم بالأديبة جورج صاند (١٨٣٣) . وبعد فترة من تساقى كؤوس الهوى في قصر فونتانبلو ، أرادا أن يكرسا جبهما الرومانسي برحلة إلى إيطاليا . بيد أن خيبة الأمل كانت سريعة . ففي البندقية عام ١٨٣٤ ، أصيب الشاعر بمرض شديد ، فاعتنت به جورج صاند كل العناية ، غير أنها خانتها مع طبيبه باجيلو . وقد عاد موسيه وحيداً إلى باريس ، ومن هناك راح يتبادل معها رسائل يلوح فيها أنه يسامحها على فعلتها . وبعد أربعة أشهر تعود جورج صاند بدورها : ومن آب ١٨٣٤ حتى آذار ١٨٣٥ تشهد حياتهما سلسلة متتابعة من الصلح والخصام الشديد حيث يبدو لنا أن غيرة موسيه العصبية ، التي أججها إفراطه في تعاطي الخمر ، قد لعبت دوراً كبيراً . هذه المغامرة ، وهذا القلق الذي يعتل في نفس موسيه المضطربة سيظهران في رواية «اعترافات فتى العصر» (١٨٣٦) .

لقد أدرك موسيه منذ البدء أن منبع الوجدانية الحق يكمن في ميول القلب ، لكن حبه الشقي لجورج صاند أسهم في إنضاج عبقريته . وإن لم يكن الدافع

المباشر لجميع روائعه، فإننا مدينون لهذا الحزن العظيم على الأقل بصدق «الليالي» و«رسالة إلى لا مارتين» و«ذكرى».

وما بين عامي ١٨٣٥-١٨٤٠، وهي فترة من أخصب فترات حياته، نشر موسيه أيضا عددا من الكوميديات: «باربرين» (١٨٣٥)، «الشمعدان» (١٨٣٥)، «لا يجب التكهن بشيء» (١٨٣٦)، وبعض القصص والقصائد الهجائية.

السقوط

في الثلاثين من عمره أصيب موسيه، وقد هدّته المتع الحسية والخمر، بمرض القلب. بين الفينة والأخرى كان ينشر بعض القصص والكوميديات، مثل «يجب أن يكون الباب إما مفتوحا أو مغلقا» (١٨٤٥)، «كارموازين» (١٨٥٠). وقد أصبح عام ١٨٥٢ عضوا في الأكاديمية، غير أن قريحته الشعرية كانت قد نضبت منذ أمد بعيد، ومات منسيا عام ١٨٥٧. وليس أدل على مصيره التعيس من تلك القصيدة التي كتبها عن نفسه، منذ عام ١٨٤٠، ونشرت فيما بعد تحت عنوان «كآبة».

«لقد فقدت قوتي وحياتي،

وأصدقائي وبهجتي،

لقد فقدت حتى الأنفة

التي كانت تجعل الناس يؤمنون بعقبرتي

لما عرفت الحقيقة

ظننت أنها صديقة

لما فهمتها ووعيتها

اشمأزت نفسي منها .

إلا أنها أزلية

والذين صدفوا عنها

قد جهلوا كل شيء في هذه الحياة الدنيا

الله يتكلم ، يجب علينا أن نجيبه

الشيء الوحيد الذي يبقى لي في هذا العالم

هو أني بكيت أحيانا» .

مسرح موسيه

بعد فشل «ليل البندقية» لم يهجر موسيه الفن المسرحي ، بيد أن المسرحيات التي نشرها في «مشهد في مقعد» ، ثم في «كوميديات وأمثال» كانت مكتوبة من أجل القراءة وليس من أجل العرض . فأصبح في مقدور موسيه ، وقد تحرر من قيود المسرح ، أن يطلق العنان لفتازيته ، ويخاطب الخيال والحلم ، إنه يكثر من المشاهد المحددة بإيجاز: صالون ، غابة ، شارع ، نبع ، ويجري الحدث في إيطاليا ، وبافاريا ، وهنغاريا ، بل «حيثما شاء المرء» ! أما الحكمة فهي تستطيع - على هواها - أن تنفجر ، وتنبسط ، وتتعدد أو تتخطى المراحل برشاقة . هذا إلى أن الكاتب يمزج بين الأنواع ، ويصور لنا نفسه في أعماله فيحدثنا عن ميول قلبه ، وتجربته المريرة أحيانا ، كل شيء مباح له ، غير أنه يتصرف بدراية كبيرة .

مسرحياته الدرامية

إن «المشهد» (١٨٣٣) يفتح عن «الكأس والشفستان»، وهي قصيدة درامية من خمسة فصول تدور حول شخصية فرانك الذي يعتبر نموذجاً حياً للبطل الرومانسي. ثمة يأس غامض يملكه، وهو ناغم على المجتمع وعلى الله، مما يجعله غاية في الأنانية، تتحكم به غريزته العمياء، لا المجد ولا الغنى سيجعله سعيداً، لأنه لا يزال يحن إلى البراءة التي فقدتها، وحينها يعتقد أنه سينهل من كأس السعادة، إذا بالقدر يحطمها بين يديه.

أما «لورا نراتشيو» فهي الدراما الرومانسية الوحيدة الجديدة أن تقابل بمسرحيات شكسبير. إنها مأساة لورانزو، قاتل الطاغية ألكسندر من جهة، ولوحة كبيرة تاريخية تمثل فلورنسا في القرن السادس عشر من جهة أخرى. وهي تطالعنا عبر مشاهداتها التسعة والثلاثين - مواقع أثرية شهيرة، حدائق، شوارع، كنائس، قصور - بحشد من الشخصيات من جميع الفئات، بأهوائها الوضيعة، وطموحاتها السامية. يالللإحياء بالحياة النابضة! يا للصبغة الواقعية المتأتية من اختيار فطن وموحٍ للوثائق الهامة!

مسرحياته الكوميدية

على توتر الدراما الشديد، يفضل موسيه الكوميديا حيث تفتح عبقريته الفياضة بأناقة ورشاقة. ونحن حيال تشكيلة جد متنوعة: أحاديث صالون عادية (نزوة)، يجب أن يكون الباب إما مفتوحاً أو مغلقاً)، أمثال (يجب عدم التكهن بشيء)، حبكات أكثر تعقيداً (فتازيو، باربرين، الشمعدان) مسرحيات تتراوح بين الكوميديا والدراما (نزوات ماريان، لا مزاح في الحب).

في هذه المسرحيات تتجلى فتازية موسيه وعاطفيته في أعظم صورهما . إن شخصياته تنقسم إلى عائلتين : الشخصيات الهزأة من جهة ، وهي دمی تشير السخرية ببلاحتها وميولها الوضيعة ، ومن جهة أخرى الشخصيات الرئيسية ، وهي ذكية ، كريمة الشائل ، مرهفة الحس ، مشغولة بشؤون القلب . فالموضوع الأزلي هو قطعا الحب بألوانه المتعددة .

شعور في أول تفتح ، عاطفة قوية وأحيانا أليمة ، أو نزوة عابرة . إن عشاق موسيه أشخاص عفويون ، يتمتعون بمشاعر بسيطة لا تعرف الغش ولا الخداع ، فدلالهم وحتى قسوتهم ما هما إلا رد فعل طبيعي لحب لا يعي ذاته ، أو يشعر بدهشة ساذجة حين يلقي مقاومة . وبالإضافة إلى المشاهد المضحكة ، تساهم نزوات الحب أيضا في مزج الفتازية بالعاطفة ، بيد أن الدعابة تنقلب فجأة إلى مأساة أحيانا .

من ناحية أخرى تتميز كوميديات موسيه بغنائيتها وبعدها الإنساني . إن أحداثها الخيالية غالبا ، تجري في عالم مثالي . ومع ذلك فنحن متأثرون للغاية ، ويتولد لدينا انطباع أن ما نراه هو عين الحقيقة . هذا لأن قلب هذه الشخص هو قلب موسيه نفسه ، وأن أبطاله يأملون ويتألمون مثله ، وبطلاته يشبهن النساء اللواتي عشقهن . وإن كانوا يهيمنون في تأملات في الحب ، ونفسية المرأة ، والحياة ، فهذا لأنهم يعبرون عن الحكمة المتحررة من الوهم لرجل خاض تجارب كثيرة . إن فراسة موسيه المرتبطة بتجربته الخاصة لفي غاية الدقة والتنوع .

فتازية خفيفة وعاطفة قوية ، شاعرية وذات بعد إنساني ، وهذا التوازن الدقيق القائم بين الخيال والحقيقة يؤمن لملاهي موسيه مكانا مرموقاً في المسرح الفرنسي .

أضواء على مسرحية «لا مزاح في الحب»

الحدث والبناء الفني

إن هذا الإلهام المتنوع الذي نراه حسب الظروف قريحة كوميدية، أو رهافة إحساس، أو عاطفة متأججة، ولكنه شاعري دائما، ويسر تبديل الديكورات، ولا مبالاة موسيه إزاء التمهيدات الظاهرة، وأخيرا هذا الموضوع الغني الذي يمزج الحدث بالمناقشة، كل هذه الخصائص تعطي المسرحية بناء حراً، نابضا بالحياة، يفتن النفس بقدر ما يدهشها. في أطروحته عن مسرح موسيه يرى لافوسكاد أن أصالة الإبداع المسرحي تقوم على عبقرية نزوة بناء الحدث: «يقبل مسرح الخيال الديكورات الأكثر تنوعا، والأكثر شاعرية، ويستخدم الأساليب المعروفة من غير أن يرضخ لها تماما، ويرضى في مزاجته بين الهزل والجد، بأغرب التشكيلات وأكثرها إثارة»، إن مزج الهزل بالجد من شأنه، في الواقع، أن يجتبر بعض المشاهدين، «فلا مزاح في الحب» مسرحية جادة تتحول إلى مأساة قاسية ذات نهاية مفاجئة، بينما يبقى الهزل التهريجي على الهامش. وهذا ما يعبر عنه الناقد فان تيغم حين يقول: «خلفا لما فعله في فتازيو، فإن موسيه يفصل هنا بوضوح بين العناصر الهزلية، والعناصر المأساوية أو الجادة. إن المشاهد الهزلية مرتبطة بوجود ثلاث أو أربع شخصيات، في حين يتنامى الصراع القائم بين بارديكان العاشق وكامي المتحاملة على الحب في مشاهد تتراوح لهجتها بين الوقار المرح والخطابة». على

أن هذا الفصل لا يؤثر، في حقيقة الأمر، على وحدة المسرحية . وثمة ثلاثة أسباب وراء ذلك . الأول يكمن في تنسيق الأحداث إذ هناك علاقة بين شغب المضحكين والحدث المسرحي الأساسي . إن قدوم بلازيوس وبلوش يعلن بشكل كاريكاتوري عن وصول باردىكان وكامي ، والزواج بين الشابين قد قرره البارون ، هذا إلى أن المنافسة بين بلازيوس وبريدان ستؤدي ، بعد مفارقات ممتعة ، إلى فتح باردىكان لرسالة كامى . أما السبب الثاني فهو أن تعارض العنصرين يضيفي بعداً آخر على المسرحية ، فالاهتمامات الوضيعة للشخصيات الهزأة ، وتفاهة تعليقاتها تعزل الشخصيات الأساسية في صراعها المميت . إن مأساة الكبرياء والحب شاهدها الوحيد الغباء البشري . أخيراً تمثل المشاهد الهزلية ، التي تكثر في الفصلين الأولين حيث يترابط الحدث الأساسي ، وقفات ضرورية : انفراج وترقب . فالمشاهد يضحك ضحكة شبه ميكانيكية ، ويتسلى للحظة بتكشيرات الدمى ، فإذا هو مستعد ليعيش ، باهتمام متجدد ، حدثاً نضج أثناء الفواصل الترفهية . على العموم ، فإنه شعور بغنى المسرحية وتنوعها ، فلاتشتت بالنسبة للذي يريد أن يسترسل إلى حركة الحدث في جملته ، ولا ضجر ونفاذ صبر . وهكذا فإن الفتنازية الساخرة للمشاهد الهزلية تقابلها الفتنازية الرومانسية للحدث الرئيسي ، وهي لا تسيء إلى التركيز الدرامي . ألا يتوجب علينا أن نعتبر كل ذلك ضرباً من الرومانسية؟ لنستمع للافوسكاد إذ يقول : «إننا نجد بعض الصبينة في لعبة الغميضة أو الاستغماية الجميلة التي يلعبها كل من باردىكان وابنة عمته . أحدهما يرقب حشائش تتحرك ، والآخر يختبئ خلف شجرة ، باردىكان يصادر ويقرأ رسالة كامى . . . » غير أنها صبينة شاعر ، ورقة ابتسامه شابة وسط قساوة المأساة . والحوادث المفاجئة التي

تطالعنا في الفصل الثالث ليست حرية أن تزعج إلا ناقدا متزمتا لأنها - وهذا ينسحب أيضا على السمات الرومانسية - تسير ضمن خط الحدث ذي الوحدة القوية المحفورة في نفس الشخصيات منذ البدء . كامى تعود من دبرها وبارديكان من جامعته . ثمة وحدة زمن شبه كلاسيكية ستحكم مسيرة الحدث : ففي غضون الأيام الثلاثة التالية ، تفارق روزات الحياة ، ويفترق بارديكان وكامى إلى الأبد .

إن دراسة تطور الحدث تظهر لنا بساطته : الشخصيات تفاجأ في لحظة اختيار ، رفض كامى عن سابق تصميم ، يخلق المأساة ، خيبة أمل بارديكان تدفعه نحو روزات ، الغيرة الخفية لكامى ورغبتها في أن تقف على حقيقة مشاعرها تقودان إلى مشهد النبع : وهي مجابهة تنتهي بالفشل ويمكن أن تكون خاتمة . بيد أننا نشعر أن كل شيء لم ينته بعد ، رسالة كامى ما هي إلا حيلة رومانسية ، غير أنها تبدو مقنعة بعد المشهد الكبير ، انتقام بارديكان يجر إلى انتقام كامى ، وروزات ستكون الضحية . الحقيقة أنه لولا لعبة الغمضة الجميلة لما تسير لكثير من الأمور أن تحدث ، لقد استخدمت الحقيقة الإنسانية الأساليب الروائية ، وهي وحدها ذات الأهمية .

الشخصيات

الشخصيات الهزأة : رغم أن البعض أشار إلى تأثير شيكسبير إلا أن طريقة موسيه أصيلة كل الأصالة . إنه يرسم الملامح الرئيسية لهذه الدمى بقسوة بالغة : خطوط واضحة بارزة ، تكرار ، تناظر . إننا حيال هندسة ساخرة ومقولة برغسون الشهيرة عن الضحك - « طبقة من الأفعال اللاإرادية الآلية مغلقة للعنصر الإرادي الإنساني » - تنطبق بيسر على هذه الشخصيات . إن الكاتب

يأخذ نفسه بتبسيطها، فيجردها من آدميتها ويحوّلها إلى دمي لكن هذا الهزل ليس اعتباريا إذ أن احتقار موسيه يرافق شخصياته . ماذا يعيب عليها؟ أنها لا تهتم إلا بشهواتها ولا تحفل بالذين يتألمون؟

لا ريب في ذلك، لكن هناك هدفا نقديا واضحا نستخلصه من دورها . ما القاسم المشترك - في الواقع - بين هذه الدمي؟ إنه التناقض بين خمول فكرها وفخامة وتكلف لغتها، إنه أيضا غرورها النابع من شعور مضحك بأهميتها . وما يعطي هذا الانتقاد أهميته هو أن هؤلاء الأشخاص «الهامين» ليسوا كذلك إلا في نظرهم فقط . فرغم أنهم يغالون، في أنفسهم، بأهميتهم في نظر الآخرين، فإنها حقيقة واقعة . قد يبدو لنا البارون مزهواً على نحو مضحك بلقب محصل، إلا أن هذا لا يغير شيئا من كونه سيد المكان، ومن جهة أخرى، موظفاً ملكيا، يستقبل في البلاط . وتحتة بدرجة يتمتع كل من بلازيوس وبريدان وهما رجلا دين كلاهما، والسيدة بلوش المربية الورعة لكامي، بمكانة اجتماعية . يقول الناقد آلان: «ثمة انتقام جميل عن طريق الضحك من الاحترام غير الواجب . . . إن الأهمية البالغة، دون أي أهمية، هذه هي السخرية» من السهل على المشاهد أن يعيد من يدعون «الأهمية» في «لا مزاح في الحب» إلى مكانهم غير الهام .

إن هذا المغزى العام للنقد يجب ألا يمنعنا من ملاحظة نزعة المعادية لرجال الدين، لقد اضطر موسيه، من أجل العرض الأول لمسرحيته أن يرضى بجعل بريدان كاتب العدل بالقرية وليس خوري الكنيسة . فجميع كهنة موسيه، كما يقول هنري لوفافر، كريهون وهزأت . أضيف إلى ذلك أن رسم هذه الدمي الكهنوتية الثلاث ينسجم أي انسجام مع الانتقاد اللاذع الذي يوجهه باردريكان إلى حياة الأديرة والذي يبرره مجرى الحدث الرئيسي .

إن بساطة الطريقة ووحدة النقد لا تسيئان إلى الحياة الخاصة ، الحياة الكاريكاتورية لهذه الدمى المضحكة . الآلية هي نفسها ، بيد أن كل دمية لها ألوانها وتكشيريها ، والعلامة الجسدية الفارقة يرمز إليها أثناء الحركة ، على وجه الخصوص : ذراعا البارون ترتفعان بجلال ، الكرش المستديرة لبريدان أو بلازيوس تستدير أكثر لدى اقترابها من المائدة ، أما بالنسبة للسيدة بلوش ، فهي تشنجات عضلية لمرفقيها الحادين ولشظييتها اليباستين . إن كلاً من أربعتهم له المكان المفضل الذي يعطي مغزى لحياتهم : فالبارون يلجأ إلى غرفة مكتبه كلما صادفته مشكلة شائكة ، وكل مشكلة شائكة بالنسبة له ، والسيدة بلوش في الدير مع يمامتها العزيزة ، أما بلازيوس وبريدان فتجذبهما قاعة الطعام على حد سواء : إنها يسعيان أحدهما بالآخر عند البارون من أجل كرسي الشرف على المائدة ، والحق في الحصول على لسان السمكة الوحيد . أخيراً تتميز لغتهم المتكلفة والمعقدة ببعض الخصائص الذاتية ، ففخامة كلام البارون مرتبطة بغروره ، بيد أن التكرار المعهود للعبارة (والثانية تضعف الأولى) يظهر لنا العجز التام للشخصية ، ولاتينية بلازيوس ومعرفته المتكلفة المرهقة تقابلها غنائية بريدان المضحكة ، أما مفردات السيدة بلوش فهي مسخ كاريكاتوري لكتاب ديني . إن كل واحد من هذه الدمى المضحكة يعبر أصدق تعبير عن طبعه الخاص من خلال طريقته في الابتعاد عن البساطة الفطرية .

بارديكان : ليس ثمة خفاء في شخصية بارديكان ، وهذا لا يعني أنه يفتقر إلى العمق في أول ظهور له ، نراه يجسد الشباب الظافر ، المنفتح على الحياة ، المتأهب للحب والسعادة . وفي ظهوره الأخير يجسد الشباب اليائس ، الذي

يحطمه خطأ لم يتوقع نتائجه . وبين الفترتين تتكشف الملامح الرئيسية لشخصيته .

إنه يُقدّم إلينا ككائن متميز: « لا بد أنك قد تعلمت الكثير في فترة قصيرة بعقلك وقلبك هذين » . هكذا تقول له كامي ، وهي بهذا إنها تؤكد رأيا اشتمل عليه كلام القرويين المقرون بالاحترام ، فالقرية معجبة ببارديكان بقدر ما تحبه . الفكر؟ إن بارديكان عالم ، بيد أن الجامعة التي منحته شهادة الدكتوراه لم تجعل منه متحذلقا ، بل إن هذا العالم ذا الواحد والعشرين عاما يبدو لنا زاهدا بعض الشيء في هذه العلوم التي تلقاها ، ويلتمس من الأشجار والمروج نسيان ما يعرفه . وقد منحه موسيه ، بالإضافة ، ذكاء ناقدا يمكنه ، عند اللزوم ، من أن يتحدث باعتدال ودقة ، وهو حاضر الجواب ، يتقن التهكم : وهذه السمة الأخيرة تفسر بلا ريب تشككه في موضوع الدين . ولا مجال لأن نهمل ملامح شخصيته هذه ، فبواسطتها تلون وتعمق الحياة الدرامية للشخصية ، إذ تبعث فيها تناقضات تقربها من الواقع .

القلب؟ غني في الحياة العاطفية ، جموح في الخيال ، طبع انفعالي عاطفي تلك هي السمات الثلاث الأكثر سطوعا ، والأكثر خطورة . . . يقول شينييه : « القلب وحده شاعر » إن هذه العبارة الشائعة جدا تأخذ معناها الأدق حين نسمع حديث أبطال مسرح موسيه . ولغة بارديكان ذاتها تكشف لنا عن هذه القرينة الشعرية التي إن لم ندركها حكمنا على أنفسنا بأننا لم نفهم اللغة إلا بشكل سطحي . ففي اللحظات التي يكون فيها الانفعال في أوجه ، إذا بالجملة ينساب فيها النغم ، والصور تدفق ، والغنائية والخطابة تندجان : إن حقيقة القلب تتجلى بالطريقة الوحيدة المتوافرة لها . هذه الحقيقة غذاؤها

الذكريات . فالماضي يعيش بحدة عند هذا الشاب الذي تبدو أحلامه أحيانا خلفه ، لقد رأينا وطأة الحنين إلى الماضي في المسرحية ، وهو حنين إنما يظهر عند باردديكان على وجه الخصوص ، فيشعره رفض كامبي بقسوة أشد . وإن كان صحيحا أن يغازل روزات لأن جمالها يستهويه ، فليس أقل صحة أن الانعطاف الذي يشعر به نحو الفلاحة الشابة يستمد من هذه الذكريات البعيدة ، التي يزوقها الخيال ، بنبرته المؤثرة . بيد أن واسع الخيال يتحول بيسر إلى انفعالي . وباردديكان حينما يتألم قد يضرب . ففي نهاية مشهد النبع ، فإن الغضب هو الذي يملئ عليه جوابه . إنه يشتم الراهبات لأنهن سرقن منه كامبي ، ويشتم - أو يكاد - هذه « الفتاة التعيسة » لأنها سرقن منه الحب الذي تدين له به . وجوابه يضرب على الوتر الحساس ، إلا أن عنفه ذاته يفرق بين الشابين ، فبعد قراءة الرسالة الموجهة إلى الأخت لويز ، تملي عليه نزوة عمياء موعده مع روزات . قد يكون الباعث على ذلك هو رغبته في إثارة غيرة كامبي ، لكن يجب ألا ننظر إلى تصرفه هذا على أنه تدبير من زير نساء عديم الذمة . إن باردديكان يائس ، وهو يريد أن ينتقم ، وبصفة أخص للألم الذي شعر به منه للإهانة التي لحقت به . هل هو حقا متكبر؟ إن كامبي تتهمة بذلك وهو نفسه يعترف بذلك في المصلى . على أنه قال لكامبي في بداية الفصل الثاني : « الكبرياء ليست من شيمي ، إني لا أبالي لا بحلوها ، ولا بمرها » من جهة أخرى ، فإن كلمة من كامبي تجعله يجثو عند قدمي الفتاة الشابة . الحقيقة أن باردديكان يعاني من حساسية مفرطة أكثر مما يعاني من الكبرياء من هذا المنظور يجب أن نرى - ونحدد - مسؤوليته في الفاجعة النهائية . إن عناده في المشهد السابع من الفصل الثالث ، يصدر عن معرفة ساذجة بشؤون القلب رغم الخليلات اللواتي اعترف بهن . فهو لا يفتن في الواقع إلى حقيقة أمر كامبي إلا عندما تفر بعد أن نادته .

وحيثما تصلي في المصلى تتضح له الحقيقة . بيد أن قراره الزواج من روزات كان صادقاً ، أو ، بعبارة أدق ، كان يجهل أنه لم يكن كذلك . إن سلوكه يبدو منسجماً مع شخصيته .

يقول جان بوميه في معرض حديثه عن موسيه وقد شرع بكتابة «لا مزاح في الحب» : «الموت الذي فكر فيه إنما هو موت العاطفة ، إنما نموت على مراحل ، ونسير فوق أنقاض ، الحب يذوي وهو الذي كان يظن نفسه خالداً» يجب ألا نبحث ، في مسرحيتنا هذه عن أصدقاء لحادثة البندقية التي عاناها موسيه مع جورج صاند ، إلا أن هذه الحادثة ما كانت حرة ألا تؤثر على تأليفها . فبارديكان ، من أكثر من جانب ، يمثل موسيه في تلك الحقبة القاسية من حياته . وليس ذلك بأفكاره عن الأديرة وخلود الروح فحسب ، بل بمفهومه عن الحياة وبشخصيته كلها .

كامي : إن أكثر شخصيات موسيه أصالة تدين أولاً بهذه الأصالة لمفهوماها الدرامي . حينما تظهر كامي على المسرح ، يكون خلفها شخص غير مرئي يملئ عليها سلوكها ، ويحاول جاهداً أن يلقيها كلماته ، وهو استلاب حقيقي يتكشف لنا في منتصف المسرحية ، إلا أننا نقدر أن نستشفه منذ البداية . إن كامي في المشهد الأول جافة ، متعجرفة ، متحشمة ، منطوية على نفسها وكأنها تطرح أكثر الارتباطات الدنيوية شرعية ، ووميض صوفي في نظرتها . لكن اعتقادها الموهوم بأنها مطلعة على أهواء النفس البشرية يعمي بصيرتها ، فإذا بها تجهل نفسها . في جانب التأثير الشديد في الظاهر للدير تطالعنا رغبتها الخفية في التحرر منه . إنها تسعى إلى ذلك جهدها ، من حيث لا تدري بلا ريب ، ومشهد النبع يكتسب من هذا المنظور طابعه المؤثر للغاية . وهي تفر هزيمتها

في المصلى . إنها لم تحتج إلى أكثر من ثلاثة أيام كي تقف على حقيقة مشاعرها ، ومع ذلك فقد فات الأوان على السعادة . من وجهة نظر عامة ، فإنها حكاية دافع ديني أثاره إيجاء خارجي وينتهي به الأمر إلى أن يرضخ لواقع الحب . ومن وجهة نظر خاصة ، فإن حالة كامبي قد وضحها فرانسيسك سارسي بدقة : إن نفسية الفتاة الشابة تشبه إحدى تلك المخطوطات التي كتبت عليها روائع العصور القديمة ، والتي يقوم الرهبان بحكها لينسخوا عليها نصوصاً دينية يستشف العلم الحديث من خلالها النص القديم : إن كامبي الأولى هي صنعة الراهبات والأخت لويز ، وسيمحو الحب كامبي هذه ، على أن النص الأول سيظهر ثانية . من غير تغيير؟ قد يكون ذلك غريباً ، لأن النفس البشرية ليست مخطوطة . فكامبي التي تعيش أماناً خلال الأيام الثلاثة تطالعنا بطبع مزدوج : إنها تلميذة راهبات في الثامنة عشرة من عمرها ، وامرأة مخنكة (بالوكالة) : ثوب نزيلة وفستان سهرة . وهذا ما يفسر لنا ، في استجوابها لبارديكان امتزاج الجراءة ببعض البراءة .

وهذا ما يبرر لنا في آن واحد الطابع الرومانسي لبعض تصرفاتها ، والبراءة الشديدة لمناوراتها الإغرائية . من المحتمل أن نفكر أنها تمتلك في هذا المجال المعرفة الغريزية للمرأة ، ولابد لنا أيضاً من أن نعتقد أن أحاديثها مع لويز قد أنضجت هذه المعرفة . إن ازدواجية الشخصية توضح لنا تلك الخلفية من المرارة وحتى من اليأس : فهي ترغب أن تحيا ، بكل قواها الشابة ، والدير يجرم عليها أن تؤمن بالحياة . في هذا الصدد تقول كامبي لبارديكان : «إن حياتي كلها على شفتي (الحياة الوهمية التي عاشتها ، وحياة الحرمان التي تنتظرها) ، وكل ذلك كئيب ، كئيب» هذا الافتقار إلى البهجة يطعن في تدينها .

إن كان المفهوم الدرامي يفسر هذه الازدواجية ، فلا ننس أنه نفسه تحكمه الحقيقة السيكلوجية . ولقد تسرت هذه الازدواجية ، في الواقع ، ليس بفعل مؤثرات خارجية فحسب ، بل بفعل طبيعة كامى نفسها ، فهي تتمتع بشخصية واضحة المعالم («كائن فذ» كما يقول لا فوسكاد) لكنها لا تخلو ، على كل حال ، من التناقضات والغموض ، ونحن ، إذ نلاحظ مع بيار غاستينال أن «كامى هي أشد بطالات موسيه تعقيدا ، وغموضاً ، رغم أنها أكثرهن تبريراً لسلوكها» . يمكننا أن نحاول إضاءة بعض جوانب شخصيتها . كان لا بد من اقتران خيال قوي بإحساس مرهف ، لإذكاء جذوة هذا الحماس الداخلي الذي عرفته خلال أربع سنوات ، حينما كانت تعبد ، مثل «جراح يسوع» ، ذكريات لويز ، وإذ كانت تجسدها في وجه جديد ألا وهو وجه باردىكان . أو ليست هذه السنوات الأربع هي التي في الواقع ، أعطت معنى للغراميات الطفولية ؟ إلا أنه يبقى ، بطبيعة الحال ، أن باردىكان يقف حيال امرأة تقول إنها أحبه ، وإنها قد تعذبت . هذا الحب وهذا العذاب ، تحللها بوعى . ورغم خطئها في إدراك حقيقة مشاعر لويز ، فإن كامى تظهر لنا فطنة جدا ، فهي نظيرة باردىكان في المناقشة . إنه يعيب عليها كبرياءها وهي حقا تبدو نزقة وغيورة (هذه الغيرة هي التي ستسبب النهاية) ثم إنها تتصرف كأرستقراطية ، ونحن نلمح عندها استعلاء طبقيا أكثر منه عند باردىكان . . إن شفقتها المتعالية على روزات ، تزعجنا ، بيد أن موقفا آخر كان من شأنه أن يكون تقليديا : لقد صور موسيه كامى دون أي تنازلات للجمهور . فالكبرياء هي ثمن النبالة الحق ، في اللحظات العصبية تجد كامى نبرات تستثير حميتها الإعجاب . وفضلا عن الكبرياء ، فهي تتصف بالتصلب . لقد كان اختيارها للحب الإلهي صادقا : بيد أنها تفر أمام حب إنساني تحقق لها بؤسه ، إنها ترفضه لأنه ليس خالدا . ولعل أعمق شيء ، في هذه النفس المضطربة والأبية ، هو تعطشها للمطلق .

روزات : إنها بسيطة وتثير الشفقة . من حياتها كفلاحة صغيرة ، نحن لا نلح سوى بضع إشارات مبهمة نوعاً ما : طيف القرية ، الحقل الصغير ، أحاديث الفلاحين ، النافذة حيث تغني . . . وتحدث عن قلنسواتها . إننا لسنا حيال فتاة قوية من فتيات الحقول ، بل حيال طفلة هشة . لذا فإن ما يهمنا هو أن بساطتها تناقض تعقيد باردىكان وكامي ، وأن واقعها الاجتماعي وهذه البساطة بالذات يجعلان منها ضحية لا حول لها ولا قوة «إني (روزات) لا أحسن الكلام كثيراً ، وأنا ألاحظ ذلك حالما أريد أن أقول شيئاً» . الحقيقة أن موسيه أعطاهما لغة تتناسب مع طبعها الصريح وواقعها المتواضع . فلا خطابة ولا أجوبة طويلة ، بل إيضاحات ساذجة ، بريئة بعض الشيء عندما تشرح موقفها ، وأحياناً بعض من الثرثرة ، ولكن أيضاً ، بين الفينة والأخرى ، تخمينات صائبة . ولئن أغلق لها الخجل فمها ، في الغالب ، فإننا نحس مع ذلك ، عبر هذا الخجل ، بعمق مشاعرها . فهاهي ذي تقول لكامي التي حطمت آمالها : «إني ، للأسف ، لا أعلم شيئاً عن ذلك» . إن هذا الاحتشام هو مصدر شاعرية . وروزات منسجمة والطبيعة ، هذه الطبيعة النضرة واللطيفة التي يحبها باردىكان ، والتي ترمز ، في صمتها ، إلى الحقيقة الوحيدة المهمة ألا وهي حقيقة القلب . من هنا يتعمق ألم الدور . فمن بين الشخصيات الأساسية الثلاث في مأساة الحب ، فإن روزات هي الوحيدة التي يمكنها أن تدعي البراءة ، بل إنها تجسد البراءة المضحى بها . وهذا ما يبرر النهاية المفجعة . إن الحب الذي أثاره باردىكان في قلبها لم يلق أي مقاومة من هذا الكائن الغريزي . بعد مشهد الفصل الثالث حيث كانت تستمع ، وهي منحنية فوق النبع ، إلى هذه «الكلمات المتأججة الموجهة إلى سواها» ، والتي

تؤنب كامى باردىكان عليها، فىن روزات يتملكها ذلك الحب حتى إنه يرهقها. وبدءا من هذه اللحظة تسير المسرحية نحو نهايتها المأسوية. إن اغماء روزات هو إنذار لا تلقى إليه كامى وباردىكان بالا. وفيما بعد تبذل روزات مجهودا يائسا حتى تتخلص من حب ترى أنه سيكون قاتلها، سيقسم لها باردىكان أنه سيتزوجها، وخيبة الأمل ستقتلها. وهي نهاية رومانسية تنسجم ومفهوم موسىه عن الشخصية.

موسيه والحب

أشرنا أثناء الكلام عن حياة موسىه إلى أنه عاش مع جورج صاند قصة حب أليمة تميزت بالخيانة وبسلسلة متتابعة من الصلح والخصام. إن قصة الحب هذه كان لها تأثير كبير على نفس الشاعر والمؤلف المسرحي بحيث إن بعض النقاد، مثل موريس آلان، لم يترددوا في تفسير أغلب مسرحياته على ضوءها. ونحن من جهتنا، إذ نقرأ «لا مزاح في الحب» و«يجب أن يكون الباب إما مفتوحا أو مغلقا» لا يسعنا إلا أن نشاطر هؤلاء النقاد رأيهم. فالموضوع الرئيسي الذي يدور حوله المثلان المسرحيان هو الحب. ناهيك بأن عنف المحاورة، والنبرة الخطابية ينمان بوضوح عن مدى تقديس موسىه لهذه العاطفة النبيلة التي بقي مؤمنا بها، رغم تجربته القاسية مع جورج صاند، والتي مازال ينظر إليها على أنها أعظم وأنبلى شيء في هذا العالم. فباردىكان يعتبر الحب شيئا «مقدسا، ساميا»، والكونت يعتبره «خالدا».

هذا الإيمان الشديد بالحب هو الذي يدفع موسىه إلى التصدي لكل من تحاول الإساءة إليه والتقليل من شأنه، فيفضح النفاق ويعري المواقف مظهرها زيفها وخداعها: إنه يتهم النساء بالكذب، فهن يتظاهرن باحتقار الحب بينما

هن، في الواقع، يتحرقن شوقاً إليه، فهذا هو الكونت يقول للمركيزة: «لما تضعين هذه الدنتلا، وماذا تفعل هذه الشرابة فوق رأسك؟» وهل هناك ما ه أدل على هذا الكذب والخداع من اعتراف كامي في المصلى بحبها لبارديكان ومن موافقة المركيزة على الزواج من الكونت؟! .

مكتبي سحر الأريكة
www.books4all.net

شخص المسرحية

- البارون
- بارديسان : ابنه
- السيد بلازيوس : مؤدب بارديسان
- السيد بريدان : الخوري ، راعي الكنيسة
- كامى : ابنة أخت البارون
- السيدة بلوش : مربيته
- روزات : شقيقة كامى بالرضاعة
- الجوقة : بعض القرويين
- فلاح
- خادم

عند العرض الأول في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦١ كان
توزيع الأدوار كالتالي :
البارون : السيد م بروفست
بارديسان : دلوناي
بلازيوس المؤدب : باريه

بريدان ، كاتب العدل : مونروز
كامي : فافار
السيدة بلوش : الأنسة جوسيه
روزات : الأنسة إما فلوري
جوقة الشباب : السيدة يوجين بروفست
جوقة المسنين : كوكلين الكبير
فلاح : ماسكيلية

مكتبة سحر الألفية
www.books4all.net

الفصل الأول

المشهد الأول

(ساحة أمام القصر)

الجوقة

هاهو السيد بلازيوس يتهايل برفق فوق بغلته المتبخرة،
ويتقدم وسط نبات الترنجان المزهري، مرتدياً أحسن
ما لديه من لباس، وعلبة أدوات كتابته إلى جانبه، إنه
يتأرجح على كرشه المتكور، مثل طفل فوق وسادة، ويردد،
وقد أطبق جفنيه نصف إطباق، صلاة ربانية، بين طيات
ذقنه الثلاث. السلام عليك يا سيد بلازيوس، أراك قدمت
علينا إبان قطاف العنب كجرة قديمة.

بلازيوس

من يرغب أن يسمع مني نبأ هاماً فليحضر لي أولاً كوباً
من الخمرة الطازجة.

الجوقة

إليك قصعتنا الكبيرة، اشرب، ياسيد بلازيوس، الخمر
لذيذة، ستكلم فيما بعد.

بلازيوس

فلتعلموا، يا أبنائي، أن الشاب باردديكان، ابن سيدنا، قد
بلغ سن الرشد، ونال شهادة الدكتوراه من باريس. وهو
عائد اليوم إلى القصر، وفمه ممتلئ بكلمات وتراكيب بديعة،
منمقة بحيث لا يعرف المرء بم يحبيه في أغلب الأحيان. لله
ما أظرفه! إنه كتاب من ذهب، إذ لا يرى على الأرض
عشبة إلا أخبرك عن اسمها باللاتينية، وحين يكون ثمة ريح

أو مطر، يحدثك بوضوح عن السبب . وسوف تفتحون أعينكم مثل ذاك الباب ، متى رأيتموه بسيط واحدا من الرقوق التي لونها بألوان متعددة ، بيديه هو ، ومن عند نفسه . وخلاصة القول إنه جوهرة عظيمة من رأسه حتى قدميه ، هذا ما جئت أرفه إلى سيدي البارون . أخالكم تدركون الفخر الذي ينالني ، أنا الذي أقوم على تربيته مذ كان في الرابعة من عمره ، لذا ، يا أصدقائي الطيبين ، أحضروا لي كرسيًا كي أنزل عن هذه البغلة دون أن تدق عنقي ، فالبهيمة حرون بعض الشيء ، ولا مانع عندي أن أتناول جرعة أخرى قبل الدخول .

الجوقة

اشرب يا سيد بلازيوس ، واستعد قواك . لقد شهدنا ولادة الصغير بارديكان ، وما كان ثمة حاجة ، إذ هو عائد ، أن تطيل الحديث عنه . عسانا أن نلقى الطفل في قلب الرجل !

بلازيوس

لعمري إن القصعة فارغة ، ما ظننتني شربت كل ما فيها . الوداع ، لقد أعددت في أثناء الطريق ، بضع جمل متواضعة ستحظى بإعجاب سيدنا . سأقوم بقرع الجرس . (يخرج)

الجوقة

هاهي السيدة بلوش ترقى التلة ، وهي تهتز بعنف فوق حمارها اللاهث . إن تابعها المرتجف يضرب بعصاه الغليظة الحيوان المسكين ، الذي يحرك رأسه قابضا على شوكة بين أسنانه . ساقاها الطويلتان ، الهزيلتان ترتعشان من فرط الغضب ، بينما هي تخمن بيديها المعروقتين جبات سبحتها . صباح الخير ، ياسيدة بلوش ، إنك قادمة مثل الحمى ، مع الريح التي تصفر في غاباتنا .

السيدة بلوش

كوب ماء، أيها الوغد! كوب ماء، وبعضاً من الخل!

الجوقة

من أين أنت قادمة، أيتها الصديقة بلوش؟ شعرك المستعار يغشاها الغبار، وهاهي خصلتك قد فسدت، وثوبك المصون قد شُمر حتى ربطتي ساقيك الجليلتين.

السيدة بلوش

فletعلموا، أيها الفلاحون، أن كامى الفاتنة، ابنة أخت سيدكم، ستصل اليوم إلى القصر. لقد غادرت الدير، بأمر سيدي، لتأتي في الوقت المناسب وتستلم حسب الأصول، تركة والدتها. إن فترة تعليمها انتهت بحمد الله، والذين سيشاهدونها سيبتهجون إذ يستنشقون أريج زهرة مجيدة تتضوع بالحكمة والورع. تالله لم يوجد أبداً أحد أنقى، وأجمل، وأودع، وأطهر من هذه الراهبة الغالية، رعاها الله! ابعد من طريقي، أيها النذل، يخيل لي أن ساقِي قد تورمتا.

الجوقة

أصلحي ثيابك، أيتها الكريمة بلوش، ومتى صليت، اطلبي من الله تعالى أن ينزل علينا المطر: إن سنابلنا جافة مثل ساقيك.

السيدة بلوش

لقد جلبتم لي الماء في قصعة لها رائحة المطبخ، هيا ساعدوني على النزول، تبا لكم من حمقى، عديمي التهذيب. (تخرج)

الجوقة

لنرتد ثيابنا الجديدة، ولننتظر أن ينادينا البارون. إما أني مخطيء تماماً وإما أن هناك وليمة كبيرة ستقام اليوم (يخرجون).

المشهد الثاني

(صالون البارون) يدخل البارون برفقة بريدان وبلازيوس

البارون ياسيد بريدان، أنت صديقي، أنا أقدم إليك السيد بلازيوس، مؤدب ولدي. لقد بلغ ولدي في الساعة الثانية عشرة وثلاثين دقيقة من يوم أمس، الواحدة والعشرين من عمره بالتمام والكمال، وهو دكتور بأربع كرات بيض (*). ياسيد بلازيوس، أقدم إليك السيد بريدان، خوري كنيسة، إنه صديقي.

بلازيوس (محييا) بأربع كرات بيض، أيها المحترم! أدب، علم نبات، تشريع روماني، تشريع كنسي.

البارون هيا إلى غرفتك، أيها العزيز بلازيوس، لن يلبث ولدي أن يحضر. أصلح هندامك قليلا، وعد حين يقرع الجرس. (يخرج السيد بلازيوس).

بريدان هل لي أن أتكلم بصراحة، ياسيدي؟ إن مؤدب ابنك تفوح منه بشدة رائحة الخمر.

البارون هذا مستحيل.

* الكرة البيضاء : تشير إلى أن الطالب الممتحن قد كان متفوقا جدًا.

بريدان

أنا واثق من ذلك ثقتي بحياتي . لقد كلمني عن قرب ،
منذ هنيهة ، وكانت الحمرة تنبعث منه بشكل لا يطاق .

البارون

صه ! إني أقول لك مجدداً: هذا مستحيل . (تدخل
السيدة بلوش) هأنت ذي ، أيتها الصالحة بلوش ! لا بد
أن ابنة أختي معك .

السيدة بلوش

إنها قادمة في إثري ، لقد تقدمتها ببضع خطوات .

البارون

ياسيد بريدان ، أنت صديقي ، وأنا أقدم إليك السيدة
بلوش ، مربية ابنة أختي . إن ابنة أختي بلغت ، أمس
الساعة السابعة مساء ، الثامنة عشرة من عمرها ، وهي
خارجة من أفضل الأديرة في فرنسا . ياسيدة بلوش ، أقدم
إليك السيد بريدان ، خوري كنيسة ، إنه صديقي .

السيدة بلوش

(محمية) من أفضل الأديرة في فرنسا ، أيها المحترم ،
وأستطيع أن أضيف : أفضل مسيحية في الدير .

البارون

هيا ، ياسيدة بلوش ، أصلحي هندامك ، إن ابنة أختي
لن تلبث أن تحضر ، هذا ما أرجوه . كوني جاهزة ساعة
العشاء .

(تخرج السيدة بلوش)

بريدان

إن هذه الفتاة العانس تبدو لي في منتهى اللطافة .

البارون في منتهى اللطافة وتأنيب الضمير^(*)، يا سيد بريدان،
إن عفتها لمنيعة .

بريدان لكن المؤدب تفوح منه رائحة الخمر، أنا واثق من
ذلك .

البارون أحيانا، ياسيد بريدان، أشك في صداقتك . أتبغي
معارضتي؟ كفى كلاما في هذا الموضوع . لقد عقدت
النية على تزويج ابني بابنة أختي إنها متوافقان،
وتعليمهما كلفني ستة آلاف ريال .

بريدان لابد من الحصول على وثيقة إعفاء^(**)

البارون إنها معي، يابريدان، وهي على طاولتي، في غرفة
مكتبي . فلتعلم الآن يا صديقي، أني في غاية الفرح .
وأنت تعرف مدى كرهى للوحدة . بيد أن مركزي ووقار
ثوبي يضطرانني إلى البقاء في هذا القصر ثلاثة أشهر في
الشتاء، وثلاثة أشهر في الصيف . يستحيل على المرء أن
يسعد الناس بشكل عام، وأتباعه بشكل خاص، دون
أن يعطي، أحيانا، خادمه الأمر الصريح بعدم السماح
لأحد بالدخول . لله ما أصعب وأقسى اعتكاف رجل
الدولة ! وما أمتع أن ألطف، بوجود ولديّ المجتمعين من
هذه الكآبة الشديدة التي تفرض نفسها عليّ منذ أن

* إن كلمة Onction تعني لطافة، أما Componction وهي كلمة مركبة من الكلمة الأولى فتعني
«تأنيب الضمير»، والبارون قد استعمل هذه الأخيرة ظنا منه أنها أفعل تفضيل للأولى .
** باردريكان وكامي ابنا عم، والكنيسة تمنع مبدئيا هذا النوع من الزواج .

عينني الملك جاييا للضرائب!

بريدان

هل سيتم عقد هذا القران هنا أم في باريس؟

البارون

هذا ما كنت أتوقعه منك ، يا بريدان ، لقد كنت واثقا من أنك ستسأل هذا السؤال . وبعد يا صديقي ، ماذا تقول لو أن هاتين اليدين ، نعم يا بريدان ، يدك أنت ، لا تنظر إليهما بهذا الشكل المؤثر ، سيقدر لهما أن تباركا علنا التصديق السعيد لأعز أحلامي ؟ يا هذا!

بريدان

لا أدري ماذا أقول ، الامتنان يغلق فمي .

البارون

انظر من هذه النافذة ، ألا ترى خدمي يهرعون زرافات نحو البوابة؟ إن ولديّ أقبلا معا ، في آن واحد ، يا للتدبير الرائع ! لقد رتبت الأمور بحيث لا أترك مجالا للصدفة . ستدخل ابنة أختي من هذا الباب ، إلى اليسار ، وولديّ من ذاك الباب ، إلى اليمين . ما رأيك في كل ذلك؟ إنني أشعر بفرح غامر إذ أتخيل كيف سيلتقيان ، وماذا سيقول كل منهما للآخر ، فسته آلاف ريال ليست بالشيء اليسير . ثم إن هذين الولدين تحابا بشدة مذ كانا في المهد . أي بريدان ، لقد خطرت لي فكرة .

بريدان

ما هي؟

البارون

أثناء العشاء ، لكن دون أن يبدو عليك أنك تعتمد ذلك ، أظنك تفهمني ، يا صديقي ، وإذ تتجرع بعض كؤوس الخمر المنعشة أنت تعرف اللاتينية ، يا بريدان .

بريدان

إيتا ايديبول* ، أجل والله ، إني أعرفها !

البارون

سأكون في غاية السرور إذا ما رأيته تتصدى لهذا الشاب ، برصانة طبعاً ، أمام ابنة عمته . فهذا إنما سيكون له أثر حميد . اجعله يتكلم بعض اللاتينية ، ليس أثناء العشاء بالضبط ، لأن هذا قد يصبح مملاً ، ثم إني لا أفقه منها كلمة واحدة ، ولكن أثناء تناول الحلوى .
أسمع ؟

بريدان

إن كنت لا تفهمها ، ياسيدي ، فمن المحتمل أن تكون ابنة أختك في نفس الوضع .

البارون

وهو سبب إضافي ، هل تريد من المرأة أن تعجب بها تفهمه ؟ كيف تفكر يا بريدان ؟ هذا منطوق يدعو للثناء .

بريدان

إن معرفتي بسيطة بطبيعة النساء ، لكنني أرى من الصعب أن يعجب المرء بها لا يفهمه .

البارون

إني أعرفهن ، يا بريدان ، إني أعرف هذه المخلوقات اللطيفات ، الغامضات . كن على ثقة أنهن يفضلن أن يذر الرماد في أعينهن ، وأنه كلما كان كثيراً ، فتحنها أكثر ، ليأخذن منه كمية أكبر . (يدخل بارديكان من جهة ، وكامي من الأخرى) صباح الخير ، يا ولدي ، صباح الخير أيتها الغالية كامبي ، ويأياها العزيز بارديكان ! عانقاني ، وتعانقا .

* عبارة لاتينية تعني «أجل والله» ، إن بريدان كي يثبت علمه ، قال : «أجل والله» باللاتينية قبل أن يقولها بالفرنسية .

بارديكان صباح الخير يا والدي ، وياشقيقتي الحبيبة! يا للسعادة!
يا لسعادتي!

كامي أي والدي وابن خالي ، السلام عليكما .

بارديكان ها أنت قد أصبحت شابة ، وجميلة مثل البدر،
ياكامي!

البارون متى غادرت باريس ، يا بارديكان؟

بارديكان الأربعاء ، أو الثلاثاء . لقد غدوت والله ، امرأة! إذن أنا
رجل بدوري! إني لأحسب ان ذلك كان أمس لما رأيتك
صغيرة هكذا .

البارون لا بد أنكما متعبان ، فالطريق طويل والجو حار .

بارديكان كلا ، كلا . ولكن انظر، يا والدي ، ما أجمل كامي!

البارون هيا ، ياكامي ، عانقي ابن خالك .

كامي آسفة .

البارون الإطراء يستحق قبلة ، قبلها ، يا بارديكان .

بارديكان مادامت ابنة عمتي ترتد إلى الوراء حين أمد إليها يدي ،
فلإني أقول لها بدوري : آسف ، قد يستطيع الحب أن
يسرق قبلة ، ولكن لن يحظى بالصدقة .

كامي ليس للصدّاقة أو الحب أن يحظيا إلا بمثل ما في وسعها أن يقدماه .

البارون (مخاطبا بريدان) إنها بداية لا تؤذن بالخير، أليس كذلك؟

بريدان (مخاطبا البارون) الحياء إن زاد عن حده كان عيبا بلا ريب، بيد أن الزواج يزيل الكثير من المخاوف .

البارون (مخاطبا بريدان) إني متكدر، مجروح . لقد أغضبني ذلك الجواب «أسفة» . ألاحظت أنها تظاهرت برسم إشارة الصليب؟ « تعال كي أكلّمك » إني مستاء كل الاستياء . هذه اللحظة التي كان يفترض بها أن تكون غاية في اللطافة قد فسدت نهائيا - إني منزّع ، مغتاض - تبا! هذا فآل شر .

بريدان قل لهما شيئا ما ، ها هما يولي أحدهما ظهره للآخر .

البارون وبعد! يا ولديّ ، فيم تفكران بربكما؟ ماذا تفعلين هناك يا كامي أمام تلك اللوحة؟

كامي (تنظر إلى لوحة) إنها صورة جميلة ، يا خالي! أليست أخت أحد أجدادنا؟

البارون نعم ، يابنتي ، انها أخت جدتك . وهذه السيدة العزيزة لم تساهم أبداً من جهتها ، على ما أظن ، اللهم إلا بالصلوات - في زيادة عدد أفراد العائلة - لقد كانت ، لعمرى ، امرأة قديسة .

كامي أجل إنها لقديسة إنها جدتي إيزابيل ، ما أجمل الملابس الدينية عليها .

البارون وأنت ، ياباردىكان ، ماذا تفعل أمام أبيض الزهور هذا؟

باردىكان انظر إلى هذه الزهرة الرائعة ، ياوالدي . إنها تدعى رقيب الشمس .

البارون أتمزح ! إنها بحجم الذبابة .

باردىكان هذه الزهرة التي بحجم الذبابة لها قيمتها .

برىدان لاشك في ذلك ! الدكتور على صواب . اسأله إلى أي جنس ، إلى أي فصيلة تنتمي ، ماهي الأجزاء التي تتركب منها ، من أين تستمد عصارتها ولونها . فيخلب لبك إذ يعدد لك ظواهر هذه العشية ، من جذرها حتى زهرتها .

باردىكان إن معلوماتي ليست بهذا الحجم ، أيها المحترم . أنا أجدها زكية الرائحة ، فحسب .

المشهد الثالث

(أمام القصر)

الجوقة

ثمة أشياء عديدة تسرني وتثير فضولي . تعالوا ،
يا أصدقائي ، نجلس إلى شجرة الجوز هذه . في هذه
اللحظة يتواجه في القصر أكلان عظيمان وهما السيد
بريدان والسيد بلازيوس . ألم تلاحظوا شيئا؟ إنه حين
يلتقي مصادفة شخصان متشابهان تقريبا ، من حيث
الضخامة والغباء ، ولهما نفس العيوب والشهوات ،
فلا بد بالضرورة من أن يتحابا أو يتباغضا . ونظرا لأن
الأضداد تتجاذب ، وأن الرجل الطويل النحيل يحب
الرجل القصير البدين ، والشقر يميلون إلى السمر ،
والعكس بالعكس ، فإني أتوقع معركة خفية بين المؤدب
والخوري . فكلاهما وقح ، كلاهما له بطن كالبرميل ، إنهما
ليسا شرهين فقط ، بل ذواقين أيضا ، وهما سيتنازعان
على العشاء ، ليس من أجل الكمية فحسب ، بل من
أجل النوعية أيضا ، إن كانت السمكة صغيرة ، فما
العمل؟ وبطبيعة الحال ، لا يمكن للسان الشبوط أن
ينقسم ، ولا يمكن لسمكة الشبوط أن يكون لها لسانان .
ثم إنهما ثرثاران كليهما ، لكن يقدران ، عند الضرورة أن
يتكلما معا ، دون أن يصغي أحدهما للآخر . ومنذ هنيهة

أراد السيد بريدان أن يوجه إلى الشاب باردى كان بضعة أسئلة متكلفة، فما كان من المؤدب إلا أن قُطِب حاجبيه، إنه يستاء إن حاول شخص سواه أن يمتحن تلميذه. وأيضاً هما في الجهل سواء، هذا إلى أنها كاهنان كليهما. فهذا سيتباهى بمنصبه الديني، وذاك بوظيفته كمؤدب، السيد بلازيوس يعترف له الابن، والسيد بريدان يعترف له الأب. إني أراها متكئين على المائدة، وقد انتفخت أوداجهما، وجحظت أعينهما، يهزان بحقد ذقنيهما ذواتا الطيات الثلاث. كل منهما يصعد نظراته في صاحبه، ويجربان صوتيهما بمناوشات خفيفة، وسرعان ما تنشب الحرب، فإذا الادعاءات الفارغة، من جميع الأنواع تتلاقى وتتبادل، وما يزيد الطين بلة، هو أن السيدة بلوش تتحرك بعنف بين السكيرين، فتدفع كل منهما بمرفقيها الحادين. الآن وقد انتهى الغداء، هاهم يفتحون بوابة القصر. وهاهي الشلة تخرج. لنتح جانباً. (يخرجون. يدخل البارون والسيدة بلوش).

أيتها الجليلة بلوش، إني متضايق.

البارون

أمعقول هذا ياسيدي؟

السيدة بلوش

نعم، يابلوش، هذا معقول. لقد كنت أنتظر منذ عهد بعيد، حتى أُنِي كُتبت، ودونت - في دفتر مذكراتي - أن هذا اليوم يجب أن يكون أجمل يوم في حياتي - أجل، أيتها السيدة الطيبة، أجمل يوم - إنك لا تجهلين أُنِي كنت عازماً

البارون

على تزويج ابني بابنة أختي - لقد كان ذلك مقمرا متفقا عليه حتى اني فاتحت به بريدان - وأنا أرى ، أظنني أرى ، أن هذين الولدين يتخاطبان بجفاء ، بل لم يوجه أحدهما كلمة إلى الآخر .

ها هما قادمان ياسيدي ، هل هما على علم بنواياك ؟

السيدة بلوش

لقد وجهت إليهما بضغ كلمات في هذا الشأن ، على انفراد . أرى من الأفضل ، ماداما قد اجتمعا سويا ، أن نجلس في هذا الظل ، ونتركهما وحدهما بعض الوقت . (يتحى جانبا هو والسيدة بلوش ، تدخل كامى وبارديكان) .

البارون

أتعلمين أنه لم يكن جميلا منك يا كامى ، أن تضني علي بقبلة ؟

بارديكان

هكذا أنا ، هذا طبعي .

كامى

أتريدين ذراعي لنقوم بجولة في الضيعة ؟

بارديكان

لا ، إني متعبة .

كامى

ألا يسرك أن تكحلي عينيك ثانية بمرأى المرح ؟ أتذكرين نزهاتنا في القارب ؟ تعالي ننزل حتى الطواحين ، سأقوم أنا بالتجديف ، وأنت بإدارة الدفة .

بارديكان

لا رغبة لي في ذلك .

كامى

بارديكان إنك تفتتين كبدي . عجباً! أما من ذكرى ، ياكامي ، أما
من خفقة قلب من أجل طفولتنا ، من أجل كل هذا
الماضي المسكين ، اللذيذ ، الطيف ، المليء بالحماقات
الحلوة؟ ألا تريدان أن تأتي وتشاهدي الدرب الذي كنا
نسلكه إلى المزرعة؟

كامي لا ، ليس هذا المساء .

بارديكان ليس هذا المساء ! متى إذاً؟ كل حياتنا هناك .

كامي لست طفلة بحيث أتسلى بلعبي ، ولا عجوزاً فأحب
الماضي .

بارديكان ماذا تقصدين بقولك هذا؟

كامي أقول : ذكريات الطفولة لا تستهويني .

بارديكان هل هذا يضجرك؟

كامي نعم ، إنه يضجركي .

بارديكان لك الله من طفلة مسكينة! إني أرثي لحالك كل الرثاء .

(يخرجان ، كل منهما من جهة - يدخل البارون برفقة
السيدة بلوش)

البارون ها أنت ترين بعينيك وتسمعين بأذنك ، أيتها الفاضلة
بلوش ، كنت أتوقع أعذب انسجام ، ويخيل إليّ أني
أحضر حفلة موسيقية يعزف فيها الكمان «قلبي يتأوه»

بينما يعزف الناي «عاش هنري الرابع». تخيلي الشاز
الفضيع الذي ينتج عن تركيبة من هذا القبيل . إنها هذا
ما يحدث في قلبي .

السيدة بلوش أتريد الصراحة؟ من المحال أن ألوم كامبي ، وأنا أرى أن
النزهات في الزورق أمر يمجّه الذوق السليم .

البارون أجادة أنت في قولك؟

السيدة بلوش إن فتاة محترمة لا تغامر بنفسها ، ياسيدي فوق صفحات
المياه .

البارون لكن هلا تذكرت ، ياسيدة بلوش ، أنه يجب على ابن
خالها أن يتزوجها ، وأنه والحال هذه . . .

السيدة بلوش التقاليد لا تحبذ الإمساك بدفة ، وإنه لأمر مشين أن
تغادر الفتاة الأرض اليابسة ، وحيدة برفقة شاب .

البارون لكني أكرر . . . إني أقول لك . . .

السيدة بلوش هذا هو رأيي .

البارون أجنونة أنت؟ والله إنك تدفعينني إلى أن أقول . . . ثمة
بعض العبارات لا أريد أن . . . والتي تأبأها نفسي . . .
إني أشعر بالرغبة . . . لعمري ، لولا تمالكني لنفسي . . .
أنت حمقاء ، يابلوش ! لا أدري ماذا أقول فيك . (يخرج)

المشهد الرابع

(ساحة) الجوقة ، باردىكان

باردىكان صباح الخير يا أصدقائي . هل عرفتموني؟

الجوقة أيها السيد ، إنك تشبه طفلا أحببناه كثيرا .

باردىكان أَلستم أنتم الذين حملتموني فوق ظهوركم لأجتاز سواقي مروجكم ، والذين أرقصتموني على ركبكم ، وأركبتموني خلفكم على جيادكم القوية ، وأفردتم لي أحيانا مكانا بينكم على موائدكم وقت العشاء في المزرعة؟

الجوقة نحن نذكر ذلك ياسيدنا . لقد كنت والله أكثر الغلمان شيطنة ، وأفضل فتى على وجه الأرض!

باردىكان لماذا ، إذا ، لا تقبلُونَنِي ، بدلا من أن تحيوني مثل غريب؟

الجوقة رعاك الله ، يا حشاشة كبدا! كل واحد منا يرغب في أن يملك بين ذراعيه ، إنما نحن كهول ، ياسيدنا ، وأنت رجل .

باردىكان نعم ، لقد انقضت عشر سنوات لم أشاهدكم فيها ، وفي يوم واحد يتغير كل شيء . إني ارتفعت بضع أقدام نحو السماء ، وأنتم ملتصق بضع بوصات نحو القبر . رؤوسكم ابيضت وخطواتكم أصبحت أكثر ثقاقلا ، إنكم ماعدتم

تقدرون أن ترفعوا ولدكم السابق عن الأرض . إذا علي أنا
أن أكون والدكم ، أنتم ، يامن كنتم أهلي .

الجوقة

إن عودتك لي يوم أسعد من يوم ولادتك ، وإنه لألطف
بكثير أن يلتقي المرء بمن يحب من أن يقبل مولوداً .

بارديكان

ها هو هذا « وادي الغالي وجوزاتي ، ودروبي الخضر ،
ونبعي الصغير » ها هي أيامي الخوالي تنبض بالحياة ،
ها هو العالم الخفي ، عالم أحلام طفولتي ! وطني ! هذه
الكلمة الغامضة ! أفلم يولد الإنسان من أجل رقعة
واحدة من الأرض ، فيبني فيها عشا ، ويعيش فيها ذات
يوم ؟

الجوقة

قل لنا إنك عالم ، ياسيدنا .

بارديكان

أجل ، ولقد قيل لي ذلك أيضا . إن العلوم شيء جميل
يا أبنائي ، وهذه الأشجار . وهذه المروج تعلمنا بصوت
عال ، أجملها قاطبة هو أن ينسى المرء ما يعرفه .

الجوقة

لقد حدثت تغيرات حمة أثناء غيابك . هناك فتيات
تزوجن ، وفتيان ذهبوا إلى الجيش .

بارديكان

ستطلعونني على ذلك فيما بعد . إني أتوقع سماع أخبار
جديدة ، لكنني بصراحة لا أريد ذلك الآن . ما أصغر
هذا الحوض ! فيها مضي كان يبدو لي شاسعا . لقد
احتفظت في مخيلتي بصورة محيط وغابات ، فإذا بي أجد
قطرة ماء وعشيبات . من تكون تلك الفتاة التي تغني
على نافذتها ، خلف هذه الأشجار ؟

الجوقة	إنها روزات ، أخت ابنة عمك كامي بالرضاعة .
بارديكان	(يقترّب) انزلي بسرعة ، ياروزات ، وتعالى هنا .
روزات	(تدخل) نعم ، ياسيدي .
بارديكان	أتبصريني من نافذتك ، ولا تأتين ، أيتها الفتاة الخبيثة؟ ناوليني بسرعة هذه اليد ، وذينك الخدين كي أقبلك .
روزات	نعم ياسيدي .
بارديكان	هل أنت متزوجة يا صغيرتي ؟ لقد قيل لي ذلك .
روزات	كلا ، كلا .
بارديكان	لماذا؟ ليس في القرية فتاة أجمل منك . سنعمل على ترويجك ، يا صغيرتي .
الجوقة	ياسيدنا ، إنها تريد أن تموت وهي فتاة .
بارديكان	أصحيح ذلك ، ياروزات؟
روزات	كلا ، والله!
بارديكان	لقد حضرت أختك كامي . هل شاهدتها؟
روزات	لم تمر بعد في هذه الأنحاء .
بارديكان	اذهبي بسرعة وارتيدي ثوبك الجديد . ثم وافيني في القصر من أجل العشاء .

المشهد الخامس

(القاعة) يدخل البارون وبلازيوس

بلازيوس ياسيدي ، ثمة كلمة أريد أن أقولها لك ، إن خوري الكنيسة رجل سكير.

البارون أف ! هذا مستحيل .

بلازيوس أنا واثق من ذلك . لقد شرب على العشاء ثلاث زجاجات خمر .

البارون هذا كثير جداً .

بلازيوس وحين غادر المائدة ، سار فوق أحواض الزرع .

البارون فوق أحواض الزرع ! - لقد أفحمتني ! - إنه لأمر غريب والله . يشرب ثلاث زجاجات خمر على العشاء ! ويسير فوق أحواض الزرع ! هذا ما لا يقبله عقل . ولماذا لم يسر في الممر؟

بلازيوس لأنه كان يترنح في مشيته .

البارون (مخاطباً نفسه) بدأت أعتقد أن بريدان على حق . إن بلازيوس هذا تفوح منه رائحة الخمر بشكل لا يطاق .

- بلازيوس ثم إنه أكل كثيرا ، وكان كلامه مضطربا .
- البارون لقد لاحظت ذلك بدوري .
- بلازيوس إنه نطق بضع كلمات لاتينية ، كانت كلها أغلاطا في النحو . ياسيدي . إنه رجل منحل الأخلاق .
- البارون (مخاطبا نفسه) اللعنة ! إن بلازيوس هذا رائحته لا تطاق . فلتعلم أيها المؤدب أن في رأسي موالا آخر ، وأني لا أهتم أبدا بما يشربه أو يأكله الآخرون ، فأنا لست رئيس خدم .
- بلازيوس معاذ الله أن أكدرك ، ياسيدي البارون . إن خمرك لذينة .
- البارون هناك خمر لذينة في أقبيتني .
- بريدان (داخلا) ياسيدي ، إن ولدك في الساحة ، يتبعه جميع غلمان القرية .
- البارون مستحيل .
- بريدان لقد رأيته رأي العين . إنه كان يلتقط الحصى ويرشق بها سطح الماء .

البارون

يرشق بها سطح الماء؟ - لا أعرف ماذا أقول؟ وها هي أفكارى قد اختلطت - إنك تقدم إلى تقريراً غريباً يا بريدان . من غير المعقول أن يقوم دكتور برشق سطح الماء بالحجارة .

بريدان

قف في النافذة ، ياسيدي ، وسوف تراه بعينك .

البارون

(مخاطباً نفسه) لعمري ، لقد صدق بلازيوس ، إن بريدان يتطوح ذات اليمين وذات الشمال!

بريدان

انظر ياسيدي ، هاهو ذا عند حافة الحوض . إنه يمسك بذراع فلاحه شابة .

البارون

فلاحه شابة؟ أقدم ولدي ها هنا كي يغوي فتيات أتباعي؟ يمسك بذراع فلاحه! وجميع غلمان القرية حوله! أكاد أنفجر من الغيظ .

بريدان

الثأر، الثأر!

البارون

لقد ضاع كل شيء! - ضاع نهائياً - إني هالك : بريدان يترنح وبلازيوس تفوح منه رائحة الخمر بشكل لا يطاق ، وها هو ذا ولدي يغوي جميع فتيات القرية ويرشق سطح الماء بالحصى! (يخرج)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(حديقة) يدخل بلازيوس وبارديكان

بلازيوس ياسيدي ، والدك متكدر جداً .

بارديكان لم ذلك ؟

بلازيوس لا أظنك تجهل أنه كان عازماً على تزويجك ابنة عمته
كامي ؟

بارديكان وبعد؟ هذا جل مناي .

بلازيوس إلا أن البارون يظن أنه لاحظ تباينا في طبيعكما .

بارديكان هذا أمر مؤسف ، أنا لا أقدر أن أغير طبيعي .

بلازيوس أتريد إذا أن تجعل هذا الزواج مستحيلاً؟

بارديكان أقول لك ثانية إن الزواج بكامي هو جل مناي ، اذهب
إلى البارون نبته بذلك .

بلازيوس يا سيدي ، أستاذنك بالانصراف : ها هي ابنة عمته
قادمة من هذه الناحية (يخرج - تدخل كامي)

بارديكان عجبنا، أراك استيقظت مبكرا، يا ابنة عمتي! إني ما زلت على ما قلته لك أمس : إنك آية في الجمال .

كامي لتتكلم بجذ، يا بارديكان ، والدك يريد أن يزوجنا . لا أعلم مارأيك في ذلك ، أظنني حسنا أفعل إذ أنبتك انني قد اتخذت قراري في هذا الشأن .

بارديكان لي الله إن كنت لا أعجبك !

كامي لا أنت ولا أي واحد آخر، أنا لا أريد أن أتزوج : ليس هناك ما يسوءك ، ويجرح كبرياءك .

بارديكان الكبرياء ليست من شيمي ، إني لا أبالي لا بحلوها ولا بمرها .

كامي لقد أتيت ها هنا كي أستلم تركة والدتي ، وأنا عائدة غدا إلى الدير .

بارديكان إنك صريحة ، على ما أرى ، هات يدك ، ولنكن صديقين !

كامي إني لا أحبذ الملامسات .

بارديكان (وهو يتناول يدها) أعطيني يدك ، يا كامي ، بالله عليك . ما الذي تخشيه مني ! ألا تريدنيهم أن يزوجونا؟ حسنا ! كما تشائين ، أهذا سبب لأن تباعض؟ ألسنا

شقيقا وشقيقة؟ لما طلبت والدتك هذا الزوج في وصيتها، أرادت أن تكون صداقتنا أبدية، ليس غير. لماذا نتزوج؟ هاهي يدك وهاهي يدي، ولكي تبقيا متحدتين هكذا حتى الرمق الأخير، أتظنين أنه يلزمنا كاهن؟ لسنا في حاجة إلا إلى رب العالمين .

كامي إنني لسعيدة إذ أراك غير مكترث لرفضني .

بارديكان بل إنني مكترث، ياكامي . كان من شأن حبك أن يهيني الحياة، ولكن صداقتك تعوضني عنه . لا تغادري القصر غدا، لقد رفضت أمس أن تقومي بجولة في الحديقة، لأنك كنت ترين في زوجاً غير مرغوب فيه . ابقي هنا بضعة أيام، دعيني آمل أن حياتنا الماضية لم تمت إلى الأبد في قلبك .

كامي إنني مضطرة إلى الرحيل .

بارديكان لماذا؟

كامي هذا سري .

بارديكان أتخبين أحداً غيري؟

كامي لا، إنما أريد الرحيل .

بارديكان ألا رجعة في ذلك؟

كامي

نعم لا رجعة .

بارديكان

إذا، الوداع! كنت أتمنى أن أجلس معك تحت أشجار
الكستناء في الغابة الصغيرة، فتسامر ساعة أو اثنتين
لكن إن كان ذلك لا يرضيك، فلنكف عن الحديث
فيه، الوداع، يا صغيري. (يخرج)

كامي

(مخاطبة بلوش وقد دخلت) سيدة بلوش، هل كل شيء
معد؟ أمسافرتان نحن غداً؟ هل أتم وصي حساباته؟

السيدة بلوش

نعم يا ييامتي العزيزة الطاهرة. لقد وصفني البارون
مساء أمس بالحمقاء، وأنا سعيدة إذ أغادر هذا المكان .

كامي

هذه رسالة مني أريدك أن تسلمها، قبل العشاء، إلى
ابن خالي بارديكان .

السيدة بلوش

رباه! ماذا أسمع؟ أتكتبن رسالة إلى رجل؟

كامي

أليس من المفروض أن أكون زوجته؟ بإمكانني إذن أن
أكتب إلى خطيبي .

السيدة بلوش

لقد خرج السيد بارديكان لتوه من هنا . ماذا عساك أن
تكتبي إليه؟ خطيبك؟! رحماك اللهم! أكونين نسيت
يسوع؟

كامي

افعلي ما أقول لك، وأعدي كل شيء من أجل سفرنا .
(تخرجان)

المشهد الثاني

(غرفة الطعام) الخدم يقومون بإعداد المائدة ، يدخل بريدان

بريدان

لا ريب في ذلك ، إنهم سيجلسونه مرة أخرى اليوم على كرسي الشرف . هذا الكرسي الذي احتلته طويلا إلى يمين البارون سيكون غنيمة للمؤدب . يالشقائي ! شخص أبله ، سكير وقح ، يقصيني إلى نهاية المائدة ! سيقدم إليه كبير الخدم أول كأس من الخمر المصنوعة من أعناب ملقا ، وحين تصل الأطباق إليّ ، تكون قد بردت تقريبا ، وأفضل قطع اللحم قد التهمت ولم يبق حول أفراخ الحجلان من ملفوف أو جزر ، أيتها الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ! إن احتلاله لذلك الكرسي ، أمس ، أمر لا اعتراض عليه إذ كان قد وصل لتوه ، وهي المرة الأولى ، منذ سنوات عديدة ، التي يجلس فيها إلى هذه المائدة . رباه ! ما أفظع التهامه للطعام ! كلا لن يبقى لي سوى عظام وأقدام الدجاج . إني لا أرضى بهذه الإهانة . الوداع ، أيها الكرسي الجليل حيث ملت مراراً إلى الخلف وقد اكتظت من الأطعمة الشهية ! . الوداع ، أيتها الزجاجات المختومة ، ورائحة الطرائد الناضجة ! الوداع أيتها المائدة العظيمة ، وقاعة الطعام النبيلة ، إني لن أتلو

بعد الآن صلاة المائدة! سأعود إلى وظيفتي الكهنوتية،
فلا يراني أحد بين جمهور المدعوين، وأنا أفضل، مثل
يوليوس قيصر، أن أكون الأول في القرية على أن أكون
الثاني في روما(*) . (يخرج)

* هذه العبارة قالها يوليوس قيصر أثناء اجتيازه لقرية في جبال الألب .

المشهد الثالث

(حقل أمام منزل صغير) تدخل روزات وبارديكان

بارديكان ما دامت والدتك ليست هنا، تعالي نقوم بنزهة قصيرة .

روزات أتظنّ أنه سينالني خير من كل هذه القبلات التي تعمري بها؟

بارديكان ما الذي يسوءك منها؟ إني لعلّ استعداد أن أقبلك أمام والدتك . ألسنت أخت كامبي؟ ألسنت أخاك كما أنا أخوها؟

روزات الكلمات تبقى كلمات، والقبلات تبقى قبلات . إني لا أحسن الكلام كثيرا، وأنا ألاحظ ذلك حالما أريد أن أقول شيئا . السيدات الجميلات يعرفن كيف يتصرفن، حسبما يقبل لهن الناس يدهن اليمنى أو اليسرى . إن آباءهن يقبلونهن على جباههن، وإخوتهن على خدودهن، وعشاقهن على شفاههن . أما أنا فالكل يقبلني على خديّ وهذا أمر يحزنني .

بارديكان ما أجملك، يا صغيرتي!

روزات يجب ألا يكون ذلك سبباً آخر في إغضابك ، لله ما أشد ما كنت تبدو حزينا هذا الصباح ! هل فشل مشروع زواجك ؟

بارديكان فلاحو قرينك يتذكرون أنهم قد أحبوني ، وكلاب فناء الدواجن وأشجار الغابة تتذكر ذلك ، أما كامى فلا تتذكر . وأنت ياروزات ، متى تتزوجين ؟

روزات أرى أن نكف عن الكلام في هذا الموضوع . لننتحدث عن الجو ، عن تلك الأزهار ، عن جياذك ، وعن طاقباتي (*)

بارديكان عن كل ما يرضيك ، عن كل ما يمكن أن يمر على شفتيك دون أن يزيل عنهما هذه الابتسامة الملائكية التي أقدرها أكثر من حياتي . (يقبلها)

روزات أراك تحترم ابتسامتي ولا تحترم شفتي . عجباً ! هاهي قطرة مطر تسقط على يدي ، مع أن السماء صافية .

بارديكان ساحميني .

روزات ما الذي ساءك مني ، حتى تذرف الدمع ؟ (يخرجان)

* غطاء للرأس شائع في الريف الفرنسي .

المشهد الرابع

(في القصر) يدخل بلازيوس والبارون

بلازيوس سيدي، إن لديّ خبراً غريباً أريد أن أعلمك به . منذ قليل، كنت بالصدفة في المطبخ، أقصد في الصالون - ماذا عساي أفعل في المطبخ؟ - كنت إذا في الصالون . وكنت قد وجدت بالصدفة زجاجة خمر، أقصد إبريق ماء - كيف يمكنني أن أجد زجاجة خمر في الصالون؟ - كنت إذا أقوم بشرب جرعة من الخمر، أقصد كوب ماء، حتى لا أشعر بثقل الوقت، وكنت أنظر من النافذة، بين أصيصين يتميزان بأسلوبهما العصري، رغم أنها تقليد للفن الآتروري . (*)

البارون لله ما أزعج طريقتك بالكلام، يا بلازيوس! إن حديثك غير مفهوم .

بلازيوس أصغ إلي، يا سيدي، أعطني سمعك لحظة . كنت إذا أنظر من النافذة . ترث قليلاً، ناشدتك الله! إن شرف العائلة في خطر .

البارون العائلة! ويلاه، ماذا أسمع! شرف العائلة، يا بلازيوس! أتعلم أننا سبعة وثلاثون ذكراً، وقدرهم تقريباً نساء، في باريس والريف على حد سواء؟

* من أتوريا التي كانت تقع قديماً غربي إيطاليا .

بلازيوس

هلا تركتني أكمل كلامي . بينما أنا أشرب بعض الخمر،
أقصد كوب ماء، تسهيلات لعملية الهضم، تصور أني
رأيت السيدة بلوش تمر من تحت النافذة وهي تلهث .

البارون

لماذا كانت تلهث، يابلازيوس؟ هذا أمر غريب .

بلازيوس

وإلى جانبها، محمرة من الغضب، ابنة اختك كامي .

البارون

من كانت محمرة من الغضب، ابنة أختي أم السيدة
بلوش؟

بلازيوس

ابنة أختك ياسيدي .

البارون

ابنة أختي محمرة من الغضب! هذا أمر لا يصدق!
وكيف علمت أن ذلك من فرط الغضب؟ قد تكون
محمرة لألف سبب وسبب، لا بد أنها طاردت بعض
الفراشات في حديقتي .

بلازيوس

لا أستطيع أن أجزم في شيء، هذا جائز، لكنها كانت
تصرخ بشدة: «هيا! اذهبي إليه! افعلي ما يقال لك!
إنك غبية! أنا أريد ذلك!» وكانت تضرب بمروحتها على
مرفق السيدة بلوش التي كانت تقفز وسط البرسيم عند
كل صيحة .

البارون

وسط البرسيم؟ . . . وبم كانت المربية تحجب على
هلوسات ابنة أختي؟ لأن هذا التصرف يستحق أن
يوصف هكذا .

بلازيوس

كانت المربية تجيب : « لا أريد أن أذهب ! إني لم أجده !
فهو يغازل فتيات القرية ، راعيات الديكة الرومية . ثم
إني بلغت من العمر عتياً ، مما لا يسمح لي أن أنقل
رسائل غرامية ، لقد عشت حتى الآن ، بفضل الله ،
نظيفة اليدين » . وفيما هي تتكلم ، كانت تدعك في يديها
قصاصة من ورق مطوية طيتين .

البارون

لا أفهم شيئاً ، إن أفكاري قد تشوشت تماماً ، ما الذي
يحدو السيدة بلوش على أن تدعك قصاصة من ورق
مطوية طيتين بينما هي تقفز وسط البرسيم ؟ ليس في
مقدوري أن أصدق شناعات من هذا القبيل .

بلازيوس

ألم تدرك بوضوح ، يا سيدي ، ما يعني كل ذلك ؟

البارون

لا والله يا صديقي ، إني لا أفهم شيئاً ، الواقع أن كل
ذلك يبدو لي تصرفاً مشوشاً ، لا سبب ، ولا عذر له .

بلازيوس

هذا يعني أن ابنة أختك تراسل أحدهم في الخفاء .

البارون

ماذا تقول ؟ أتعرف عنم تتكلم ؟ زن كلامك يا سيدي
الكاهن .

بلازيوس

إني لو وزننته في الميزان الإلهي الذي سيرن روعي يوم
الحشر ، ما وجدت فيه كلمة واحدة كاذبة . ابنة أختك
تراسل أحدهم في الخفاء .

البارون

لكن هلا فكرت ، يا صديقي ، أن ذلك مستحيل !

بلازيوس

لماذا إذاً عهدت إلى مربيتهـا بإيصال رسالة؟ لماذا
صرخت: « اذهبي إليه! » بينما تحزن الأخرى وتقطب؟

البارون

إلى من كانت موجهة تلك الرسالة؟

بلازيوس

هنا العقبة الكأداء، يا سيدي. إلى من كانت موجهة
تلك الرسالة؟ إلى رجل يغازل راعيات الديكة الرومية.
وعلى هذا الأساس فإن رجلاً يلاحق علناً راعية ديك
رومية حريّ أن يكون قد خلق ليرعاها بدوره. على أنه
يستحيل أن تغرم ابنة أختك، بعد التربية التي تلقتها
برجل من هذا النوع، هذا ما أقوله لنفسى، والذي
يجعلنى لا أفهم شيئاً، مثلك تماماً. . مع اعتذارى.

البارون

رباه! لقد صرحت لى ابنة أختى، هذا الصباح عينه،
أنها ترفض ابن خالها باردىكان. أتراها تحب راعي ديك
رومية؟ لندخل إلى غرفة مكتبى، إني تعرضت منذ
البارحة لهزات عنيفة بحيث لا أستطيع أن أجمع شتات
ذهنى المبعثر. (ينحرجان)

المشهد الخامس

(نبتع فف فبابة) ففءل بارفكان وهو فقرأ بطاقة

بارفكان

«أأضر الظهر إلى النبتع الصفر» ماذا فعنف كل هذا؟
بروءة شفءفة؁ رفض قاطع فف منتهى القسوء؁ كبرفاء
فقدت كل إحساس؁ وفوق ذلك موءء؟ إن كانت فرفء
أن تكلمنف فف بعض الأمور الهامة؁ ففما الءاعف إلى أأأفار
مكان مثل هذا؟ لعلها فءلل علف؟ هذا الصباء بففما
أفزه مع روزاء؁ سمعت حركة بفف أشاءش الفابة؁
وظننتها صاءرة عن ظففة. أفكون هناك مكفءة ما؟
(فءل كامف)

كامف

مرأفا؁ فابن أالف؁ عئءما عاءرئف هذا الصباء.
لأأظف أأأ أم صوابا. إنك كنت فبءو مأكءراً. لقق
أمسكت بففء برعم إراءف؁ وأنا أأف أطلب إللك أن
فعطفنف فءك. إنف أبفء علفك قبله؁ والآن هف لك.
(فقبله) إنك قلت لف إنك أأ أن فسامر معف
كصءفق. أألس هنا ولئفأء. (فألس)

بارفكان

هل كنت أألم من قبل؟ هل أألم الآن مرة أخرى؟

كامي

لقد استغربت أن تتلقى بطاقة مني ، أليس كذلك؟ إني متقلبة المزاج . لكنك قلت لي هذا الصباح كلمة صائبة : «مادمنا سنفترق ، فلنفترق صديقين» . أنت لا تعلم السبب الذي يبعثني على السفر، ولقد جئت أخبرك به : سأصبح راهبة .

بارديكان

هل هذا ممكن؟ أهذه أنت يا كامي ، التي أبصرك في هذا النبع ، جالسة تحت زهور اللؤلؤ . كما في الأيام الخوالي؟

كامي

نعم ، يا بارديكان ، هذه أنا . لقد أتيت لأعيش ربع ساعة من حياتنا الماضية . إن كنت بدوت لك فظة ومتكبرة ، فهذا في غاية البساطة أني زهدت في الدنيا . لكن ، قبل أن أفارقها ، يسرني أن أسألك عن رأيك . أتراني على صواب حين أترهب؟

بارديكان

لا تسأليني عن هذا الأمر ، لأني لن أصبح راهبا أبداً .

كامي

خلال العشر سنوات التي عشناها بعيدين الواحد عن الآخر ، بدأت أنت تجربة الحياة . إني أعلم أي رجل أنت ، ولا بد أنك قد تعلمت الكثير في فترة قصيرة بقلبك وعقلك هذين . قل لي هل صاحبت بعض الفتيات؟

بارديكان

لم هذا السؤال؟

كامي

أجبنني ، أرجوك ، بلا تواضع ولا غرور .

بارديكان

لقد صاحبت .

- كامي هل أحببتهن؟
- بارديكان كل الحب .
- كامي أتعلم أين هن الآن؟
- بارديكان يا للأسئلة الغريبة . ماذا تريدني أن أقول لك؟ لست زوجهن ولا أخاهن ، لقد ذهبن حيث طاب لهن الهوى .
- كامي لابد ، بالضرورة ، أن يكون بينهما واحدة فضلتها على الأخريات . كم بقيت تحب هذه التي أحببتها أكثر من غيرها؟
- بارديكان أنت فتاة غريبة الأطوار! أتريدن أن تكوني معرفتي؟(*)
- كامي ناشدتك بالله إلا أجبتني بصراحة . أنت لست فاسقا ، وأنا واثقة أن قلبك نزيه . لابد أنك استهويت النساء ، لأنك تستحق ذلك ، وما كنت حريا أن تستسلم لنزوة ، أجبني أرجوك .
- بارديكان لعمري ، إني لا أذكر.
- كامي أتعرف رجلا لم يحب سوى امرأة؟
- بارديكان هناك بلا ريب .

* المعرف : الكاهن الذي يعترف إليه المؤمنون بذنوبهم .

- كامي هل هو أحد أصدقائك؟ قل لي ما اسمه؟
- بارديكان ليس لدي اسم أقوله لك ، إنما أعتقد أن هناك رجالا يستطيعون ألا يحبوا سوى مرة واحدة .
- كامي كم مرة يمكن للرجل الشريف أن يحب؟
- بارديكان أتريدني أن أتلو عليك صلاة مملّة ، أم أنت تسمعين كتاب تعليم ديني؟
- كامي إني أرغب أن أستنير برأيك لأعلم إن كنت مخطئة أو مصيبة في أن أترهب . لو أتي تزوجتك ، أفلن تحب بصراحة عن كل أسئلتي ، وتفتح لي قلبك؟ أنا أقدرك كثيرا ، وأثق أنك تفضل بتربيتك وطبعك ، العديد من سائر الرجال . إني مستاءة إذ لم تعد تذكر ما أطلبه منك ، لعلّي أتشجع حين أعرفك بشكل أفضل .
- بارديكان ما غرضك من كل هذا؟ تكلمي ، سأجيب .
- كامي أجب إذاً عن سؤالي الأول : هل أنا على صواب حين أبقى في الدير؟
- بارديكان لا .
- كامي من الخير لي إذاً أن أتزوجك؟
- بارديكان أجل .

كامي : لو أن خوري كنيستك نفخ على كوب ماء ، ثم قال لك
إنه كوب خمر ، أفتشربه على هذا الأساس؟

بارديكان : لا .

كامي : لو أن خوري كنيستك نفخ فوق رأسك وقال إنك
ستحبني طول العمر ، هل سيكون ذلك سببا لأن
أصدقك؟

بارديكان : نعم و لا .

كامي : ماذا عساك تنصحني أن أفعل يوم أكتشف أنك لم تعد
تحبني؟

بارديكان : أن تتخذي عشيقا .

كامي : ماذا عساي أن أفعل من ثم حين يملّني عشيقتي؟

بارديكان : تتخذين عشيقا آخر .

كامي : كم من الوقت سيستمر ذلك؟

بارديكان : حتى يشتعل رأسك شيبا ، وعندئذ يكون شعري قد
أبيض .

كامي : أعلم كيف تكون الأديرة ، يا بارديكان؟ هل جلست
عمرك يوما كاملا على مقعد صومعة نساء؟

بارديكان

نعم، جلست. (*)

كامي

لدي صديقة راهبة في الثلاثين من عمرها فقط، وقد حصلت على إيراد قيمته خمسمائة ألف ريال في سن الخامسة عشرة، إنها أجمل وأنبل مخلوقة مشيت على الأرض. لقد كانت زوجة أحد نواب البرلمان، وكان زوجها واحدا من خيرة الرجال في فرنسا. هذا إلى أنها لم تترك فضيلة من فضائل النفس البشرية إلا ونمّتها، ومثل شجرة ذات عصارة خاصة، فإن جميع براعمها قد أعطت أغصانا. لن يجد الحب والسعادة جبيننا أجمل ليضعا عليه تاجهما المزهري، إن زوجها قد خانها، فأحببت سواه، وهي في حالة من اليأس الشديد.

بارديكان

كامي

هذا ممكن.

كنا نسكن نفس الحجرة، وقد أمضيت ليالي بأكملها أتكلم عن مصائبها، إنها أصبحت تقريبا مصائبني، أليس هذا غريبا؟ لا أدري تماما كيف حدث لي ذلك. لما كانت تحدثني عن زواجها، لما كانت تصف لي أولا نشوة الأيام الأولى ثم هدوء الأخرى، وكيف أخيرا تلاشى كل شيء، كيف كانت هي تجلس في المساء قرب النار، وهو إلى النافذة، لا يتبادلان كلمة واحدة، كيف ذوى حبهما، وكيف أن جميع محاولات التقارب كانت تنتهي

* بالطبع بارديكان لم يجلس على هذا المقعد، إنها كامي لا تلقي بالاً إلى الجواب لأنها مستغرقة في ذكراها.

دائماً إلى شجار، كيف أن وجهاً غريباً راح يدخل شينا
فشيئاً بينهما، ويندس في عذابهما، فلاني كنت أرى روجي
تضطرب وهي تتكلم. حين كانت تقول : « هناك،
كنت سعيدة»، إذا بقلبي يدق بعنف، وحين كانت
تضيف : « هناك بكيت»، إذا بدموعي تنهمر. لكن
تصور أمراً أكثر غرابة أيضاً، لقد وصل بي الحال أن
خلقت لنفسي حياة وهمية، وقد استمر هذا أربع
سنوات، من العبث أن أقول لك بعد كم من التفكير،
ومراجعة الذات حصل كل ذلك. إنها أود أن تعلم أن
جميع قصص لوزير التي أرويها لك وكأنها طرفة وجميع
خيالات أحلامي فيها شبه بك.

شبه بي، أنا؟

بارديكان

نعم، وهذا أمر طبيعي، فأنت كنت الرجل الوحيد
الذي عرفته. الحق أقول إنني أحببتك، يابارديكان.

كامي

كم عمرك، ياكامي؟

بارديكان

ثمانية عشر عاماً.

كامي

تابعي، تابعي، إنني مصغ.

بارديكان

هناك مائتا امرأة في ديرنا، بعضهن لن يرين العالم أبداً،
وكل الباقيات ينتظرن الموت،. العديداً منهن غادرن
الدير، مثلي اليوم، عذراوات، مفعمات بالأمل، وقد
عدن بعد فترة قصيرة، هرمات، كئيبات. كل يوم يموت

كامي

منهن في مهاجعنا ، وكل يوم تأتي أخريات فيأخذن
أماكن المتوفيات فوق فراش الشعر، الغرباء الذين يقومون
بزيارتنا ، يعجبون بهدوء ونظام المكان ، إنهم يطيلون
النظر إلى بياض أغطية رؤوسنا ، بيد أنهم يتساءلون لماذا
نرسلها على أعيننا . مارأيك في هؤلاء النساء يابارديكان؟
هل هن على خطأ أم على صواب؟

بارديكان

لا أدري شيئا .

لقد نصحتني بعضهن أن أبقى عذراء . أكون جد
مسرورة أن أعرف رأيك . أظن أنه كان من الخير لهؤلاء
النسوة أن يتخذن عشيقا ، وأن ينصحنني أن أحذو
حذوهن؟ .

كامي

لا أدري شيئا .

بارديكان

قد وعدت أن تجيبي .

كامي

إني في حل من ذلك ، بطبيعة الحال ، لا أظن أنك أنت
التي تتكلمين .

بارديكان

هذا جائز . لابد أن هناك في جميع أفكاري أشياء جد
مضحكة ، لعلني لقنت درساً ، وأني مجرد ببغاء أردد
ما قيل لي . هناك في الردهة لوحة صغيرة تمثل راهبا
منحنيا فوق كتاب صلوات ، عبر قضبان حجرته ينساب
شعاع من شمس ، ونشاهد نزلا إيطاليا يرقص أمامه
راعي غنم . أي هذين الرجلين تفضل أكثر؟

كامي

بارديكان لا هذا ولا ذاك وكليةما معاً، إنها رجلان من لحم ودم،
أحدهما يقرأ، والآخر يرقص، هذا كل ما أراه. أنت على
صواب حين تترهين.

كامي كنت تقول لي لا منذ هنيهة.

بارديكان هل قلت لا؟ هذا ممكن.

كامي إذاً هل تنصحنى بذلك؟

بارديكان إذا أنت لا تؤمنين بشيء؟

كامي ارفع رأسك، يا بارديكان! من هو المرء الذي لا يؤمن
بشيء؟

بارديكان : (يقف) ها هو واحد، إني لا أؤمن بالآخرة. أختي
العزيزة، لقد أعطتك الراهبات تجربتهن، لكن
صدقيني، هي ليست تجربتك، لن تموتي دون أن تحيي.

كامي أريد أن أحب، إنها لا أريد أن أتألم، أريد أن أحب حبا
سرمديا، وأقسم أيماناً لا تنال منها عادات الأيام. ها هو
حبيبي (تشير إلى مصلوب) (*)

بارديكان هذا الحبيب لا يتنافى مع الآخرين.

كامي بالنسبة لي، على الأقل، إنه سيقصدهم. لا تبتسم
يا بارديكان! لقد انقضت عشر سنين لم أشاهدك فيها،

* صليب يمثل المسيح مصلوباً.

وأنا راحلة غدًا. خلال عشر سنوات أخرى، إن تلاقينا ثانية نعاود الحديث عن ذلك. لم أشأ أن أبقى في خيالك مثل تمثال بارد، إذ أن جمود العاطفة يؤدي إلى ما أنا عليه. اقبل نصيحتي، عد إلى الحياة، وما دمت سعيدا، مادمت تحب كما يمكن للناس أن يحبوا على الأرض، انس أختك كامبي، لكن إن حدث لك يوما أن نسيك الآخرون أو نسيت نفسك، وإن فقدت الأمل في كل شيء، متى رأيت نفسك وحيدا وقد جف قلبك، ففكر في، أنا التي سأصلي من أجلك.

أنت متكبرة، انتبهي لنفسك.

بارديكان

لماذا؟

كامبي

أنت في الثامنة عشرة، ولا تؤمنين بالحب؟

بارديكان

أتؤمن به أنت، يا من تتكلم؟ إنك جاث بقربي على ركبتيين تأكلتنا فوق بسط خليلاتك، وها أنت قد نسيت أسماءهن. لقد ذرفت دموع الفرح ودموع اليأس، على أنك تعلم أن مياه الينابيع أكثر ثباتا من دموعك وأن هذه المياه ستكون دائما هناك لتغسل جفونك المتفتحة. أنت تعيش حياتك كشاب، فتبتسم حين تحدث عن نساء يائسات، إنك لا تعتقد أنه قد يموت المرء من الحب، أنت يا من تتمتع بالحياة ومن أحبيت. تبا لهذه الحياة! أحسب أنك لا بد تحقر بشدة النساء اللواتي يرضين بك كما أنت، ويطردن آخر عشيق لهن، ليحتضنك إلى

كامبي

صدورهن، وقبلات سواك على شفاههن . سألتك منذ
هنية إن كنت أحببت، وقد أجبتي مثل ذلك المسافر
الذي يسأل هل كان في إيطاليا أو في ألمانيا، والذي
يقول: «نعم، قد كنت فيها»، ثم يفكر في الذهاب إلى
سويسرا، أو إلى أول بلد يصادفه . هل حبك إذا قطعة
نقود حتى يستطيع أن ينتقل من يد إلى يد حتى الممات؟
كلا إنه ليس خليفاً أن يكون قطعة نقود، لأن أصغر
قطعة ذهبية تساوي أكثر منك، ومهما كانت الأيدي التي
تتناقلها، فإنها تحافظ على صورتها .

ما أجملك يا كامى عندما تشع عيناك!

بارديكان

أجل، أنا جميلة، أعلم ذلك، لن يعلمني المداحون شيئاً
جديداً، وأظن الراهبة التي ستقص لي شعري سيربد
وجهها لسقوطه عن رأسي، لكنني لن أدعه يتحول إلى
خواتم وسلاسل، (*) لأطوف به صالونات صواحيبي،
والله لن ينقص منه شعرة واحدة حتى يعث فيه
المقص، وحينما يلبسني الكاهن الذي يباركني الدبلة
الذهبية لزوجي الإلهي، فإن خصلة الشعر التي سأعطيها
إياها قد تصلح له معطفاً .

كامي

لعمرى، إنك مستاءة .

بارديكان

ما كان حرياً بي أن أتكلم، إن حياتي كلها على شفتي،
آه، يا بارديكان لا تسخر مني، كل ذلك كثيب، ممت .

كامي

* أي تسريحات على شكل خواتم وسلاسل .

بارديكان

أيتها الطفلة المسكينة ، إني أدعك تتكلمين ، وأنا أرغب
أن أجيبك بكلمة . أنت تحدثيني عن راهبة يبدو لي أنه
كان لها تأثير سيء عليك ؛ إنك تقولين إن زوجها قد
خانها ، وإنها خانتها من جهتها ، وهي يائسة . أواثقة أنت
من أنها إذا عاد زوجها أو عشيقها ومدَّ إليها يده من
خلال حاجز قاعة الزيارة ، فلن تقابله بالمثل ؟

كامي

ماذا تقول ؟ لم أسمع جيدا .

بارديكان

أواثقة أنت من أنها إذا عاد زوجها أو عشيقها وقال لها أن
ترجع إليه وتقاسي ثانية ، فسوف تجيب بلا ؟

كامي

إني واثقة .

بارديكان

هناك مائتا امرأة في ديرك ، وأغلبهن يعانين من جروح
عميقة في قلوبهن ، لقد جعلتك تجسينها ، وصبغن
مخيلتك العذراء بقطرات دمائهن . هن قد عشن ، أليس
كذلك ؟ وأشرن لك بهلع واشمئزاز إلى درب حياتهن ،
أنت صلبت أمام ندوبهن ، كما أمام جراح يسوع لقد
أخلين لك مكانا بينهن في أثناء زيارتهن^(*) ، وإذا بك
تلوذين بأجسادهن الهزيلة والرعب يتولاك إذ يمر من
أمامك رجل . أواثقة أنت من أنهم إذا كان الرجل المار
هو الذي خاضن ، الذي من أجله يبكين ويتعذبن ،
الذي يلعنه في أثناء صلاتهن ، أواثقة أنت من أنهم حين

* الزَّيَّاح : عند المسيحيين : الطواف بأشياء مقدسة كالأيقونات أو القربان داخل الكنيسة أو خارجها .

يشاهدنه لن يحطمن أغلالهن ويعدن إلى مصائبهن
الماضية ، ويملن بصدورهن على الخنجر الذي أدماهـن؟
مسكينة أنت يا طفـلتي ! أتدركين طبيعة أحلام هؤلاء
النسوة اللواتي يقلن لك ألا تحلمي؟ أتعلمين ما هو
الاسم الذي يهمسن به حينما ترجف الزفرات الخارجة من
شفاههن القربان الذي يقدم إليهن؟ هؤلاء اللواتي يجلسن
إلى جانبك وقد رحن يهززن رؤوسهن ليصبين في أذنك
شيخوختهن الذاوية ، هؤلاء اللواتي يقرعن وسط حطام
شبابك ناقوس يأسهن ، ويجعلن دمك القاني يشعر
ببرودة لـدهن ، أتعلمين من يكن .

إنك تخيفني ، الغضب يتولاك أنت أيضا .

كامي

أتعلمين ماهـن الراهبات ، أيتها الفتاة البائسة؟ أولئك
اللواتي يصورن لك حب الرجال كذبا وبهتاناً ، هل يعلمن
أن هناك ما هو أسوأ بكثير ، وهو كذب الحب الإلهي؟
أيعلمن أنهن يرتكبن جريمة إذ يهمسن في أذن فتاة عذراء
بكلـمات امرأة؟ رباه ، ما أكثر ما حفظنك الدرس!
وما أسرع ما تنبـهت إلى ذلك حين توقفت أمام صورة
عمتنا الشمطاء! كنت تريدين أن ترحلي دون أن
تودعيني ، ما كنت تريدين أن تلقي نظرة على هذه
الغابة ، ولا على هذا النبع الصغير الذي ينظر إلينا
والدموع تتفجر من مآقيه ، إنك قد تنكرت لأيام
طفولتك ، وقناع الجص الذي وضعتـه الراهبات على

بارديكان

خديك، ضن عليّ بقبلة أخوية، لكن قلبك خفق، لقد نسي درسه، هو الذي لا يعرف القراءة، وها أنت قد أتيت تجلسين على العشب حيث نحن الآن. نعم، ياكامي هؤلاء النسوة أحسن الكلام معك، إنهن وضعنك على الطريق الصحيح، ربما كلفني ذلك سعادتي، إنما قولي لهن عن لساني: السماء ليست لهن.

ولاي، أليس كذلك؟

كامي

الوداع، ياكامي عودي إلى ديرك، ومتى قصصت عليك تلك الحكايات المريعة التي سممت تفكيرك، أجيبني بما سأقوله لك: جميع الرجال كاذبون، خائنون، مزيفون، ثرثارون، متكبرون أو جنباء، وضعيون، فاسقون، جميع النساء خائنات، مكرات، مغرورات، فضوليات، ساقطات، المجتمع حمأة لا قرار لها تتمرغ فيها عجول بحر كريمة المنظر، غير أن هناك شيئاً مقدساً سامياً، وهو زواج اثنين من هذه المخلوقات الناقصة، الشنيعة، غالباً ما يتعرض المحب للخيانة في حبه، ولجرح كرامته، وللشقاء، بيد أنه يجب، وإذ هو على حافة القبر إذا به يستدير لينظر إلى الخلف، فيقول: لقد تأملت مراراً، وانخدعت أحياناً لكنني أحببت. أنا نفسي الذي عشت، وليس كائناتنا وهمياً خلقه كبريائي ومللي. (ينخرج).

بارديكان

الفصل الثالث

المشهد الأول

(أمام القصر) يدخل البارون وبلازيوس

البارون بغض النظر عن إدمانك الخمر، فأنت نذل تافه يا سيد بلازيوس . إن خدمي يرونك تدخل خفية إلى المطبخ وحين يتم لك سرقة إحدى قناني بكل سفالة، ترى أن تبرر موقفك باتهامك ابنة أختي بأنها تراسل شخصاً في الخفاء .

بلازيوس لكن، يا سيدي، بالله إلا تذكرت . . .

البارون اخرج، أيها السيد الكاهن، ولا ترني وجهك ثانية، من غير المعقول أن يتصرف المرء كما تفعل أنت، ووقاري يحتم علي ألا أسأحك ماحييت (يخرج، يتبعه بلازيوس . يدخل بارديكان) .

بارديكان أود لو أعلم إن كنت عاشقاً . من جهة، هذه الطريقة الفظة في الاستجواب التي لا تناسب فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، ومن جهة أخرى فإن الأفكار التي غرستها هؤلاء الراهبات في رأسها سيكون من العسير تقويمها .

ثم إنه يتوجب عليها أن ترحل اليوم . لعمري إني أحبها ،
لا ريب في ذلك ! وبعد ، من يدري ؟ لعلها كانت تتلو
درساً ، لكن من الواضح أنها لا تلقي إلي بالآ . من جهة
أخرى مهما كانت جميلة ، فإن هذا لا ينفي أن تصرفاتها
حازمة جداً ، ولهجتها فظة . ما علي إلا أن أطرحها من
فكري ، من الواضح أني لا أحبها . إنها جميلة ، لاشك
في ذلك ، إنها لماذا لا يريد حديث أمس أن يخرج من
رأسي ؟ الحق أقول : إني أمضيت الليل أهذي . أين
أذهب إذاً ؟ آه ! أنا ذاهب إلى القرية .

(يخرج)

مكتبة مدار الأريكة
www.books4all.net

المشهد الثاني

(طريق) يدخل بريدان .

بريدان ماذا يفعلون الآن يا ترى؟ أواه! ها هو الظهر، هم الآن على المائدة . ماذا يأكلون؟ ماذا لا يأكلون؟ لقد شاهدت الطاهية تعبر القرية ومعها ديك رومي هائل الحجم . وكان مرافقها يحمل الكساء(*)، بالإضافة إلى سلة عنب . (يدخل السيد بلازيوس).

بلازيوس يا للمصيبة غير المتوقعة! ها قد طردت من القصر، وبالتالي من غرفة الطعام . لن أشرب بعد الآن خمر المطبخ .

بريدان لن أشاهد بعد الآن بخار أطباق الطعام، لن أدفء بعد الآن بطني الممتلئ، على نار المدفأة الجلييلة .

بلازيوس ليت شعري لماذا دفعني فضول مشؤوم إلى أن أتقصت على حديث السيدة بلوش وابنة أخته؟ لماذا نقلت إلى البارون كل ما رأيته؟

بريدان ليت شعري لماذا أقصتني كبرياء باطلة عن هذا الغداء المجيد، حيث كنت أستقبل على الرحب والسعة؟ ماذا كان يضيرني لو كنت إلى اليمين أو إلى اليسار؟

* جنس فطور درنية تنبت وتتكاثر تحت الأرض وهي لذيذة الطعم .

بلازيوس أوأه! الحق أقول إني كنت ثملاً حينما ارتكبت ذلك العمل الطائش .

بريدان أوأه! لقد كنت في حالة سكر بين حينما ارتكبت تلك الحماقة .

بلازيوس كأني به الخوري .

بريدان إنه المؤدب بعينه .

بلازيوس أوه! أوه! ماذا تفعل هنا ، يا سيدي الخوري؟

بريدان أنا؟ إني ذاهب لأتغدى ، ألسنت ذاهباً أنت؟

بلازيوس ليس اليوم . واحسرتاه! يا سيد بريدان ، هلا تشفّعت لي ، إن البارون طردني . فقد اتهمت زيفاً الأنسة كامى بأنها تراسل شخصاً في الخفاء ، ومع ذلك فأنا أقسم بالله أني شاهدت أو خيّل لي أني شاهدت السيدة بلوش وسط البرسيم . لقد حلت بي الكارثة ، يا سيدي الخوري .

بريدان ماذا تقول؟

بلازيوس واهاً! واهاً! الحقيقة . لقد فقدت حظوتي كلها لأنى سرقت زجاجة خمر .

بريدان ما شأن زجاجات الخمر المسروقة مع البرسيم والرسائل السرية؟

بلازيوس أتوسل إليك أن تدافع عني . إني شريف ، يا مولاي بريدان . يا مولاي بريدان العظيم ، إني خادمك !

بريدان (يكلم نفسه) واسعداه! هل أنا أحلم؟ سأجلس عليك
إذاً، أيها الكرسي الطوباوي!

بلازيوس أكون شاكراً لك لو استمعت إلى حكايتي، وتفضلت
بالوقوف إلى جانبي، أيها السيد الفاضل، والخوري
العزیز.

بريدان يستحيل عليّ ذلك، أيها السيد إنه الظهر وأنا ذاهب
لأنغدى. إن كان البارون مستاء منك، فهذه مشكلتك.
لن أنشفع أبداً لسكر. (يخاطب نفسه) هيا فلنسرع إلى
البوابة، وأنت يا بطني، انتفخ (يخرج وهو يعدو)

بلازيوس (وحده) أيتها الحقيرة بلوش! أنت التي ستدفعين ثمن كل
ما حدث لي، أجل أنت سبب دماري، أيتها المرأة السفهية
والقوادة الخسيسية، إنك أنت التي أفقدتني حظوتي. يا
جامعة باريس المقدسة، إنهم يتهمونني بالسكر! إني هالك
إن لم أحصل على رسالة، ولم أثبت للبارون أن ابنة أخته
تراسل أحدهم. قد رأيتهما هذا الصباح تكتب على
مكتبها. صبراً! ها قد جاء الفرج (تمر السيدة بلوش حاملة
رسالة) بلوش أعطيني هذه الرسالة.

السيدة بلوش ماذا يعني هذا، إنها رسالة من سيدتي وأنا ذاهبة بها إلى
مكتب بريد القرية.

بلازيوس : هاتها، وإلا قتلتك!

السيدة بلوش تقتلني! تقتلني ماري، يسوع، يا أيتها العذراء، وبأياها
الشهيد!

بلازيوس أجل سأقتلك ، يا بلوش ! أعطيني هذه الورقة
(يتضاربان . يدخل باردِيكان)

بارديكان ماذا يجري ؟ ماذا تفعل ، يا بلازيوس ؟ لماذا تهجم على
هذه السيدة ؟

السيدة بلوش أعد لي الرسالة . لقد انتزعها مني ، يا سيدي ، العدل ،
العدل !

بلازيوس إنها قوادة ، يا سيدي . هذه الرسالة كتاب غرامي .

السيدة بلوش إنها رسالة من كامى ياسيدي ، من خطيتك .

بلازيوس إنها كتاب غرامي إلى راعى ديكة رومية .

السيدة بلوش أنت تكذب أيها الكاهن ، هذا ما أقوله لك .

بارديكان أعطني هذه الرسالة ، أنا لا أفهم سبب شجاركما . إنها
بصفتي خطيباً لكامى ، فياني أخوّل نفسي حق قراءتها .
(يقرأ) « إلى الأخت لوزير ، في دير . . . » (مخاطباً نفسه)
يا لهذا الفضول اللعين الذي يتولاني رغماً مني ! قلبي يدق
بعنف ، وأنا لا أعلم ما يتتابني - عودي إلى القصر ،
يا سيده بلوش ، إنك امرأة فاضلة . والسيد بلازيوس
رجل أحق . اذهبا وتغديا سأتكفل بإيداع هذه الرسالة
في البريد . (يخرج بلازيوس والسيدة بلوش) .

بارديكان (وحده) إن فتح رسالة لجريمة ، وأنا أعلم ذلك بحيث
لا أفعله . ماذا عسى كامى أن تقول في هذه الرسالة ؟
أأكون إذاً عاشقاً ؟ أي سلطان لهذه الفتاة الغريبة الأطوار
عليّ ، إذ تأخذ يدي في الارتعاش لدى قراءتي للكلمات

الثلاث المكتوبة على هذا العنوان؟ لكن ، ماذا أرى؟ إن السيد بلازيوس ، أثناء محاولته انتزاع الرسالة من السيدة بلوش ، قد أزال الختم . هل فض الورقة جريمة(*) حسناً ، لن أغير فيها شيئاً . (يفتح الرسالة ويقرأ) : «إني راحلة اليوم ، يا عزيزتي ، وكل شيء ، قد تم كما توقعته . إنه لأمر رهيب . فهذا الشاب قد دخل الخنجر في قلبه ، وهو لن يسألني بعد ذهابي ، لكنني فعلت جهد استطاعتي لأنفّر مني . ليساعني الله على ما سببته له من يأس برفضني . آه ، يا عزيزتي . ما حيلتي في ذلك؟ صلي من أجلي ، إننا سنلتقي غداً . وإلى الأبد . ودمت للتي لا تنساك» .

كامي

بارديكان

أمعقول ذلك؟ كامي تكتب هذا! إنها تتكلم عني أنا؟! أنا يائس بسبب رفضها! تالله لو كان ذلك صحيحاً ، لبدت علي ظواهره ، ما العار في أن يحب المرء؟ هي تقول إنها قد فعلت جهد استطاعتها لتنفّرني منها ، وأنا قد دخل الخنجر في قلبي! ما مصلحتها في استنباط حكاية مثل هذه؟ أكان إذاً ما فكرت فيه هذه الليلة صحيحاً؟ يا للنساء! لعل هذه المسكينة كامي على درجة كبيرة من التقى! إنها ، بملء إرادتها ، تهب نفسها لله إنها هي قد صممت وقررت أن تتركني فريسة اليأس . وهذا كان متفقاً عليه فيما بين الصديقات الصالحات قبل مغادرة

* لم يكن استعمال المظروف معروفاً في القرن الثامن عشر ، الرسالة كانت عبارة عن ورقة مطوية ومختومة .

الدير. لقد قررن أن تذهب كامى لرؤية ابن خالها الذي
يرغب البارون في تزويجه إياها، وأن ترفض، فيتولى اليأس
قلب الشاب. حقاً إن هذا الأمر عظيم، أن تضحي فتاة
شابة بسعادة ابن خالها في سبيل الله! كلا، كلا،
يا كامى، إني لا أحبك وإني لست يائساً، ولم يدخل
الخنجر في قلبي. ولسوف أثبت لك ذلك! نعم،
ستعلمين أني أحب واحدة سواك قبل أن ترحلي من هنا.
يا أيها الرجل الطيب! (يدخل فلاح) اذهب إلى القصر،
وقل لهم في المطبخ أن يرسلوا خادماً بهذه الكلمة إلى
كامى. (يكتب)

أمرك، يا سيدي. (يخرج)

الفلاح

والآن إلى الأخرى. آه! إني يائس! هيه، روزات،
روزات! (يطرق باباً)

بارديكان

(تفتح) هذا أنت، يا سيدي! ادخل إن والدتي هنا.

روزات

ضعي أجل قبعة لديك، يا روزات، وتعالى معي.

بارديكان

إلى أين هكذا؟

روزات

سأخبرك بذلك، استأذني والدتك، ولكن أسرعى.

بارديكان

أمرك يا سيدي. (تدخل البيت)

روزات

لقد سألت كامى موعداً آخر، وأنا واثق أنها ستأتي،
ولكن، بحق السماء. لن تجد هناك ما تتوقع أن تجده.
سأغازل روزات أمام كامى نفسها.

بارديكان

المشهد الثالث

(غابة صغيرة) تدخل كامبي والفلاح .

الفلاح سيدتي، إني ذاهب إلى القصر أحمل هذه الرسالة إليك .
هل لي أن أعطيك إياها أم أسلمها في المطبخ، كما قال لي
سيدي بارديكان؟

كامبي هاتها .

الفلاح إن كنت ترين أن أنقلها إلى القصر، فلا داعي لأن
تؤخريني

كامبي أقول لك : هاتها .

الفلاح كما تشائين (يعطيها الرسالة)

كامبي خذ هذا لقاء تعبك .

الفلاح شكراً جزيلاً، إني ذاهب، أليس كذلك؟

كامبي إن شئت .

الفلاح إني ذاهب، إني ذاهب (يخرج)

كامي

: (تقرأ) يطلب إليّ باردديكان أن أودّعه قبل أن أرحل ، عند النبع الصغير حيث استقدمته أمس . ماذا عساه يريد أن يقول لي؟ هاهو ذا النبع ، وأنا قد وصلت . هل لي أن ألبي دعوته هذه؟ رباه! (تختبئ خلف شجرة) هاهو باردديكان قادماً برفقة روزات ، أختي بالرضاعة . أحسب أنه سيغادرها ، إني جد مسرورة ألا يبدو عليّ أي قد قدمت أولاً. (يدخل باردديكان وروزات ، ويجلسان)

كامي

(مختبئة ، على حدة) ماذا يعني هذا؟ إنه يجلسها إلى جانبها؟ أيلتمس مني موعداً كي يأتي ويتسامر مع غيري؟ إني في شوق لمعرفة ما يقوله لها .

باردديكان

(بصوت مرتفع بحيث تسمعه كامي) أحبك يا روزات! أنت الوحيدة التي لم تنسي شيئاً من أيامنا الجميلة الماضية ، أنت وحدك تذكرين الحياة التي طواها الزمان ، خذي نصيبك من حياتي الجديدة ، هبيني قلبك أيتها الطفلة العزيزة ، إليك عربون حبنا (يضع سلسلته الذهبية في عنقها) .

روزات

أعطيني سلسلتك الذهبية؟

باردديكان

انظري الآن إلى هذا الخاتم . قومي وهيا نقرب من هذا النبع . أترينا كلينا في الماء ، يستند أحدهما إلى الآخر؟ أترين عينيك الجميلتين قرب عيني ، ويدك في يدي؟

انظري إلى كل ذلك وهو يتلاشى (يلقي خاتمته في الماء)
 انظري كيف اختفت صورتنا ، هاهي تعود شيئاً فشيئاً ،
 الماء الذي اضطرب يستعيد سكونه ، إنه مازال يرتعش ،
 ثمة دوائر كبيرة ، سوداء تجري فوق صفحته ، صبراً
 سنبدو ثانية . ها أنا ألح مجدداً ذراعيك المتشابكتين مع
 ذراعي ، ماهي إلا دقيقة حتى تختفي جميع التجاعيد من
 وجهك الجميل ، انظري لقد كان خاتماً أعطتني إياه
 كامبي .

(على حدة) لقد رمى خاتمي في الماء !

كامبي

أتعلمين ما هو الحب ، يا روزات ؟ أصغي ! الهواء
 يصمت ، ومطر الصباح ينساب لآلىء على الأوراق
 الجافة وقد راحت الشمس تبعث فيها الحياة . أقسم بنور
 السماء ، أقسم بهذه الشمس إني أحبك ! أنت
 تريدني ، أليس كذلك ؟ لا أحد أذبل شبابك ، لا أحد
 سرب إلى دمك القاني بقايا دم فاسد . أنت لا تريدني أن
 تصبحي راهبة هأنت ذي شابة ، وجميلة بين ذراعي
 شاب . آه يا روزات ، أتعلمين ما هو الحب ؟

بارديكان

للأسف ، يا سيدي الدكتور ! سأحبك قدر
 استطاعتي .

روزات

بارديكان

أجل، قدر استطاعتك . وأنت ستحبيني أفضل ، على الرغم من أي دكتور، وأنت فلاحه ، من تلك التماثيل الشاحبة التي تصنعها الراهبات والتي رأسها مكان القلب، وتخرج من الدير لتشيع في الحياة جو صوامعها الرطب ، أنت لا تعلمين شيئاً ، إنك لن تقرئي في كتاب الصلاة التي تعلمك إياها والدتك كما تعلمتها من أمها ، بل أنت لا تفهمين معنى الكلمات التي ترددتها ، حينما تركعين عند أسفل سريرك ، إنما أنت تدركين أنك تصلين ، وهذا كل ما يطلبه منك الله . (*)

عجيب كلامك ، يا سيدي .

روزات

بارديكان

أنت لا تعرفين القراءة ، ولكنك تعرفين ما تقوله هذه الغابات ، وهذه المروج ، هذه الأنهر الهادئة ، وتلك الحقول العامرة بالثمار ، كل هذه الطبيعة التي تتفجر بروعة الشباب . أنت تعرفين كل هذه الآلاف من الإخوة ، وأنا كواحد منهم ، قفي ستكونين زوجتي وستأصل معاً في عصارة العالم العظيم . (يخرج مع روزات)

※ يتجل لنا هنا إلحاد بارديكان ، وهي سمة كان يتميز بها شبان ذلك العصر ، بفعل الأفكار الفلسفية لفولتير وغيره من الفلاسفة العقلانيين .

المشهد الرابع

تدخل الجوقة .

الجوقة
من المؤكد أن ثمة شيئاً غريباً يحدث في القصر، لقد رفضت كامي الزواج ببارديكان، ويفترض أن تعود اليوم إلى الدير الذي جاءت منه بيد أني أظن أن السيد ابن خالها قد وجد قرب روزات العزاء والسلوان . واحسرتاه ! الفتاة المسكينة لا تعلم أي خطر ستواجه بإصغائها إلى سيد شاب غزل .

السيدة بلوش (وقد دخلت) هيا، هيا، أخرجوا حماري !

الجوقة
أتمرين هكذا مثل طيف مجنح، أيتها السيدة الجليلة؟ أتودين بهذه السرعة أن تمتطي للمرة الثانية تلك البهيمة المسكينة المكتئبة جداً لأنها ستحملك؟

السيدة بلوش الحمد لله، أيها النذل، أني لن أموت هنا .

الجوقة
موتي بعيداً يا صديقتي بلوش، موتي مجهولة في حجرة دير موبوءة . سنضرع إلى الله من أجل قيامتك المباركة .

السيدة بلوش
هاهي سيدتي تقترب (مخاطبة كامي وقد دخلت) أيتها العزيزة كامي، كل شيء معد من أجل سفرنا . لقد أتم البارون حساباته، والحصار أسرج .

كامي

فلتذهبي إلى الشيطان ، أنت وحمارك ، لن أسافر اليوم .
(تخرج)

الجوقة

ماذا يعني هذا؟ السيدة بلوش ممتعة من الرعب ،
وشعرها المستعار بهم بالانتصاب ، وصدرها يصفر بقوة
بينما تمتد أصابعها وهي تشنج .

السيدة بلوش

يا يسوع المسيح ! إن كامي قد جدّفت . (تخرج)

مكتبة مورد الأريكة
www.books4all.net

المشهد الخامس

يدخل البارون وبريدان .

بريدان سيدي . يجب أن أحدثك على انفراد . إن ولدك يغازل فتاة من القرية .

البارون هذا محال يا صديقي .

بريدان إني أبصرته بوضوح يمر بين أعشاب الخلنج وهو متأبط ذراعها . لقد كان يميل على أذنها ، ويعدها بالزواج .

البارون يا للعار!

بريدان لا يخامرك الريب في ذلك ، لقد قدم إليها هدية ثمينة أرثها الصبية لأمها .

البارون رباه! ثمينة ، يا بريدان؟ ما الذي يجعلها ثمينة؟

بريدان وزنها وما سينتج عنها . إنها السلسلة الذهبية التي كان يضعها على قلنسوته .

البارون هيا ندخل إلى مكتبي ، إني لفي حيرة من أمري (يخرجان)

المشهد السادس

(غرفة كامى) تدخل كامى والسيدة بلوش

كامى أتقولين إنه أخذ رسالتى؟

السيدة بلوش نعم، يا بنيتى، وقد تكفل بوضعها فى البريد.

كامى اذهبي إلى الصالون، يا سيدة بلوش وتفضلي بالقول لبارديكان إني أنتظره هنا (تخرج السيدة بلوش) لقد قرأ رسالتى. لا ريب فى ذلك. ومشهد الغابة إنما هو انتقام، مثل حبه لروزات. أراد أن يثبت لى أنه يحب واحدة غيرى، وأن يتظاهر باللامبالاة رغم غيظه. أترأه يحبني؟ (ترفع ستاراً) هل أنت هنا يا روزات؟

روزات (وقد دخلت) نعم، أيمكنني الدخول؟

كامى اسمعي يا صغيرتي، ألا يقوم السيد بارديكان بمغازلتك؟

روزات نعم، للأسف!

كامى ما رأيك فيما قاله لك هذا الصباح؟

روزات هذا الصباح؟ أين بالله عليك؟

كامى لا تتجاهلي. هذا الصباح عند النبع، فى الغابة الصغيرة.

- روزات قد شاهدتني إذا؟
- كامي لك الله من طفلة بريئة! لا ، لم أشاهدك . لقد شئت
أذنيك بأحاديثه العذبة ، أليس كذلك؟ أراهن أنه وعدك
بالزواج .
- روزات كيف عرفت ذلك؟
- كامي لا يهم كيف عرفته . أثبتين بوعوده يا روزات؟
- روزات كيف لا أثق بها؟ هل يخدعني إذا؟ لماذا؟
- كامي باردريكان لن يتزوجك يا صغيرتي .
- روزات إنني ، للأسف ، لا أعلم شيئاً عن ذلك .
- كامي أنت تحبينه ، أيتها الفتاة المسكينة ، إنه لن يتزوجك ،
ولسوف أقدم إليك الدليل على ذلك . عودي وراء هذا
الستار ، كل ما عليك هو أن تنصتي وتأتي حين أناديك .
(تخرج روزات)
- كامي (وحدها) أنا من كنت أحسب أنني أقوم بعمل انتقامي ،
أتراني أقوم بعمل إنساني؟ إن الفتاة المسكينة قد علق قلبها
في شباك الحب . (يدخل باردريكان) صباح الخير يا ابن
خالي ، تفضل بالجلوس .
- باردريكان يا لأنافتك ، يا كامي ! من هو سعيد الحظ؟
- كامي لعله أنت ، إني آسفة لأنني لم أستطع أن أفي بالموعد الذي
سألتني ، أكان لديك شيء هام تريد أن تقوله لي؟

(بارديكان

(بينه وبين نفسه) إنها عمري ، كذبة بيضاء كبيرة بعض الشيء بالنسبة لهذا الحمل الطاهر: لقد شاهدها خلف شجرة تستمع إلى الحديث . (يرفع صوته) ما عندي شيء أقوله لك ، اللهم إلا كلمة وداع ، يا كامى . كنت أحسبك مغادرة إلا أن حصانك مازال في الإسطبل ، وأنت لا ترتدين ثياب السفر .

كامى

إني أحب الأخذ والرد . وأنا لست متأكدة ما فيه الكفاية أنى لا أرغب في أن أتشاجر معك ثانية .

بارديكان

ما جدوى الشجار ، حين يكون الصلح مستحيلاً؟ إن لذة الخصام تكمن في التصافي .

كامى

أوافق أنت أنى لا أريد الشجار؟

بارديكان

دعي السخريّة جانباً ، لست في حالة تسمح لي بالإجابة .

كامى

إني أرغب أن يتغزل بي . أنا لا أعلم إذا كان السبب هو أنني أرثدي ثوباً جديداً ، لكنني أود أن أتسلى . قد عرضت على الذهاب إلى القرية ، هلم بنا ، لا مانع عندي ، لنركب قارباً ، إني أرغب في الذهاب وتناول غذائي على العشب ، أو أقوم بنزهة في الغابة . هل يكون هناك قمر هذا المساء؟ يا للعجب ، إنك لا تحمل في إصبعك الخاتم الذي أعطيتك إياه!

بارديكان

لقد فقدته .

كامى

لهذا السبب إذاً وجدته أنا ، خذ يا بارديكان ، ها هوذا .

بارديكان

أمعقول هذا؟ أين وجدته؟

كامي

أنت تنظر إن كانت يداي مبتلتين ، أليس كذلك ؟ الحق أقول إني قد أفسدت ثوب الدير كي أخرج هذه الهدية البسيطة من النبع . وهذا ما دفعني إلى ارتداء ثوب آخر ، وأنا أقول لك ، إني شعرت على الأثر ببعض التغير ، هلا وضعت هذا في إصبعك !

بارديكان

أأخرجت هذا الخاتم من الماء ، يا كامي ، معرضة نفسك لخطر السقوط فيه ؟ هل أنا في حلم ؟ ها هو ذا ، وأنت التي تضعينه في إصبعي ! آه لماذا يا كامي تعيدني إليّ هذا العربون المحزن لسعادة غيبها الزمان ؟ تكلمي أيتها الفتاة الطائشة . المتدلة لماذا أنت راحلة ؟ لماذا أنت باقية ؟ لماذا تتغيرين وتتلونين ، بين الفينة والأخرى ، مثل فص هذا الخاتم مع كل شعاع شمس ؟

كامي

أعالم أنت بقلوب النساء ، يا بارديكان ؟ هل أنت واثق من قلبهن ، وهل تعلم إن كن حقيقة يبدلن أفكارهن حين يبدلن أحياناً لغتهن ؟ هناك من يقول لا . بلاشك إننا نضطر غالباً إلى أن نلعب دوراً ونكذب ، أنا صريحة كما ترى ، لكن أمتأكد أنت أن كل ما في المرأة يكذب حين يكذب لسانها ؟ هل فكرت ملياً في طبيعة هذا الكائن الضعيف والعنيف ، في قسوة حكم الآخرين عليه ، وفي القيود التي يغلّونه بها ؟ ومن يدري إن كان رأس هذا الكائن الصغير والأرعن لن يستطيع الخداع وقد أجبر عليه ، فيكذب أحياناً بدافع التسلية ، والطيش ، كما يكذب بدافع الضرورة ؟

بارديكان

لا أفهم شيئاً مما تقولين ، وأنا لا أكذب أبداً . أحبك
يا كامى هذا كل ما أعرفه .

كامى

تقول إنك تحبني ، ألا تكذب أبداً؟

بارديكان

أبداً .

كامى

لكن هاهي واحدة تقول إن ذلك يحدث أحياناً .

(ترفع الستار، تبدو روزات غائبة عن الوعي على مقعد)
بم ستجيب هذه الصبية، يا بارديكان، عندما تطلب
منك تفسيراً لكلامك؟ إن كنت لا تكذب أبداً، فكيف
أغمي عليها إذاً لما سمعتك تقول لي إنك تحبني؟ إني
أدعك معها، حاول أن تعيدها إلى وعيها . (تم
بالخروج)

بارديكان

لحظة، يا كامى، أصغي إلي .

كامى

ماذا تريد أن تقول لي؟ روزات هي التي يجب أن
تكلمها . أنا لا أحبك، أنا لم أحضر هذه الصبية
المسكينة من كوخها بدافع الغيظ، لأجعل منها طعماً،
ودمية، ولست أنا التي رددت بحماسة على مسامعها
كلمات متأججة، موجهة إلى غيرها، ولم أنظر بأني ألقى
بعيداً من أجلها بتذكارات صداقة عزيزة، ولم أضع في عنقها
سلسلتي، ولم أقل لها إني سأ تزوجها .

بارديكان

أصغي إلي . أصغي إلي !

كامي

ألم تبتسم لتوك حين قلت لك إني لم أستطع الذهاب إلى النبع؟ حسناً لقد كنت هناك، وسمعت كل شيء، لكن، أقسم بالله ما كنت خليفة أن أتكلم كما تكلمت أنت. ماذا ستفعل الآن بهذه الفتاة عندما تأتي إليك، وقبلاتك الحارة على شفتيها، فتريك وهي تبكي الجرح الذي أصبتها به؟ لقد أردت الانتقام مني، أليس كذلك؟ وأن تعاقبني على رسالة كتبتها إلى ديري؟ لقد أردت أن ترميني، مهما كان الثمن بسهم، وما كنت لتهتم لو اخترق سهمك المسموم قلب هذه الصبية، بشرط أن يصيني معها.

لقد تباهيت بأنك تميل إليّ وأنتك آسف لفراقي. وهذا قد جرح كبرياءك؟ حسناً؟ إني أقول لك إنك تحبني، أسمع؟ ولكنك ستتزوج هذه الفتاة أو أنت مجرد جبان.

أجل، سأزوجها.

بارديكان

وستفعل خيراً.

كامي

كل الخير، وهذا أفضل بكثير من الزواج بك أنت. ما الذي يثيرك هكذا، يا كامي؟ هذه الفتاة قد أغمي عليها، ونحن سنعيدها إلى وعيها، كل ما يلزم هو زجاجة خل، لقد أردت أن تثبتني لي أنني كذبت مرة في حياتي، هذا محتمل، ولكنني أتحداك أن تقولي لي متى حدث ذلك. تعالي ساعديني في إغاثة روزات (ينخرجان).

بارديكان

المشهد السابع

يدخل البارون وكامي

البارون إن تم ذلك ، فقدت عقلي .

كامي استخدم سلطتك .

البارون سأصاب بالجنون ، ولسوف أمتنع عن إعطاء موافقتي .

كامي ينبغي لك أن تكلمه ، وتلزمه جادة الصواب .

البارون سيعكر هذا مزاجي طوال فترة الكرنفال ، ولن أظهر في البلاط ولو مرة واحدة . إنه زواج غير متكافئ . لم يحدث أبداً أن تزوج أحد من أخت ابنة عمته بالرضاعة ، هذا أمر يتخطى المألوف .

كامي أرسل في طلبه ، وقل له بصراحة إنك غير راض عن هذا الزواج . صدقني إنه لعمل طائش ، وهو لن يقاوم .

البارون سألبس السواد هذا الشتاء ، كوني على ثقة من ذلك .

كامي ولكن كلمه ، بحق الساء ! إنه قد ركب رأسه ، ربما فات الأوان ، إن كان قال ذلك ، فسوف يفعله .

البارون سأخلوا بنفسني كي أسترسل في حزني ، قولي له ، إن سأل عني ، إني معتكف وإني مستسلم لألمي إذ أراه يتزوج فتاة لا أصل لها (يخرج) .

كامي
ألا أجد هنا امراً ذا شجاعة ومروءة؟ الحق أنه حينما
نلتمس مثل هذا الرجل، نصاب بالذعر من وحدتنا.
(يدخل باردىكان) وبعد! يا ابن خالي، متى الزواج؟

باردىكان
في أقرب وقت ممكن، لقد كلمت في هذا الشأن الكاتب
بالعدل والخوري، وجميع الفلاحين.

كامي
أعازم أنت حقيقة على الزواج بروزات؟

باردىكان
كل العزم.

كامي
ماذا سيقول والدك؟

باردىكان
يقول ما يشاء، إن الزواج بهذه الفتاة يعجبني، وهي فكرة
أنا مدين بها لك، وأتمسك بها. أتريديني أن أردد على
مسامعك كل السخافات التي تشاع عن نسبها ونسبي؟
إنها شابة جميلة، وهي تحبني، وهذا أكثر مما يلزم ليكون
المرء سعيداً كل السعادة. أن تكون ذكية أو لا، هذا سواء
عندي، فأنا كنت حرياً أن أقع على من هي أسوأ منها،
سيصرخون، ويهزؤون، هذا لن يؤثر فيّ.

كامي
لا شيء يدعو للضحك، إنك تقوم بعمل طيب
بزواجك بها. بيد أني عاتبة عليك لأمر واحد، وهو أن
الناس ستقول إنك فعلت ذلك بدافع الغيظ.

باردىكان
أمر مستاءة أنت من ذلك؟ لا والله!

كامي
بلى، إني مستاءة من أجلك. فهذا يسيء إلى شاب لأنه
لم يستطع أن يقاوم لحظة غيظ.

باردىكان
اغضبي إذأ، أما أنا فالأمر عندي سيان.

كامي
لكنك لا تفكر فيما أنت مقدم عليه ، إنها فتاة بلا حسب ولا نسب .

بارديكان
سيكون لها وضعها إذا عندما تصبح زوجتي .
كامي
ستسأم منها قبل أن يلبس موثق العقود ثيابه الجديدة ،
وينتعل حذاءه ليأتي إلى هنا ، ستفترمها أثناء وليمة
الزفاف ، وفي المساء ستقطع لها يديها ورجليها كما في
حكايات ألف ليلة ، لأنها تفوح منها رائحة المرق .

بارديكان
كوني واثقة أنه لن يحدث شيء من هذا القبيل . أنت
لا تعرفيني على حقيقتي ، عندما تكون المرأة رقيقة ،
حساسة ، نضرة ، طيبة ، جميلة ، فإني لجدير أن أكتفي
بهذا حتى لا أهتم أن أعلم إن كانت تتقن اللاتينية .

كامي
يا لضيعة كل تلك الأموال التي صرفت على تعليمك !
إنها ثلاثة آلاف ريال ذهبت هباء منثوراً .

بارديكان
أجل ، كان من الخير لهم أن يعطوها للفقراء .
كامي
أنت الذي ستكفل بذلك ، على الأقل بالنسبة لضعاف
العقول .

بارديكان
وهم سيعطونني في المقابل ملكوت السموات لأنه
لهم .

كامي
كم ستدوم هذه المزحة ؟

بارديكان
أي مزحة ؟

كامي
زواجك بروزات .

بارديكان فترة قصيرة جداً : ثلاثين أو أربعين سنة ، على الأكثر ،
فالله لم يخلق الإنسان ليعمر أبد الدهر .

كامي ما أشوقني إلى أن أرقص في عرسك !

بارديكان اسمعي ، يا كامي ، إن سخريتك هذه في غير محلها .

كامي إنها تعجبني ، فلا أستطيع لها فراقاً .

بارديكان إذن أفارقك أنت ، لأنني قد فاض بي الكيل .

كامي أذهب أنت إلى عروسك ؟

بارديكان نعم ، أنا ذاهب إليها في الحال .

كامي هات ذراعك ، إني ذاهبة بدوري . (تدخل روزات)

بارديكان ها أنت ذي ، يا صغيرتي . تعالي ، فأنا أريد أن أقدمك
إلى والدي .

روزات (تجثو) سيدي ، قد جئت أسألك معروفاً . جميع سكان
القرية الذين كلمتهم هذا الصباح قالوا لي إنك تحب ابنة
عمتك ، وإنك لم تغازلني إلا كي تتسليا كلاهما ، الناس
يسخرون مني أثناء مروري ، ولن أقدر أن أجدي زوجاً
ها هنا ، بعدما كنت أضحكة المدينة كلها . هلا أخذت
مني العقد الذي أعطيتني إياه ، وتركتني أعيش بسلام
عند والدي .

كامي أنت فتاة طيبة يا روزات احتفظي بهذا العقد ، أنا نفسي
أعطيك إياه ، وابن خالي سيأخذ عقدي بدلاً منه . أما
بالنسبة للزوج ، فلا تشغلي بالك ، أنا أتكفل بإيجاد واحد
لك .

بارديكان

هذا ليس بالأمر العسير، في الواقع هيا يا روزات، تعالي
آخذك إلى والدي .

كامي

لماذا؟ لا جدوى من ذلك .

بارديكان

أجل أنت على حق، إن والدي حري أن يستقبلنا
استقبلاً سيئاً . يجب أن ندعه ريثما يذهب عنه تأثير
المفاجأة . تعالي معي ، إننا عائدان إلى الساحة . إنه لأمر
مضحك ، والله أن يقال إني لا أحبك بينما أنا أتزوجك .
لعمري لنخسّتهم . (يخرج هو وروزات) .

كامي

ما الذي ينتابني ، بحق السماء؟ إنه يرافقها بكل هدوء .
رباه ! يبدو لي أن رأسي يدور . أترأه يتزوجها حقيقة؟
يا سيدة بلوش ! يا سيدة بلوش ! ألا يوجد إذاً أحد هنا؟
(يدخل خادم) .

اذهب في إثر السيد بارديكان ، قل له بسرعة أن يرجع
إليّ ، فأنا أريد أن أكمله . (يخرج الخادم) ولكن ما كل
هذا؟ إني ما عدت أستطيع الاحتمال ، وقد ماي تأييان
حملي . (يرجع بارديكان)

بارديكان

أأرسلت في طلبي ، يا كامي؟

كامي

لا ، لا

بارديكان

لله ما أشد شحوبك ! ماذا تريد أن تقولي لي؟ هل
استقدمتني كي تكلميني؟

كامي

لا ، لا! رحماك اللهم . (تخرج)

المشهد الثامن

(مصلى) تدخل كامى، فترتمي عند أسفل المذبح

كامى

أتخلّيت عني يا إلهي؟ أنت تعلم أني حين جئت كنت قد أقسمت أن أكون وفية لك، ولما أبيت أن أصبح زوجة لسواك، ظننت أني أتكلّم بصدق أمامك وأمام ضميري، أنت تعلم ذلك، أبانا في السموات، أما عدت إذاً تريدني؟ آه، لماذا تجعل الحقيقة نفسها تكذب؟ لماذا أنا ضعيفة إلى هذه الدرجة؟ يا لتعاستي، إنني لم أعد أستطيع أن أصلي! (يدخل باردىكان).

باردىكان

أيّتها الكبرياء، يا أشأم مرشد للنفس الإنسانية، ماذا جئت تفعلين بيني وبين هذه الفتاة؟ هاهي ذي شاحبة ومذعورة، تضغط على البلاط القاسي بقلبها ووجهها. كانت جديدة أن تحبيني، ونحن قد خلقنا الواحد للآخر، ماذا جئت تفعلين على شفاهنا أيّتها الكبرياء، إذ كانت أيدينا على وشك أن تتحد؟

كامى

من لحق بي؟ من يتكلّم تحت هذه القبة؟ أهذا أنت يا باردىكان؟

بارديكان

لله ما أغباننا! نحن متحابان . أي حلم شاهدنا
يا كامي؟ أي كلام عقيم، أي حماقات وضیعة مرت مثل
ريح مشؤومة بیننا کلینا؟ أي منا أراد أن یخدع الآخر؟
واها! إن هذه الحیاة بحد ذاتها حلم مزعج للغایة! لماذا
نضیف إليها أيضاً أحلامنا! رباه، إن السعادة لؤلؤة نادرة
جداً فی هذا المحيط المتلاطم الأمواج! أنت وهبتنا إیاهها،
أیها الصیاد الإلهی، لقد أخرجتها من أجلنا من غیاهب
الیم، هذه الجوهرة الثمينة، ونحن الأطفال المدللون، قد
جعلناها لعبة، لقد كان الدرب الأخضر، الذي كان یقود
أحدنا نحو الآخر، ینحدر برفق، وكانت تحیط به
الحشائش المزهرة، ویتوه فی أفق هادیء، هادیء! إلا أن
الغرور والهذر، والغضب، کلها شاءت أن تلقی
بصخورها الشوهاء على هذا الطریق الإلهی، الذي كان
من شأنه أن یوصلنا إلیک فی قیلة! لكن كان یجب علینا
أن نأثم فی حق أنفسنا، لأننا بشر! یا لنا من غیین! إننا
متحابان . (یحتضنها إلی صدره).

کامی

أجل، إننا متحابان یا بارديكان، دعنی أشعر بذلك
على صدرك . هذا الرب الذي ینظر إلینا لن یستاء منا،
إنه یریدنی أن أحبك، لقد مضت خمسة عشر عاماً وهو
یعلم ذلك .

بارديكان

أیتها المخلوقة العزیزة، أنت لی . (یقبلها، تصدر صرخة
عالية من خلف المذبح)

کامی

إنه صوت أختی بالرضاعة .

بارديكان

كيف جاءت إلى هنا؟ كنت قد تركتها على السلم،
عندما أرسلت في طلبي . لابد أنها قد تبعتنني من حيث
لا أدري .

كامي

لندخل إلى هذه الردهة ، إن الصرخة قد صدرت منها .

بارديكان

لا أعلم ماذا يتتأبني ، يبدو لي أن يديّ ملطختان
بالدماء .

كامي

لاشك أن الصبية المسكينة قد تنصت علينا ، لقد
أغمي عليها مرة ثانية ، تعالي نمد إليها يد المساعدة ، آه
ما أفسى كل ذلك !

بارديكان

لا ، لن أدخل ، إنني أشعر ببرودة قاتلة تشلني . اذهبي ،
يا كامي وحاولي إعادتها إلى وعيها . (تخرج كامي) أضرع
إليك ، اللهم ، ألا تجعل مني قاتلاً! أنت ترى ما يجري ،
نحن ولدان أحققان ، وقد لعبنا بالحياة والموت ، إنما قلبنا
طاهر ، لا تقتل روزات ، أيها الرب العادل ! سأجد لها
عريساً ، وأصلح غلطتي ، إنها شابة ستكون غنية ،
ستكون سعيدة ، لا تفعل ذلك ، يا إلهي ! مازال
بمقدورك أن تبارك أربعة من أولادك ، وبعد يا كامي ،
ماذا حدث؟

(تعود كامي)

كامي

لقد ماتت ! الوداع ، يا بارديكان .

«النهاية»

صدر من هذه السلسلة

- ١- سمك عسير المضم
- ٢- القبرة (جان دارك)
- ٣- البرج
- ٤- عاصفة الرعد
- ٥- الخادم الأخرس -
- التشكيلة أو عرض الأزياء
- ٦- الشيطانة البيضاء
- ٧- الاسكندر المقدوني أو قصة مغامرة
- ٨- سباق الملوك
- ٩- استعدوا للركوب الطائرة وغيرها
- ١٠- النيازك
- ١١- دراما اللامعقول
- ١٢- مس جوليا - الأب
- ١٣- عطيل يعود
- ١٤- أنشودة أنجولا
- ١٥- تواضعت فظفرت
- ١٦- مدرسة الزوجات -
- نقد مدرسة الزوجات - أرتجالية فرساي
- ١٧- عسكر ولصوص أونيد كيللي
- ١٨- العين بالعين
- ١٩- الطريق إلى دمشق - ثلاثية
- ٢٠- ١٤ يوليو
- ٢١- شجرة التوت
- ٢٢- روس أولرانس العرب
- ٢٣- حلاق أشبيلية
- ٢٤- هاملت
- ٢٥- الحياة الشخصية
- ٢٦- نساء تراخيس
- ٢٧- رجل الله - القلوب النهمة
- ٢٨- ليلة ساهرة من ليالي الربيع
- تأليف : مانويل جاليتش
- تأليف : جان انوي
- تأليف : هال انوي
- تأليف : تساويو
- تأليف : هارولد بنتر
- تأليف : جون ويستر
- تأليف : تيرانس راتيجان
- تأليف : تيرانس راتيجان
- تأليف : جون مورتيمر
- تأليف : فريدرش دورينهاث
- تأليف : يونسكو - داموف - أرابال البي
- تأليف : أوجست سترندبرج
- تأليف : نيقوس كازندزاكي
- تأليف : بيتر فايس
- تأليف : أوليفر جولد سميث
- تأليف : مولير
- تأليف : دوجلاس سيتوارت
- تأليف : وليم شكسبير
- تأليف : أوجست سترندبرج
- تأليف : رومان رولان
- تأليف : انجس ويلسون
- تأليف : تيرانس راتيجان
- تأليف : كارون دي بومارشيه
- تأليف : وليم شكسبير
- تأليف : نويل كوارد
- تأليف : سوفوكل
- تأليف : جبريل مارسيل
- تأليف : انريكي خارديل بونثلا

- ٢٩ - الأقوى - الرباط - تأليف : أوجست سترندبرج
- الجرائم - موسيقى الشبح
- ٣٠ - اصطيد الشمس
- ٣١ - حكاية فاسكو - السيد نوبل
- ٣٢ - انتصار حورس
- ٣٣ - بيوت الأرامل - العاشر
- ٣٤ - ثلاث مسرحيات طليعية - قرافة السيارات - فاندو وليز - الشجرة المقدسة
- ٣٥ - أوديب الملك - أوديب في كولون - اليكتر
- ٣٦ - اليكتر - لن تقع حرب طروادة
- ٣٧ - المغنية الصلعاء - الدرس - جاك أو الامتثال - المستقبل في البيض - الكراسي
- ٣٨ - مسرحيات إذاعية
- ٣٩ - روما لم تعد في روما - المحارب المضيء أو (مصباح النعش)
- ٤٠ - شيطان الغابة - الخال فانيا
- ٤١ - مهاجر بريسبان - البنفسج
- ٤٢ - ديانا والمثال - الحياة عطاء - لذة الأمانة
- ٤٣ - ستيفن «د» - منفيون
- ٤٤ - الغرماء - الأميرة البيضاء - عيد الفصح
- ٤٥ - أنتيجونه - أجاكس - فيلوكتيت
- ٤٦ - سدوم وعمورة - مجنونة شايو
- ٤٧ - ضحايا الواجب - مرتجلة الما - سفاح بلا كراء
- ٤٨ - طريق القمة - العالم المكسور
- ٤٩ - الحلم الأمريكي - الطابعان على الآلة
- ٥٠ - الأرض كروية
- ٥١ - السلاح والإنسان - كانديدا - رجل المقادير
- ٥٢ - الحارس
- تأليف : هارولد بنتر
- تأليف : بيتر شافر
- تأليف : جورج شحادة
- تأليف : ه. و. فيرمان
- تأليف : جورج برنارد شو
- تأليف : فرناندو أربال
- تأليف : سوفوكل
- تأليف : جان جيروودو
- تأليف : يوجين يونسكو
- تأليف : كوبل تشيرشل - شارب مانج
- تأليف : جبريل مارسل
- تأليف : أنطون تشيخوف
- تأليف : جورج شحادة
- تأليف : لويجي بيرندلو
- تأليف : جيمس جويس
- تأليف : أوجست سترندبرج
- تأليف : سوفوكل
- تأليف : جان جيروودو
- تأليف : يوجين يونسكو
- تأليف : جبريل مارسل
- تأليف : البي شيزجال
- تأليف : أرمان سالاكرو
- تأليف : جورج برنارد شو

- ٥٣ - ابن أمية أو ثورة المورسكيين
 ٥٤ - مأساة كريولانس
 ٥٥ - القصة المزدوجة للدكتور بالمى
 ٥٦ - الكترا - أورستيس
 ٥٧ - هرنانى
 ٥٨ - المستنرون
 ٥٩ - سجاناريل - المتحذلقات المضحكات -
 مدرسة الأزواج - الطبيب الطائر -
 غيرة البار بويه
 ٦٠ - الطريق إلى روما
 ٦١ - المهرجون - قصة فلادلفيا
 ٦٢ - قصة حياة
 ٦٣ - أوبرا الصعلوك
 ٦٤ - الابن الطبيعي
 ٦٥ - رقصة الموت - الطريق الكبير
 ٦٦ - أيام العمر - سكان الكهف
 ٦٧ - العارض - بيرينيس المصرية
 ٦٨ - المعصرة - أداء الأدوار - أبوزهرة بقمه
 ٦٩ - حالة طوارئ
 ٧٠ - حياة جاليليو - طول في الليل
 ٧١ - غرفة المعيشة
 ٧٢ - المستأجر الجديد - اللوحة - الحزيت
 ٧٣ - السفر - سهرة الأمثال
 ٧٤ - نجونا بأعجوبة
 ٧٥ - تلميذ الشيطان - هداية القبطان براسبوند
 ٧٦ - الملك لير
 ٧٧ - الطريق
 ٧٨ - عزيزي مارات المسكين
 ٧٩ - زفاف زبيدة
 ٨٠ - مياه بابل - رقصة العريف
 ٨١ - روبسبير
 ٨٢ - أوديب
 ٨٣ - ظمأ - عبودية - ضباب -
 مبحرون شرقاً إلى كارديف -
 في المنطقة - بدر على البحر الكاريبي
- تأليف : مارتيس دي لاروزا
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : أنطونيو بوينو بايخو
 تأليف : يوربيديس
 تأليف : فيكتور هيجو
 تأليف : ليو تولستوي
 تأليف : مولير
 تأليف : روبرت شيرود
 تأليف : فيليب باري
 تأليف : ماكس فريش
 تأليف : جون جي
 تأليف : دنيس ديرو
 تأليف : أوجست سترندبرج
 تأليف : وليم ساروبان
 تأليف : أندريه شديد
 تأليف : لويجي برندلو
 تأليف : ألبير كامى
 تأليف : برتولت برشت
 تأليف : جراهام جرين
 تأليف : يوجين يونسكو
 تأليف : جورج شحادة
 تأليف : ثورنتون وايلدو
 تأليف : جورج برنارد شو
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : ول شوينكا
 تأليف : إلکسي أربورف
 تأليف : هوجو فون هومانز تال
 تأليف : جون آردن
 تأليف : رومان رولان
 تأليف : سنكا
 تأليف : يوجين أونيل

- ٨٤ - فرسان المائدة المستديرة - الآباء الأشقياء
 ٨٥ - تعلم الفرنسية بلا دموع - الممر المضيء
 ٨٦ - العرس الدموي
 ٨٧ - الحياة حلم
 ٨٨ - يوليوس قيصر
 ٨٩ - الفينيقيات - المستجيرات
 ٩٠ - لكل عالم هفوة
 ٩١ - ظل الوادي - الراكبون إلى البحر -
 زفاف السمكري - بئر القديسين
 ٩٢ - فتى الغرب المدلل - ديدرا فتاة الأحزان -
 عندما غاب القمر
 ٩٣ - كلهم أنثائي - الثمن
 ٩٤ - أوبرا القروش الثلاثة -
 لوكولوس - بعل
 ٩٥ - تيمون الأثيني
 ٩٦ - خادم سيدين
 ٩٧ - رحلة السيد بريشون
 ٩٨ - فتاة في سن الزواج - مشاجرة رباعية -
 تحريف ثنائي - الثغرة - لعبة الموت
 ٩٩ - ست شخصيات تبحث عن مؤلف -
 كل شيخ له طريقة - الليلة نرتجل
 ١٠٠ - انتحار الحبيبين في سونيزاكي -
 معارك كوكسينجا
 ١٠١ - وراء الأفق - أنا كريستي
 ١٠٢ - الحرية المغلوبة - صعود البطل
 ١٠٣ - مأساة عطيل
 ١٠٤ - الطلبة المشاغبون -
 قبل يوم الاثنين الموعد -
 الليلة يوم الجمعة
 ١٠٥ - حرم سعادة الوزير - الدكتور
 ١٠٦ - القمر في النهر الأصفر
 ١٠٧ - بينما تسطع الشمس - المهرجون
 ١٠٨ - الحصان المغمى عليه - الشوكة
 ١٠٩ - الصنوبرة المجتثة -
 انتحار الحبيبين في اميجيا
- تأليف : جان كوكو
 تأليف : ترانس راتيجان
 تأليف : فديريكو غرسيا لوركا
 كالدرون دي لاباركا
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : يوربيديس
 تأليف : الكسندر استروفسكي
 تأليف : جون ميلنجتون سنج
 تأليف : جون ميلنجتون سنج
 تأليف : آرثر ميللر
 تأليف : برتولت برشت
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : كارلو جولدوني
 تأليف : أوجين لابيش
 تأليف : يوجين يونسكو
 تأليف : لويجي بيرندلو
 تأليف : تشيكا ماتسبو
 تأليف : يوجين أونيل
 تأليف : جون آردن
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : جانز كوبر - كولين فينيو
 تأليف : برانيسلاف نوشيتش
 تأليف : دنيس جونسون
 تأليف : ترانس راتيجان
 تأليف : فرانسواز ساجان
 تأليف : تشيكا ماتسو

- ١١٠ - الأم الشجاعة - تأليف : برتولت برشت
- ١١١ - الغضب - الملك يموت - العطش والجوع - العاصفة - ١١٢
- ١١٣ - هكذا الدنيا تسير - تأليف : ولیم كونجريف
- ١١٤ - الدراما الثورية الإسبانية - تأليف : ألفونسو ساستري
- ١١٥ - مرحلة الواقعية الأولى - فصليلة على طريق الموت - النطحة - الكمامة - ١١٦
- ١١٦ - الآلة الجهنمية - تأليف : جان كوكتو
- ١١٧ - جيتس فون برلشجن - تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
- ١١٨ - مأساة طيبة أو الشقيقان فيدر - تأليف : جان راسين
- ١١٩ - ليوكاديا - تأليف : جان انوي
- ١٢٠ - الشر يستطير - الصابرون - تأليف : جاك أودبيرتي
- ١٢١ - مضيفة النزلاء - تأليف : جاك أودبيرتي
- ١٢٢ - أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨ - تأليف : بويرو بايغو
- ١٢٣ - حلم العقل - تأليف : بويرو بايغو
- ١٢٤ - مكبث - تأليف : ولیم شكسبير
- ١٢٥ - القيثارة الحديدية - تأليف : جوزيف أوكنرو
- ١٢٦ - عائلي - الأشباح - تأليف : ادواردو دي فيليبو
- ١٢٧ - الزملاء الثلاثة - تأليف : جيمس بروم لين
- ١٢٨ - ممثل الشعب - تأليف : برانيسلاف نوفيتس
- ١٢٩ - الناشرون - تأليف : آرثر ميللر
- ١٣٠ - العائلة - خيال مريض - تأليف : إيفان سرجيفتش - فوجنيف
- ١٣١ - الكرز المزهر - تأليف : روبرت بولت
- ١٣٢ - توركوواتو تاسو - تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
- ١٣٣ - مشهد في الطريق - تأليف : المراريس
- ١٣٤ - حبا بحب - تأليف : ولیم كونجريف
- ١٣٥ - تحيا الملكة - تأليف : روبرت بولت
- ١٣٦ - لورانس الشو - تأليف : الفريد دي موسيه
- ١٣٧ - الإمبراطور جونز - الغوريلا - تأليف : يوجين أونيل
- ١٣٨ - هرقل فوق جبل أوبتا - تأليف : سينيكا

- ١٣٩ - دنيا زوال
 ١٤٠ - ميليت - السيد
 ١٤١ - ققزة في الخلاء أو - العجوز المراهق
 ١٤٢ - المستر دولار
 ١٤٣ - زوجة كريج
 ١٤٤ - التطلع إلى المصيف -
 مغامرات المصيف - العودة من المصيف
 ١٤٥ - اللصوص
 ١٤٦ - ثلاث قبعات كوبا
 ١٤٧ - القلب المحطم
 ١٤٨ - جريمة قتل في الكاتدرائية
 ١٤٩ - حفل كوكتيل
 ١٥٠ - نقيب كوبينيك
 ١٥١ - الآلة الكبير براون
 ١٥٢ - مختارات من المسرح الافريقي
 - الخادم
 - الزنانة
 ١٥٣ - شهر في القرية
 ١٥٤ - الجدة الأولى
 ١٥٥ - المرحوم
 ١٥٦ - النمر والحصان
 ١٥٧ - حملة الدكتوراه
 ١٥٨ - فلهلم تل ١٨٠٤
 ١٥٩ - عيد الميلاد في بيت كويللو
 ١٦٠ - إنسان روسوم الآلي
 ١٦١ - أول من صنع الخمر -
 ليلة تبكي الملائكة
 ١٦٢ - زواج لوترو هاديك
 ١٦٣ - سلطان الظلام
 ١٦٤ - الأعزب
 ١٦٥ - الأنسة روزيتا العانس أو لغة الزهور
 ١٦٦ - افيجينيا في أوليس -
 افيجينيا في تاوريس
 ١٦٧ - أندرو ماخي - الطروديات
 تأليف : مورس هارت - جورج كوفمان
 تأليف : لير كورني
 تأليف : دونا ماكونا
 تأليف : برانيسلاف نوشيتس
 تأليف : جورج كيلى
 تأليف : كارلو جولدوني
 تأليف : فريدرش شلر
 تأليف : ميغيل ميورا
 تأليف : جون فوردي
 تأليف : ت . س . إليوت
 تأليف : ت . س . إليوت
 تأليف : كارل توكمير
 تأليف : يوجين أونيل
 تأليف : فريديناند أويونو
 تأليف : هارولد كمل
 تأليف : إيفان تورجينيف
 تأليف : فرانس جريليا وتسر
 تأليف : برانيسلاف نوشيتس
 تأليف : روبرت بولت
 تأليف : موريل سبارك
 تأليف : فريدرش شلر
 تأليف : ادواردو دي فيليبو
 تأليف : كاريل تشاييك
 تأليف : تولستوي
 تأليف : بيتر ليرسوف
 تأليف : جول رومان
 تأليف : إيفان تورجينيف
 تأليف : فديريكو غريسيه لوركا
 تأليف : يوربيديس
 تأليف : يوربيديس

- ١٦٨ - سافو
 ١٦٩ - أصوات الأعماق
 ١٧٠ - أبوالهول الحلي
 ١٧١ - الريفية
 ١٧٢ - الآلة الحاسبة
 ١٧٣ - الناسك الأسود
 - ولد للموت
 - الخروج
 ١٧٤ - مصرع كاسبر هاوزر
 ١٧٥ - الغابة
 ١٧٦ - الدكتاتور
 ١٧٧ - خاتمان من أجل سيدة
 ١٧٨ - انحراف في قصر العدالة
 ١٧٩ - أغسطس من أجل الشعب
 ١٨٠ - عابدات باخوس
 ١٨١ - ايون
 ١٨٢ - هيولييتوس
 ١٨٣ - مارسيل بانيول
 ١٨٤ - عمود النار - الكلايدوسكوب -
 نفر الضباب
 ١٨٥ - جريمة في جزيرة الماعز
 ١٨٦ - ميديا
 ١٨٧ - الفتى المذهب
 ١٨٨ - عصر الجليد
 ١٨٩ - الكذاب
 ١٩٠ - العدالة
 ١٩١ - أوبو ملكا
 ١٩٢ - أوبو عبدا
 ١٩٣ - أوبو فوق التل - أوبو زوجا مخدوعا
 ١٩٤ - ما ثمن المجد
 ١٩٥ - نجمة أشييلية
 ١٩٦ - وحش طوروس
 ١٩٧ - افعل شيئا يامت
 ١٩٨ - المتعاملون
 تأليف : فرانس جزيليارتسر
 تأليف : إدواردو دي فيليبو
 تأليف : رجب تشوسيا
 تأليف : إيفان تورجينيف
 تأليف : الملر . رايس
 تأليف : جيمس نجوجي
 تأليف : سام توليا موهيكا
 تأليف : توم أومارا
 تأليف : ديتز فورته
 تأليف : الكسندر استروفسكي
 تأليف : جول رومان
 تأليف : أنطونيو جالا
 تأليف : أوجوتيي
 تأليف : نيجل دنيس
 تأليف : يوربيديس
 تأليف : يوربيديس
 تأليف : يوربيديس
 تأليف : طوباز
 تأليف : راي برادبوري
 تأليف : أوجوتيي
 تأليف : بير كورني
 تأليف : كليفوره أوديتس
 تأليف : تانكرد دورست
 تأليف : بير كورني
 تأليف : جون جولزود ذي
 تأليف : الفريد جاري
 تأليف : الفريد جاري
 تأليف : الفريد جاري
 تأليف : ماكسويل أندرسون
 تأليف : لوي دي بيجا
 تأليف : عزيز نسين
 تأليف : عزيز نسين
 تأليف : كويناسكي

- ١٩٩ - هرج ومرج في المنزل تأليف: كوريسي كادي
 ٢٠٠ - الجزء الأول من حكاية الملك هنري الرابع تأليف: وليم شكسبير
 ٢٠١ - الأشباح هنريك إبسن
 ٢٠٢ - البطلة البرية تأليف: هنريك إبسن
 ٢٠٣ - أعمدة المجتمع تأليف: هنريك إبسن
 ٢٠٤ - نابولي مليونيرة تأليف: ادواردو دي فيليبو
 ٢٠٥ - عطلة الإسكافي تأليف: توماس دكر
 ٢٠٦ - الحبل المتهدل أو أغنية القطار الشبح تأليف: فرناندو أرابال
 ٢٠٧ - ماريوس تأليف: مارسيل نانيول
 ٢٠٨ - جثة حية تأليف: تولستوي
 ٢٠٩ - السكين الكبير تأليف: كيلفورد أوديس
 ٢١٠ - الأرض الحرام تأليف: هارولد بنتر
 ٢١١ - مذنبون بلا ذنب تأليف: الكسندر استروفسكي
 ٢١٢ - رحلة النهار الطويلة خلال الليل تأليف: يوجين أونيل
 ٢١٣ - سيدات متقاعدات تأليف: ادوارد بيرمي وريجينالد دهنم
 ٢١٤ - الهارب تأليف: جون جولزوردي
 ٢١٥ - السحب - ١ تأليف: اريستوفانيس
 ٢١٦ - السحب - ٢ تأليف: اريستوفانيس
 ٢١٧ - مجانين واختصاصيون تأليف: وول سوينكا
 ٢١٨ - الموت وفارس الملك تأليف: وول سوينكا
 ٢١٩ - لون بشرتنا تأليف: ثيلستينو جورستينا
 ٢٢٠ - توركاريه تأليف: آلان رينيه لوساج
 ٢٢١ - السيد دي ساد تأليف: يوكيو ميشا
 ٢٢٢ - الأيام الخوالي تأليف: هارولد بنتر
 ٢٢٣ - الآلية تأليف: صوفي تريديويل
 ٢٢٤ - شروق الشمس تأليف: تساو يوي
 ٢٢٥ - الحياة المديدة للملك أوزوالد - المؤامرة تأليف: فيليمير لوكيتش
 ٢٢٦ - العاصفة الرعدية تأليف: الكسندر استروفسكي
 ٢٢٧ - الضوء يسطع في الظلام تأليف: ليون تولستوي
 ٢٢٨ - سيدة الفجر تأليف: اليخاندرو كاسونا
 ٢٢٩ - منحني خطر تأليف: ج. ب. بريستلي
 ٢٣٠ - توراندوت تأليف: فريدريك شيلر
 ٢٣١ - الجمعية الأدبية تأليف: هنري أفوري

- تأليف: جيمس اين هنشو
تأليف: جيته
تأليف: جيته
تأليف: جيته
تأليف: ماريو فراقى
تأليف: يان سولوفيتش
تأليف: جون ويدمان
تأليف: جيويم أبولينير
تأليف: جيويم أبولينير
تأليف: السكندر استروفسكي
تأليف: غونكور ديلمان
تأليف: بيتر ترسون
تأليف: ج. ب. بريستلي
تأليف: هنريك إبسن
تأليف: هنريك إبسن
تأليف: هنريك إبسن
تأليف: وليم شكسبير
تأليف: براين فرايل
تأليف: سوفوكليس
تأليف: جواد فهمي باشكوت
تأليف: غريغوري غورين
تأليف: جون بولدرستون
تأليف: إلکسي تالستوي
تأليف: هاينز كيههارت
تأليف: ديميتري ديموف
تأليف: يوربيديس
تأليف: فلاجمير جوبريف
تأليف: صمويل بيكيت
تأليف: وليم شكسبير
تأليف: الكسندر فامبيلوف
تأليف: عبدالكريم الخطابي
تأليف: جون أوزبورن
تأليف: ناظم حكمت
تأليف: ستيفن فيليبس
- جواهر المعبد
٢٣٢ - فاوست - الجزء الأول - المقدمة
٢٣٣ - فاوست - الجزء الثاني - نص مسرحي
٢٣٤ - فاوست - الجزء الثالث - نص مسرحي
٢٣٥ - القفص - الانتحار
٢٣٦ - ملكة الليل في بحر حجري
٢٣٧ - افتتاحية الهادى
٢٣٨ - كازانوف
٢٣٩ - نهذا تيريزياس - لون الزمن
٢٤٠ - وظيفة مريجة
٢٤١ - مطعم القردة الحية
٢٤٢ - الحزان العظيم
٢٤٣ - كنت هنا من قبل
٢٤٤ - بيت آل روزمر
٢٤٥ - حورية من البحر
٢٤٦ - أيولف الصغير
٢٤٧ - بيركليس
٢٤٨ - حرية المدينة
٢٤٩ - بنات تراخييس
٢٥٠ - المرأة - اليقظ دائماً
٢٥١ - البيت الذي شيده سويغت
٢٥٢ - ميدان بيركلي
٢٥٣ - مؤامرة الإمبراطورة
٢٥٤ - قضية روبرت أوبينهايمو
٢٥٥ - نساء لمن ماض
٢٥٦ - هيكايا
٢٥٧ - الناوروس أو التابوت الحجري
٢٥٨ - نهاية اللعبة
٢٥٩ - سيمبلين
٢٦٠ - وداع في يونيو
٢٦١ - النبي المقتنع
٢٦٢ - بلا لبس - دماء آل بامبيرغ
٢٦٣ - الرجل المنسي
٢٦٤ - باولو وفرانتشيسكا

- ٢٦٥- ليالي الغضب
 ٢٦٦- لا
 ٢٦٧- هام روماني
 ٢٦٨- المفتش
 ٢٦٩- الرجل الأحزن
 ٢٧٠ / ٢٧١- في انتظار جودو
 - الرحلة الجانية
 ٢٧٢ / ٢٧٣- في سبيل الحرية
 - صحيفة الشيخ شرزين
 ٢٧٤ / ٢٧٥- عندما نبعث نحن الموتى
 - غرائب عندليب
 ٢٧٦ / ٢٧٧- الجزيرة القرمزية
 - بوريس جودونوف
- تأليف : أرمان مالاكرد
 تأليف : ماكس أوب
 تأليف : ستانسلان ستراتييف
 تأليف : نيقولاي غوغول
 تأليف : بيرج زيتونتيان
 تأليف : صمويل بيكيت
 تأليف : مارتن فالسر
 تأليف : جوهر مراد
 تأليف : بهرام بيضائي
 تأليف : هنريك إبسن
 تأليف : تينسي ويليامز
 تأليف : ميخائيل بولغاكوف
 تأليف : ألكسندر بوشكين

قسمة اشتراك

البيان	سلسلة المسرح العالمي		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠	-
الأفراد في الدول العربية الأخرى	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥	-
المؤسسات خارج الوطن العربي	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠	-
الأفراد خارج الوطن العربي	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠	-

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في : تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم :
العنوان :
اسم المطبوعة :
مدة الاشتراك :
المبلغ المرسل :
نقدًا / شيك رقم :
التوقيع :
التاريخ : / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت .
وترسل على العنوان التالي :

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي 13100
دولة الكويت

المؤامرة والحب

تأتي أهمية شلر، مؤلف المسرحية، من أنه قطب بارز في الحركة الرومانسية الأوربية، والتي أسست لانجاء جديد في الفكر والأدب والفن، وغيرت قواعد عديدة، فرضتها الروح الكلاسيكية السابقة عليها.

وأما أهمية هذه المسرحية، فننتقل من مكانتها في تاريخ المسرح، سواء في زمن عرضها لأول مرة على المسارح الألمانية، خلال حياة مؤلفها، أو في الفترات اللاحقة لذلك، مثل القرن التاسع عشر، والقرن العشرين.

وإضافة إلى الأعمال الفنية العديدة التي ألقت بإيجاء من هذه المسرحية، مثل مقطوعة «فيردي» الأوبرالية والتي أخذت نفس اسم المسرحية الأصلي «الوزة ملر». والمحاولات الأربع المختلفة والمعروفة لإنتاج هذه المسرحية في مجال الفن السينمائي.

لا يزال في الحب

تفسر الحياة الاجتماعية المراهية، في نهاية حكم الملك الفرنسي لويس الثالث عشر، ولادة «المثل المسرحي»، الذي لم يكن في الأصل سوى تسليّة من تسليّات متديبات الطبقة الراقية، على شكل مسرحية قصيرة مرتجلة تمثّل في الصالون نفسه. وفي هذه المسرحية لألفريد موسيه، يتخلّى المثل المسرحي عن ارتجاله، ويتسم بطابع العالم الخيالي، ويجد «المثل المسرحي» رائعته الفذة، إذ تحول إلى ملهاة حقيقية، ويتحقق التوازن الدقيق بين الخيال والحقيقة، بين خفة الفانتازيا وقوة العاطفة.

سعر النسخة:

٥٠٠ فلس
ما يعادل دولارا أمريكيا
دولاران أمريكيان

الكويت ودول الخليج
الدول العربية الأخرى
خارج الوطن العربي